العالم العربى و الرحالة الهنود .
(الحلقة الثانية و الأخيرة)

رحلة روما و مصر و الشام

بقلم : العلامة شبلي النعمانى

كثرة المؤلفات التركية:

لا يمكننى أن اذكر بالضبط عدد المؤلفات فى اللغة التركية، و لكن ألقيت نظرة فى مكتب المعارف على قائمة الكتب التى طبعت خلال شهر واحد فإذا عددها يبلغ ألفين، و لكن من الأسف أن معظمها كانت كتب الروايات و القصص

الكتاب الترك:

من أعلام الكتاب الترك اليوم أحمد مدحت، و جودت باشا و الأستاذ ناجى، و أبوالضياء سامى، و على نصرت.

الصحف و المجلات التركية:

من الأسف أن الأدب التركى فى تخلف كبير فى مجال الصحف و المجلات، لاشك أن الصحف كثيرة و تنشر فى أعداد كبيرة و كذلك تذوق عام لها. و لكنها مسلوبة الحرية و الاستقلال، فلا تحتوى إلا الأحكام و الأوامر الرسمية و الأنباء العادية.

الرقابة على طباعة الكتب:

و من اللازم هنا أنه إذا أراد شخص القيام بطباعة كتاب قديم أو حديث، يقدمه إلى قسم الباحث من مكتب المعارف و المسئولون عنه و المشرفون عليه يقرأون ذلك الكتاب من البداية إلى النهاية، و بعد تقريرهم يسمح بطباعة

الكتاب أو توقف، أو يجرى فبه تغيير أو إصلاح، و ذلك لأن بعض المطابع اقترفت خيانات فى طباعة الكتب، فمثلا قام المسيحيون فى بيروت بطباعة كتاب الألفاظ الكتابية، فغيروا فيه، " كما قال الله " بـ " كما قيل " و " كما قال القرآن المجيد " بـ " كما قال القرآن " و شر من ذلك أن هؤلاء المسيحيين طبعوا مختارا للقرآن الكريم، و كتبوا بعد الآيات التى عارضت معتقداتهم "هـذا خطأ و الصواب كذا" و لا شك أن دولة إسلامية لن تحتمل مثل هذا التصرف.

و لكن من الأسف أن هذه الفعلة قد تجاوزت الحدود الآن، فقد قامت مطبعة بطباعة شرح عقائد النسفى، فأسقطت المعارف و النصوص التى ناقشت موضوع الخلافة و حديث "الأئمة من قريش" و قد رأيت الأصل الذى تصرفت فيه المعارف، و إنى أتذكر أن نفسى فارت غضبا من ذلك.

إن الصحف التركية ـ كما ذكرت ـ لا تحمـل أى قيمـة ، و لكـن المجلات و الدوريات التى تنشر باللغة التركية ذات قيمة كبيرة، من أشهرها و أكبرها قيمة مجلة "*معارف*" الأسبوعية، التى تنشر فيها البحوث و الدراسات القيمة، و إن المختصين فى العلوم الحديثة الآن ينشرون بها أفكارهم و آراءهم ، والبحـوث تتصـل عامـة بمواضيـع الطبيعـة و العلـم و الآلات الحديثـة و الاكتشافات. و لا يخلو عدد من الضوء. و تطبع خمسة آلاف نسخة. و هناك مجلات علمية أخرى كذلك تضاهـى المجلات الأوروبيـة فى أوراقها و خطها و جودتها و جمالها و مظاهرها البديعية.

المطابع:

المطابع هنا كثيرة من دون أن يوتى بها مثال أو نظير فى جـودة الخط ، و النقاء و الاتزان و الجمال، و إن الآلة الكاتبة العربية اخترعها عالم تركى أبوالضيا، و تعتبر فاقدة المثال فى العالم. يرى الناس اليوم أن أحسن المطبوعات العربية هى مطبوعات بيروت و لقد ذكرنى أهل بيروت أن هذه الآلة الكاتبة من مخترعات الترك و إنهم يقلدونهم. و من محاسنها أن الكتب هنا تطبع على ورقات جميلة غالية، و لكن من الأسف الشديد أن معظم المطابع هنا يملكها المسيحيون. و أما المطابع التى يملكها المسلمون فقد تمتاز بينها مطابع "*ترجمان* حقيقت" و المطبعة العثمانية، و الشركة الصحافية، و لقد زرتها جميعها. و الشركة الصحافية شركاؤها كلهم مسلمون، و مجموع رأسمالها ثمانية عشر ألف جنيه.

المكتبات:

الواقع أن أكبر ما يعتز به الترك و يفتخرون به من بين مآثرهم

العلمية هي هذه المكتبات، و إن قسطنطينية تمتاز بين البلدان الإسلامية بوفرة مؤلفاتها العربية، فانها أكبر مركز للكتب العربية. و يبلغ عدد المكتبات في هذه المدينة خمسا و أربعين مكتبة، و هنا مكتبة ملكية أخرى في "قصر همايون" و هي قديمة جدا ، و عدد الكتب في جميع هذه المكتبات خمسة و ثمانون ألفا، و هذا العدد ليس بكبير. و لكنها تمتاز بالكتب الجميلة القيمة النادرة، و من هذه المكتبات: مكتبة جامع أيا صوفية ، و مكتبة جامع بايزيد، و مكتبة جامع يول، و المكتبة الحميدية القديمة ، و مكتبة عاشر أفندي شيخ الإسلام و مكتبة أسعد أفندي نقيب الاشراف . و مكتبة جامع محمّد الفاتح، و المكتبة الحميدية الجديدة، و مكتبة علي باشا الشهيد، و مكتبة النور العثمانية، و مكتبة لالة بي، و مكتبة الحكيم أغلى علي باشا، و مكتبة محمّد باشا كوبريلي، و مكتبة قليج علي باشا، و مكتبة ولي الدين أفندي، و المكتبة السليمية. و مكتبة فيض الله أفندي، و مكتبة السلطان محمّد قاصي زاده، و مكتبة جامع والدة السلطان، و مكتبة عاطف أفندي. و مكتبة شهزاده داماد ابراهيم باشا، و مكتبة خسروباشا ، و مكتبة مهرشان ، و مكتبة محمّد أفندي، و مكتبة مصطفى أفندي ، و مكتبة توفيق آفندي، و المكتبة السلطانية، و مكتبة محمّد افندي مراد، و مكتبة راغب باشا. و قد طبعت فهارس أربع عشرة مكتبة منها ، و ستطبع فهارس غيرها.

و هذه المكتبات كلها موقوفة. و معها ضيعات موقوفة تكفي للقيام بأداء نفقاتها من إصلاح المباني و المفروشات و رواتب المؤظفين.

مزايا هذه المكتبات:

و لهذه المكتبات المزايا التالية:

١- الكتب الموجودة فيها بصفة عامة مكتوبة بخطوط قديمة جيدة صحيحة، بإصلاح الأساتذة المتقدمين. و هي قديمة و نادرة لا توجد لها في العالم إلاّ عدد نسخ. كنت أبحث منذ مدة طويلة عن "*أسرار البلاغة*" لعبدالقاهر الجرجاني، و عثرت على نسخة لها في الهند و لكنها كانت مليئة أخطاءاً ، و غير موثوق بها، و رأيت في مكتبات قسطنطينية عدة نسخ لها و كلها في غاية من الصحة و الخط القديم، و كذلك توجد هنا نسخ صحيحة قديمة موثوق بها للكتاب البيان والتبيين للجاحظ، و "تذكرة *ابن حمدون*"، و" معجم *الأدباء*" لياقوت الحموي، و "*كتاب أنساب الأشراف للبلاذري* و "*التاريخ الكبير*" للبخاري.

٢- و أكثر الكتب في بعض المطابع مكتوبة على أوراق ذهبية أو منقوشة

بماء الذهب فى خط جميل.

٣- كنت أظن أن الكتب اليونانية و المصرية المترجمة فى العهد العباسى غابت و انعدمت، و لكنى عرفت خطأ ظنى هنا و وجدت بعض الكتب المترجمة.

٤- رأيت فى التاريخ و الأدب كتبا تمتاز بالبدائع التى كنت أرغب فيها منذ مدة فمثلا ألفت كتب كثيرة فى أحوال القضاة ، و لكن لم يعن فيها بأحكام و أقضيتهم و وجدت كتابا مثل هذا فى مكتبة بنى جامع، و مؤلفه محمّد بن خلف وكيع.

٥- توجد كتب الأئمة و الفلاسفة المعروفين فى وفرة لا توجد مثلها فى أى مكان فى العالم، فقد رأيت هنا أكثر كتب الإمام الغزالى و أبى علي سينا و الفخر الرازى و الفارابى التى لم نطلع على أسمائها إلاّ عن طريق *وفيات الأعيان* و غيره من الكتب.

إن الكتب النادرة التى وجدتها هنا أذكر فيما يلى أسماء بعض منها:

"*تاريخ الخطيب البغدادى*" بتمامه، و "*تاريخ الإسلام*" للذهبى فى ثمانية مجلدات، و "*تاريخ الحكماء*" لجمال الدين القفطى، و "*التاريخ الكبير*" للبخارى فى ثلاثة مجلدات، و "*تجارب الأمم*" لابن مسكوية، و "*المنتظم*" لابن الجوزى، و "*مرآة الزمان*" للبسط ابن الجوزى، و "*مسالك الأبصار*" لابن فضل الله فى عشرين مجلدات، و "*عقد الجمان*" لبدرالدين العينى فى ثمانية عشر مجلدا، و "*مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر*" لجمال الدين بن مكرم الأنصارى فى أربعة مجلدات، و "*رحلة ابن خلدون*"، و "*طبقات الأدباء*" لياقوت الحموى، و "*الطبقات الكبرى*" لابن سعد، و "*طبقات الأمم*" لابن صاعد الأندلسى، و "*كتاب الأشراف*" للبلاذرى بتمامه، و "*سيرة العمرين*" لابن الجوزى. و "*كتاب البيان و التبيين*" للجاحظ، و "*كتاب الصناعتين*" للعسكرى، و "*دلائل الإعجاز*" لعبد القاهر الجرجانى و "*تذكرة ابن حمدون*" ، و "*شرح التبريرى على ديوان أبى تمام*"، و "*ديوان أبى نواس*"، و "*سرقات المتنبى*" لابن العميد و "*مجموعة رسائل أبى اسحاق الصابى*".

الزوايا و التكايا:

الزوايا و التكايا هنا كثيرة و تفيد التقارير الأخيرة أن عدد الزوايا هنا يبلغ ٣٠٥ زاوية، و لكن معنى الزاوية هنا يختلف عما هو فى أذهاننا، فهنا فى كل بلد كبير زاوية لكل بلاد و لكل طائفة، يلجأ إليها مسافر تلك البلاد و تلك الطائفة، و يقيم بها ماشاء و يقدم إليه الطعام و الشائ مجانا. هذه الزوايا

أسسها الأمراء و الأشراف، و وقفوا عليها ضيعات تكفي لنفقاتها السنوية، و في كل زاوية شيخ يتقاضى راتبه و غذاءه و يشرف على إدارة الزاوية.

الجوامع و الأمكنة الشهيرة:

تمتاز قسطنطينية عن جميع بلدان العالم بكثرة مساجدها و جوامعها و جمالها و بهائها و أبهتها. فكل خليفة من الخلفاء الترك بنى جامعا فخما شامخا. و من أشهر هذه الجوامع جامع الفاتح و جامع بايزيد، و جامع والدة السلطان و جامع سلطان أحمد، و جامع أياصوفية.

و أكبر هذه الجوامع و أجملها جامع أياصوفية، و المساجد عامة تبني على منوالها، و كان هذا المسجد في الأصل كنيسة كبيرة بناها قسطنطين سنة ٣٢٥هـ و استغرق بناؤها سبع سنين. و اشتغل في البناء مأة بناء و عشرة آلاف عامل، فبدلها محمّد الفاتح و حولّها إلى المسجد، و كان ابن بطوطة قد زار هذه الكنيسة ، يقول :

"و هي كنيسة عظمى و إنما نذكر خارجها ، و أما داخلها فلم أشاهده ، و هي من أعظم كنائس الروم، لها حرم هو نحو ميل ، عليه باب كبير، و هو شبه مشور مسطح بالرخام ، تشقه ساقية تخرج من الكنيسة. لها حائطان مرتفعان نحو ذراع مصنوعان بالرخام المجزع المنقوش بأحسن صنعة، و الأشجار منتظمة عن جهتي الساقية، و من باب الكنيسة إلى باب هذا المشور معرش من الخشب مرتفع عليه دوالي العنب، و في أسفله الياسمين و الرياحين و الباب مصفح بصفائح الفضة و الذهب، و ذكرى أن عدد من بهذه الكنيسة من الرهبان و القسيسين ينتهي إلى آلاف و أن بعضهم من ذرية الحواريين. (١)

الأمكنة الشهيرة:

و المشاهد العجيبة كثيرة في تركيا كالمعابد القديمة لليونان، و الخزانة حيث وضعت صور الملوك العثمانيين في ملابسهم و أسلحتهم و الجواهر، و مصنع المدافع، و المتحف القديم الذي يحوي الآثار و النقوش الحجرية العتيقة، و فيه التابوت الحجري لاسكندر اليوناني، و لكن معظم هذه المشاهد لم أستطع زيارتها.

إنما زرت أنا مصنع البواخر، و الضباط و العمال فيه كلهم من الأتراك، و تعد فيه الآلات المحركة، و هي تماثل الآلات الأوربية.

قتلى ينك جرى :

إن كلمة "ينك جرى" تحمل أهمية كبيرة فى تاريخ الأتراك، أمر الملك الثانى من الملوك الترك سلطان أرخان سنة ٧٦٣ هـ بأن يعد جيش من أسرى الحرب، و سمى هذا الجيش بـ "ينك جرى" أى الجيش الجديد، و ازداد عدد جنود هذه الجيش، حتى أصبح هذا الجيش عماد الملك، و معظم هؤلاء الأسرى كانوا مسيحيين و لكن إخلاصهم للدولة التركية كان أكثر من إخلاص الجنـود الترك، و حينما أراد سلطان المحمود بتنسيق جيشه وفق المبادئ الحربية الأوربية سنة ١٨٢٦م ثار جنود الجيش الجديد، و جرت حرب شديدة بينهم و بين أوفياء الملك، حتى تم تدمير جيش "ينك جرى" و أصابت الجيش الملك كذلك خسائـر فادحـة و قتل رئيس الوزراء و شيخ الإسلام. هذا المكان بنى ذكرى لهذه الحرب الطاحنة، و فيه تماثيل رئيس الوزراء و شيخ الإسلام و قواد جيش ينك جـرى، و الجنود فى صور مخيفة رهيبة مدججة بالأسلحة الحديدية.

المتحف:

هنا متحفان، متحف رسمى يحوى الآثار و النقوش الحجريـة القديمـة و لكن لم أزره. و متحف أسسه التجار المسيحيون، المبنى عادى، و كذلك جميع الأشياء فيه عادية، و الشىء الوحيد الذى يستحق الزيارة هو صور رجال الأجزاء المختلفة من العالم، و هذه الصور نحتت كأنها حقيقية. و رأيت هنا مشهدا مؤلما أثر فى قلبى تأثيرا كبيرا، رأيت فى غرفة صور نساء تجرب عليهن ألوان مختلفة من العذاب ترق لها القلوب و تقشعر منه الجلود، و هذه النساء من البيوتات الشريفة الثرية الأميرة و هن فتيات صغيرات جميلات، كنت أعجب من تلك الأيدى الظالمة التى اقترفت جريمة تعذيبهن، فبحثت عن سبب ذلك فوجدت أنه حينما خربت الدولة الإسلامية فى أسبانيا و قامت على انقاضها الدولة المسيحية أكرهت المسلمين على تغيير الدين، و عذبتهم فى ذلك تعذيبا كبيرا، و تعرضت النساء لتعذيب أكثر، حينئذ قلت فى نفسى: هؤلاء هم المسيحيون الذين يطعنوننا بأن الإسلام انتشر بقوة السيف.

المنتزهات:

و فى قسطنطينية و نواحيهـا منتزهـات بهيجـة كثيـرة، و سكانهـا و أهاليها يتنزهون فيها و يستمتعون بها، وقد عين للنزهة يوم مشهود، و قد زرت بعضا منها.

"خونكر صوى" أجمل منتزهات قسطنطينية و أعجبها و أبهجها، و هى

منسوبة إلى اسم السلطان المعظم، فكلمة خونكر تعنى ملك الزمان، وصوى يراد بها الماء و النبع. و هذا المنتزه يقع على بعد خمسة و عشرين ميلا من المدينة، و قد امتدت سلسلة من الجبال إلى بعيد، و هى خضراء خصبة، و قد جمع هذا المنتزه مشاهد جميلة يزورها الرجال و النساء فى شوق كبير و ازدحام عظيم.

و المنتزه الثاني الذى زرته هو "مقر كوئى" و هو مقهى على شاطئ البحر و موقعه ممتع غريب يروح النفس و ينشطها، و من أعجب ما شهدت هنا أن سبع يهوديات جالسات على مصطبة يغنين أناشيد عربية، و لم أكن أسمع أغانى عربية من قبل فأثرت فيّ تأثيرا كبيرا

سلاملق أو الموكب السلطانى و عيدالأضحى[1] :

ليس فى قسطنطينية شىء اغرب و أعجب و أمتع من "*سلاملق*" و سلاملق كلمة تركية تعنى التحية و السلام، تأتى الجيوش و القواد و تحيى السلطان و تسلم عليه، فسمى هذا التقليد بـ "سلاملق" و السلطان لا يخرج عامة من قصره الملكي، إلاّ لصلاة الجمعة، و يمارس هذا التقليد هنا فى الجامع، و الواقع أن الشوكة و العظمة و الأبهة التى تظهر فى هذه المناسبة يعجز اللسان و القلم من وصفها و رسم صورتها ـ و هذا التقليد ـ مع أنه يمارس فى كل شهر أربع مرات و أصبح بمثابة عادة ـ يزدحم المشاهدون فى عدد كبير جدا يغص بهم المكان ، فيصعدون على الأشجار و أكتاف الناس، و إن السادة الأوربيين حينما يزورون قسطنطينية يشاركون فى مشاهدة هذا التقليد الرائع.

كنت قد سمعت عن روعة هذا الموكب فى الهند فأردت أن أشاهد، وصلت إلى الجامع، لما حضر الموكب السلطانى هتف الناس فى صوت شديد بـ "بادشاه هم چوق يشا" و آذن المؤذن للجمعة.

لما جلس الناس مطمئنين هادئين قام الخطيب، و لكن من الأسف أنه كان تركيا، فلم يكن فى صوته ذلك التأثير الذى ينفرد به العرب، ثم بدأ الخطيب الخطبة الثانية و لما قرأ فى صوت حماسى "اللّهم أنصر هذا السلطان السلطان ابن السلطان، الخاقان ابن الخاقان السلطان عبدالحميد خان، و هو يشير بيده إلى السلطان المكرم، امتلك الأفئدة و سحر النفوس، و دمعت عيناى و جرت الأدعية للسلطان على لسانى.

و بعد الصلاة قامت القوات المختلفة بأداء التحية و السلام على الملك فى مشهد جميل الرائع ساحر، لا أستطيع بيانه. ثم رجعت إلى مقرى بقلب حافل بالحماس و الطرب، و تحركت قيثارتى الشعرية، و ثارت قريحتى، فقيدت الأبيات و هى كلها باللغة الفارسية.

الحالة الخلقية و الاجتماعية للترك:

إني و إن أقمت في تركيا نحو ستة شهور، و لكن جهلي باللغة التركية حال دون اتصالي بسكانها، و كان نطاق أحبتي و أصدقائي لا يتجاوز العرب الشاميين، فلم اطلع على أخلاق الترك و عوائدهم إلاّ اطلاعا عاديا، إنما خبرت أخلاقهم في الكليات و المدارس و المصانع التي زرتها و حين لقائي مع بعض الموظفين الرسميين في مكاتبهم و مساكنهم و المقاهي و تعرفت على بعض الترك في الترامات و القطار.

من أفضل ما يتحلى به الترك من أخلاقهم الكريمة ضيافتهم و دماثة خلقهم. فقد يتصفون بأخلاق رحبة سمحة، لا يشوبها شيء من الاستكبار و الصلف و الافتخار و الازدراء بالآخرين. و يتساوى في هذه الأخلاق الكريمة الأغنياء و الفقراء، و العمال و الأمراء، و العامة و الخاصة، و العلماء و الجهال.

و إذا سئلت أحد منهم عن الطريق في السوق أو الشوارع التفت إليك مهما كانت مكانته الاجتماعية و دلك عليها و قد ضللت الطريق في بعض الطرقات الملتوية الضيقة و تحيرت إذ عرض لي تركي فصحبني إلى حيث كنت أقصد.

إكرام الضيف:

الضيافة و الجود من صفاتهم العامة، و رجال الطبقة السفلى كذلك سابقون إلى الجود و الكرم، و هذه الخصلة الكريمة شائعة فيهم، و عندي ذلك أمثلة كثيرة و نماذج غريبة.

معاشرة الترك:

الترك طبعوا على النظافة، فالأغنياء و الفقراء كلهم يعيشون عيشة نظيفة منظمة لا نشاهد مثلها عند الأغنياء و الأثرياء الكبار عندنا في الهند قد زرت بيوت الذين يتقاضون ألف روبية راتبا شهرياً و بيوت الذين لا يتقاضون إلاّ عشرين روبية و كان بينها اختلاف كبير، و لكنها كلها تشارك في النظافة و جودة النظام و حسن التنسيق. يتناولون الطعام على المنهج الأوربي على الكراسي و الطاولات و إن المثقفين منهم يقلدون أوربا تقليدا تاما. و من عاداتهم أنهم يغلقون أبواب البيوت دائما، إذا ذهب شخص إلى أحد للقائه، طرق الباب أو دق الجرس، و حينئذ يسمح له بالدخول، و بذلك يعملون بقول الله عزّ و جل : *"لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا و تسلموا على أهلها"*.

و أكبر ما أعجبت به من أخلاق الترك أنه ليس فيهم ـ رغم هذه النظافة

و حسن النظام - شيء من المظاهر و الزخارف، و الكلفة و الاصطناع ، حتى إن الأمراء و الوزراء الكبار يحد ن إلى الأسواق فى أزياء عادية، لقد رأيت مركب رئيس الوزراء عدة مرا لا يصحبه إلاّ راكبان أو ثلاثة ركاب.

ثقافة النساء التركيات:

من أكبر الفضائل التي ينبغي أن يقلد فيها الترك و يشاد بها، هي ثقافة النساء عندهم و وصفهن الأجتماعي، إن أوربا و أسيا فى هذه القضية على طرفى النقيض، و لكن الترك انتهجوا منهجا وسطا عادلا جامعا بين محاسنها و بعيدا عن مثالبها فالنساء فى تركيا مثقفات، و لكن لم يتربين على الوقاحة و الخلاعة و الاستهتار و الحرية الجامحة و الرقص، إنهن ملتزمات للحجاب و لكن لسن مسجونات أو أسيرات فى البيوت، فهناك مدارس رسمية و أهلية كثيرة لتعليم البنات مع الاعتناء التام بالاحتجاب و التستر، تدرس فيها إلى جانب العلوم و الفنون اللغة الفرنسية، و قد تعلم الموسيقى فى بعض المدارس. و من أجل انتشار الثقافة فى التركيات قد بدأت بعضهن يكتبن المقالات و البحوث، ففاطمة خانم بنت جودت باشا مؤلفة شهيرة، طبعت لها رواية رائعة باسم "*نساء الإسلام*" و قد نقلت إلى اللغة العربية و الأردية، و مثلها كاتبات و مؤلفات أخر.

إكرامى بالوسام المجيدى:

إن الغازى عثمان باشا هو ذلك القائد الشهير الذى قتل ثمانية آلاف روسى و أصاب منهم عشرين ألفا فى وقعة "بلونا" و كنت قد سمعت عن بطولته الكبيرة فى الهند، فنشأت فى قلبى رغبة كبيرة فى لقائه. ليس فى تركيا من يساويه فى رتبته، فكان الرجاء فى لقائه قليلا جدا. و لكن ذهبت إلى بيته فأذن لى و أكرمنى إكراما بالغا و سألنى عن وضع المسلمين فى الهند إلى وقت طويل، و لما استأذنته فى الرجوع سألنى أن أزوره مرة أخرى.

و إن الغازى عثما اع كبير، يتراوح عمره مابين الستين و السبعين، و لكن ليس عليه أثر الكبر، يعرف اللغة الفارسية و العربية، فقد كان عاملا على اليمن، و السلطان لا يعتمد على أحد أكثر مما يعتمد عليه، فلا يبعده عن نفسه حتى أن السلطان حينما يأتى لصلاة الجمعة و العيد، لا يجلسه أحدا غيره بجواره فى السيارة.

زرته مرة أخرى و قلت له: سوف أغادر قسطنطينية في بضعة أيام ، فقال لى: ألقنى قبل السفر، و خلال هذه الفترة سأل السلطان بمنح الوسام المجيدى لي، فوافق السلطان على ذلك ، و لم يكن لى خبر بذلك، كنت

قائلا فى بيتى يوما عند الظهيرة إذ جاءنى صديق لى يسعى، و أيقظنى و قال: "يا شبلى و الله لقد طلع لك النيشان" فعجبت من ذلك ، و قلت : من أين لك هذا ؟ فقال: قد نشرت ذلك جميع الصحف و الجرائـــد، ثم جاءنـــى أحبتـــى، يرحبوننـــى، و ذهبت إلى الباشا للقاء الاخير، فرحـب بـــى، و منحنـــى الوسام المجيدى، و أهدى إلىّ صورة له كتب عليها بخطه : "أهديت صورتى هذه لشبلى النعمانى آفندى". و هذه الصورة موجودة عندى الآن، و أراها كرامة عظيمة، و منح لى المرسوم التالى مع الوسام المجيدى:

ترجمة المرسوم العالى

[يرى أن شبلى النعمانى آفندى المعلم الأول بدار المعلمين بعليجراه يستحق التشريفات السلطانية ، فاصدر المرسوم بمنحه الوسام المجيدى ذات الرتبة الرابعة، أصدر هذا المرسوم العالى كشهـادة لـــه ، ١٤ / محرم الحرام سنة ١٣١٠هـ]

مغاردة قسطنطينية:

أقمت فى قسطنطينية ثلاثة شهور بكاملها ، فسئمت نفسى أخيرا فغادرتها و ودعت أحبتى و أصحابى ، و صحبنى فى هـــذه الرحلـة الشيخ علي ظبيان ، و كان راجعا إلى وطنه. وصلت باخرتنا إلى بيروت فى اليوم السابع، نزلنا عنها ناويا أن أرجع بعد برهة قليلة ، و لكن عرفت فيما بعد أن الشيخ طاهر المغربى مقيم فى هذه الأيام فى بيروت، فاتفق رأينا على أن أقيم أياما فى بيروت أتشرف فيها بلقاء الشيخ و آزور المراكز العلمية

بيروت:

هى مدينة قديمة جدا ، لا يحدد المؤرخون بداية عهدها، و لكنهم يتفقون على وجودها قبل ميلاد المسيح عليه السلام. حينما تولى اسكندر سفبروس عرش مملكة رومة الكبرى أسس بها جامعة كبيرة لتعليم الحقوق و الشريعة، ظلت ذائعة الصيت إلى قرون عديدة ، ثم استولى عليها المسلمون سنـة ١٣ هـ ، و لكنها خرجت من أيديهم عدة مرات إلى أيدى المسيحيين حتى افتتحهـا سلطان سليم الأول سنة ١٥١٧م ، و ظلت منذ ذلك الحين تحت سلطة الترك.

ازدهارها الحديث:

يرجع تقدمها الحديث إلى سنة ١٨٤٢م. و لا تزال التجارة و العمارة فى ازدياد مستمر منذ ذلك الوقت، كان عدد سكانها أربعين ألفا قبل عشرين سنة،

و بلغ سبعين ألفا سنة ١٨٧٥م ، و الآن يصل العدد إلى مأة ألف ، و سبعة ألف و أربع مأة ، منهم ٣٣٠٠٠ مسلم ، و البقية مسيحيون، و بعضهم من اليهود و الدروز، و الجانب القديم من المدينة في حال سيئة جدا. فالشوارع و الطرقات ضيقة و غير ممهدة، و البيوت منخفضة و غير فسيحة ، و لكن الجانب الحديث ذات بهاء و جمال و فيه فنادق و رباطات و مقاه ، و هناك مقهى في وسط البحر في موقع جميل.

و اللغة هنا عربية، ينطق بها المسيحيون و اليهود كذلك و كذلك الأزياء و المظاهر عربية، و بدأت الطبقة المثقفة بالثقافة الحديثة تلبس الزى الانكليزى.

و هناك جبل شهير معروف بلبنان ، جوها رائع و طيب، و قد قال المتنبى عنها:

و عقاب لبنان و كيف يقطعها　　　و هى الشتاء و صيفهن شتاء

التقدم العلمى فى بيروت و مدارسها:

بدئ التقدم العلمى فى بيروت منذ مدة قليلة و لكن سير التقدم سريع جدا، حتى أصبحت لا تضاهيها بلدة غير قسطنطينية، بل و قد تفوقها فى بعض الجوانب.

الاهتمام باللغة العربية:

عنيت جماعة من المسيحيين باللغة العربية عناية بالغة ، و تستحق منا كل تقدير و اعتراف، و قد وفروا الدواوين القديمة و طبعوها فهؤلاء المسيحيون هم الذين قاموا بطبع دواوين الخنساء، و عنترة بن شداد العبسى و اسماعيل أبى العتاهية، و ابن هانى، و أبى فراس، و غيرهم، و قد اشتد اهتمامهم بالشعراء النصارى ، و قد بدأ وا طبع سلسلة لهم ، و صدرت ثلاثة أجزاء ، و ستصدر قريبا الأجزاء الباقية، و هى تشتمل على شعراء الجاهلية و الإسلام ، و قد قاموا كذلك بطبع ديوان الأخطل النصرانى الشاعر الأموى.

و هؤلاء المسيحيون قاموا بتأليفات قيمة فى مجال الأدب، فقد طبعت لهم كتب روضة فى طبقات شعراء العرب، و مجانى الأدب، و شرح مجانى الأدب. و الذوق الأدبى هنا عام ، حتى أن الأطفال يقرضون الشعر، و هناك كثير من الناس لهم دواوينهم الشعرية ، و أما أولئك الذين كتبوا خمس أو عشر قصائد فقد يبلغ عددهم المآت و الألوف.

العلوم و الفنون الحديثة:

و هناك تقدم كبير للعلوم و الفنون الحديثة، فقد ترجمت معظم كتب العلوم و الصنائع الحديثة ، و المقررات الدراسية فى الكليات الكبيرة موفرة فى اللغة العربية، و إنما علم الطب يدرس فى اللغة الفرنسية، لأن التجارب الطبية فى تقدم كبير، و الكتب الحديثة فى الطب تصدر فى وفرة تعجز عنها الترجمة. و لم يكن هناك كتاب يسمى موسوعة أو دائرة المعارف فقام بهذه الحاجة الأستاذ بطرس، و بدأ هذا العمل الجليل سنة ١٨٧٥م ، و كتب عدة مجلدات حتى وافاه الأجل، ثم أراد ابنه سليم أفنـدى اتمامهـا، و لكنـه كذلك لم يمهله الأجل، و الآن يشتغل ابن الاستاذ الثانى نجيب أفندى بإتمام المجلدات الباقية ، و قد طبعت إلى الآن عشرة مجلدات ضخم.

المؤلفات التاريخية :

قد ألفت كتب نافعة قيمة عن التاريخ و فروعه ، هؤلاء يتضلعون من اللغة العربية و اللغات الأوربية على السواء ، فتتصف مؤلفاتهم بذلك الشمول الذى لا يتصف به الأوربيون، و كتاب "*آثار الأدهار*" شاهد عدل على هذا الشمول و الدقة ، و لكن من الأسف الشديد أن مؤلفات هؤلاء المسيحيين مليئة بالعصبية الدينية، و تظهر العصبية بوضوح فى أمثال كتاب "*صناجة الطرب*" و "*أصول المعارف*".

هؤلاء المؤلفون أكثرهم من لبنان، و فيهم الوافدون من بيروت إلى لبنان، و قد ولد فى هذه المنطقة كتاب و مؤلفون كثيرون و قد أفرد كتاب بأحوال علماء لبنان و شعرائها ، و لكن الأسف الشديد على أن هذا التقدم العلمى و التأليفى إنما يختص بالمسيحيين ، و لا حظ فيه للمسلمين.

المدارس هنا كثيرة ، و الشهيرة منها حسب ما يلى:

١- المدرسة الإسرائيلية : للطائفة الإسرائيلية عدد طلابها ٩٧ و أسست سنة ١٨٧٥م.

٢- المدرسة الإعدادية: للمسلمين ، و عدد طلابها ١٥٠ ، أسست سنة ١٨٨٢م.

٣- المدرسة الاكليريكية : للأرثوذكسيين الروم.

٤- *المدرسة البطريركية*: للكاثوليكيين الروم عدد طلابها ١٣٧ ، أسست سنة ١٨٦٦م.

٥- مدرسة *الحكمة*: للطائفة المارونية ، عدد طلابها ٢٢٥ ، أسست سنة ١٨٧٦م.

٦- مدرسة الراهبات : للاطينيين ، عدد طلابها ١١٥.

٧- الكلية السورية العلمية : للطائفة الانجيلية، و سيأتى ذكرها بشيء من التفصيل ، أسست سنة ١٨٧٥م.

٨- الكلية السورية الطبية : للطائفة الانجيلية.

٩- مدرسة قدائن: يوسف للاطينيين.

و هناك مدارس كثير لتعليم البنات، أشهرها:

١- مدرسة باكورة الإحسان: للأرثوذكسيين الروم

٢- مدرسة الراهبات البروتستينات: للطائفة الانجيلية ، عدد طالباتها ٢٥٠.

٣- مدرسة العاذريات اليتامى : للاطينيين.

٤- مدرسة العاذريات المحبة: للاطينيين

٥- مدرسة العاذريات الناصرية : للاطينيبن عدد طالباتها ١١٥.

٦- المدرسة السورية الأميركانية : للطائفة الانجيلية.

و نثبت فيما يلى خريطة للمقارنة بين الوضع التعليمى للمسلمين و الوضع التعليمى للأمم الأخرى.

	المسلمون	المسيحيون و اليهود و غيرهم
عدد المدارس	٢١	٤٦
عدد المدارس النسوية	٣	٣٣
عدد المدرسين	٥٠	٣٣٧
عدد المدرسات	٢٠	١٥٠
عدد الطلاب	٢٠٠٠	٦٧٣٠
عدد الطالبات	٥٠٠	٥٦٦٥

فعدد الطلاب المسلمين قليل جدا، و مما يزيدنا أسفا و حزنا أن معظم هؤلاء الطلاب المسلمين يتعلمون فى الصفوف الابتدائية ، و أما طلاب المراحل العالية ، فعددهم أقل من ذلك بكثير. و على كل فالجوانب الحضارية و الثقافية كلها يفوق فيها المسيحيون المسلمين بكثير و لا نسبة بينهم.

الكلية السورية العلمية:

هذه الكلية جامعة و كلمة الكلية تعني هنا الجامعة، أسسها الأساقفة الكاثوليكيون سنة ١٨٧٥م ، و الأساتذة و المدرسون فيها نحو ستين.

إني قمت بزيارة هذه الكلية مع الشيخ علي ظبيان، و عبدالباسط آفندى، و مبنى الكلية ذات طابقين ، و فى الطابق الأسفل مطبعة ، و هى المطبعة التى ذاع بها صيت بيروت فى العالم كله.

و بعد زيارة المطبعة اتجهنا إلى الكلية ، و قابلنا أولاً الأستاذ أنطون و هو رجل ألمعى ذو كفاءة نادرة ، يجيد اللغة الفرنسية ، و هو أستاذ الأدب العربى و هو الذى عنى بتصحيح و طبع ديوان الأخطل، و قام بكتابة التعليق عليه ، و هو الذى يرأس تحرير الصحيفة الأسبوعية للكلية *"البشير"* و جال بنا جميع مبانى الكلية و آلاتها و وسائلها. و الواقع أن هذه الكلية مفخرة للمسيحيين، ليس فى مصر و الشام و قسطنطينية كلية تضاهيها.

تدرس فى الكلية العلوم الحديثة على مستوى رفيع جدا. و وفرت فيها وسائل و آلات ثمينة غالية. و إن الكتب التى لم تطبع و ليست لها نسخ قديمة، تهتم الكلية باستنساخها من المكتبات الشهيرة فى آسيا و أوربا ، و لقد رأيت هنا "كتاب العمدة" لابن رشيق القيرونى، و هو كتاب قيم نادر جدا. و من المواد اللازمة فى هذه الكلية تدريس اللغتين العربية و الفرنسية. كما تدرس هنا اللغات التركية و الألمانية و الانكليزية و اللاتينية و اليونانية، و عدد طلابها يتراوح بين خمسمائة أو ستمائة طالب، و ليس عدد الطلاب المسلمين فيها إلاّ ثمانية أو عشرة.

و لهذه الكلية كلية طبية ، و لكن مبناها على بعد منها. و زار بنا الأستاذ أنطون مبناها كذلك. و هو مبنى واسع ، فسيح رفيع، و الآلات فيها غالية و كثيرة ، غرفة التشريح تحوى صورة كل عضو بشرى و نماذج كل عضو بقدر الأمراض يمكن أن تصيبه ، ففى خانة نحو مائتى عين.

و يبدو أن الأستاذ أنطون سرّ بلقائى، فصحيفة *"البشير"* التى صدرت فى ذلك الأسبوع كتبت عنى:

> *اجتمعنا فى هذه الأيام على حضرة العالم الشيخ شبلى النعمانى المعلم الأول للعلوم العربية فى بلدة عليجراه من بلاد الهند، فرأينا فيه رجلا كثير المعارف و هو جائز النشان المجيدى من الرتبة الرابعة، أقام فى الأستانة العلمية مدة ثلاثة شهور، و حضر إلى بيروت و توجه هذا النهار إلى زيارة بيت المقدس ثم منها إلى مصر، ثم إلى بلاد الهند.*

الجمعيات و الصحف:

الجمعيات هنا كثيرة ، و لكن العجب كل العجب أن ليست منها جمعية للمسلمين ، و نثبت فيما يلي أسماء الجمعيات الشهيرة و أهدافها:

١- المجلس الملّي للأرثوذكسيين الروم ، و هي جمعية خيرية أسسها مطران عفرائيل.
٢- التعليم المسيحي للأرثوذكسيين الروم ، و هي جمعية دينية ، أسسها مطران عفرائيل.
٣- جمعية القديس بولس الرسول للأرثوذكسيين الروم، و هي كذلك جمعية دينية و أسسها مطران عفرائيل.
٤- الجمعية الخيرية للأرثوذكسيين الروم، أسسها خواجه سليم لمساعدة الفقراء.
٥- جمعية المرضى للأرثوذكسيين الروم أسسها خواجه نجيب لمعالجة الفقراء.
٦- جمعية دفن الموتى للأرثوذكسيين الروم أسسها خوري يعقوب لدفن و تكفين الفقراء و البائسين و المجهولين.
٧- جمعية زهرة الإحسان للأرثوذكسيين الروم أسسها السيدة طريقة للأدب و الفن.
٨- الجمعية الخيرية للطائفة المارونية أسست لمساعدة الفقراء.
٩- جمعية الدائرة العلمية للطائفة المارونية ، أسسها مطران يوسف لإزدهار العلوم.
١٠- جمعية أحوية مارمارون ، للطائفية المارونية ، أسسها سليم أفندي للأدب و الفن.
١١- جمعية يوخامارمارون للأرثوذكسيين الروم ، جمعية خيرية أسسها خواجه جليل.
١٢- الجمعية الخيرية للكاثوليكيين الروم أسسها بشارة خوري لمساعدة الفقراء.
١٣- جمعية ديرالقمر للكاثوليكيين الروم أسسها خواجه نخلة لمساعدة الفقراء.
١٤- جمعية شمس البر للمسيحيين أسسها سليم أفندي كساب للأدب و الفن.
١٥- الباكور السورية للمسيحيين أسستها السيدة حسنة عتيق للأدب.
١٦- الجمعية الانجيلية للطائفة الانجيلية أسسها خليل أفندي سركس.

و من أشهر الصحف و المجلات التى تصدر فينا "البشير" و "بيروت" و "التقدم" و "ثمرات الفنون" و "الصبح المنير" و "الصفا" و "لسان الحال" و "المصباح" و "الهداية" و "النشرة الأسبوعية" و "حديقة الأخبار" و ليس للمسلمين إلاّ صحيفة "بيروت" و "ثمرات الفنون".

المرصد:

و هنا مرصد صغير أسسه البروفيسور فان ديك الأمريكانى سنة ١٨٧٤م، و فيه آلات ضرورية للرصد، و يقوم على شئونه الآن المستر روبرت و هو أستاذ الحساب فى المدرسة الأميركانية.

الوضع العالم لبيروت و أصدقائى:

كان الغرض الأساسى من إقامتى ببيروت لقاء الشيخ طاهر المغربى، فاتصلت به عن طريق عبدالباسط الأنسى، و دام مجلسنا العلمى إلى وقت طويل، ثم لقيته مرتين أو ثلاث مرات ، و زارنى مرة فى منزلى، الشيخ شاب و لكن الناس يجلونه من أجل مكانته العلمية ، و الشيخ ليس متزمتا كعامة العلماء بل فكره واسع، و له معرفة باللغة الفرنسية. و قد زار فرنسا ، و له اهتمام كبير بوضع المسلمين ، و هو مدرس فى مدرسة دمشق ، و قد ألف بعض الكتب.

و تشرفت بلقاء بعض علماء بيروت، كنت أجلس على دكان عبدالباسط الانسى و كان العلماء و الأدباء يأتون هنا ، فيجرى بيننا التعارف ، و الحديث ، و لما ذاع صيتى أصبح العلماء و الطلاب يزوروننى فى منزلى، و مرة جاءنى طالب و سألنى عن المتنبى فقلت: له حسنات و سيئات فقال: و الحسنات يذهبن السيئات، فأعجبت برده إعجابا كبيرا.

و هنا أصابتنى حمى شديدة، و شفيت منها قليل، و من أجل هذه الحمى لم أستطع زيارة طرابلس، و هنا ودعنى الشيخ علي ظبيان ، فعانقنى و قبّل بين كتفى و هو يتمثل بقول الشاعر:

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عوار

مغادرة بيروت:

غادرت بيروت مساء الثامن من صفر سنة ١٣١٠ هـ ، و وصلت الباخرة إلى يافة فى اليوم التالى، و يافة مدينة قديمة ورد ذكرها فى التوارة و ذكر بعض المؤرخين وجودها قبل طوفان نوح، و استولى عليها المسلمون سنة ١٣ هـ

فى خلافة عمر رضى الله عنه، و هى مدخل بيت المقدس.
الفواكه هنا كثيرة و رمانها طيب جدا و رخيص، و خارج المدينة سلسلة من الجنات تمتد إلى ثلاثة أميال، و يبعد عنها بيت المقدس نحو اربعين ميلا.

بيت المقدس:

تقع القدس على الجبل، أقمت بها نحو أسبوع و زرت المسجد الأقصى و القمامة. اشتهرت القدس فى التاريخ من أجل نسبتها إلى داؤد و سليمان عليهما السلام. و لكنها كانت على ظهر الأرض قبل ذلك بكثير، استولى عليها داود قبل المسيح بـ ١٠٤٨ سنة ، و اتخذها عاصمة لدولته، و لم تزل منذ ذلك الوقت مركزا لأهم الأحداث التاريخية. و لا يزيد عدد السكان
ألفا، و المنازل و الأبنية عادية ، و الشوارع كذلك
يحيط بها سوْر أقامه السلطان سليمان الأعظم سنة ١٥٤٣م ، و لكن الجانب الجديد من المدينة جميل و بهي ، و الشوارع واسعة فسيحة، و لغة المدينة عربية ، و الأزياء العامة عربية، و هنا كذلك زوايا و تكايا كثيرة ، مناخها رائق و طيب جدا ، الفواكه و الثمار كثيرة ، و لها حلاوة فائقة.

المسجد الأقصى:

هذا هو المسجد المبارك الذي أسسه داود و بناه سليمان عليهما السلام و حرم المسجد واسع جدا. طول المسجد ألف ذراع ، و عرضه سبع مائة ذراع ، و هو فى غاية من الجمال و البهاء و الأبهة ، و سقفه على الأعمدة ، و فيه نحو سبع مائة عمود من الرخام ، هذا المبنى الموجود بناه عبدالملك بن مروان ، و يقال إن أسسه من عهد داود عليه السلام، و فى حرم المسجد أمكنة مباركة كثيرة ، منها قبة السلسلة و قبة المعراج ، و قبة النبى صلى الله عليه و سلم ، و لكن أجملها و أفخمها قبة الصخرة التى يجلّها الناس إجلالا كبيرا، و يزعمون أنها معلقة بين الأرض و السماء ، و إن العرش الالهى يوضع عليها يوم القيامة.
و من المشاهد المقدسة الشهيرة هنا بيت لحم و هو مولد عيسى المسيح عليه السلام ، و مقام الخليل حيث قبور ابراهيم و اسحاق و يعقوب عليهم السلام ، و وادى جهنم حيث دفنت مريم عليها السلام.
القمامة : هذا هو المكان الذى تدفقت له أوربا كلها فى زمن من الأزمان ، هذه كنيسة واسعة. و يعتقد المسيحيون أن المسيح عليه السلام صلب فى هذا المكان و دفن فيه و من هنا نقل إلى السماء ، يدير شئونها الآن المسيحيون، و لكن بوابها مسلم ، لأنها ذكرى انتصار صلاح الدين الأيوبى على

شوارعها واسعة و المنازل رفيعة جميلة. و حينما كنت أتجول فى أسواقها البهيجة الفسيحة خيل إليّ كأنها مدينة بومباى، و المقاهى هنا كثيرة ، و ملابس النساء هنا فى غاية من الوقاحة و الاستهتار . و الدناءة هنا عامة فى أخلاق عامة الناس، فقد يتوسلون بالحسين رضى الله عنه و الشيخ عبدالقادر الجيلانى فى أداء أثمان الأمتعة العادية و المتسولون و المتسولات هنا كثيرون، و يلتزمون بالمارة و يسألون إلحافا.

الوضع التعليمى فى مصر:

لاشك أن الوضع التعليمى فى قسطنطينية يفوق فى اتساع نطاقه و ازدهاره القاهرة و مصر، و لكن التقريرات التعليمية تنشر هنا بشىء من التفصيل. و هنا كذلك منهجان للتعليم قديم و حديث، يختلف كل واحد منهما عن غيره اختلافا كبيرا أدى إلى إصابة الضرر بكليهما، و المنهج الحديث فى تقدم مستمر و لكن بالرغم من ذلك لا يتجاوز عدد الطلاب جميع المدارس و الكليات فى القاهرة و نواحيها عشرة آلاف. بينما نرى أن عشرة آلاف طالب يتعلمون فى جامع الأزهر وحده.

و أثبت فيما يلى خريطة إجمالية للمدارس و الكليات فى القاهرة ، و هى قائمة على أساس تقرير سنة ١٨٨٨م:

إسم المؤسسة التعليمية	النفقات السنوية	عدد الطلاب	عدد الطلاب الذين يتقاضون المنح
١- مدرسة الطب	٨٤١٢ جنيه	١٨٢	٢٢
٢- مدرسة الولادة	٨١٦ جنيه	١٨٢	x
٣- مدرسة الهندسة	٤١٤٠ جنيه	٣٣	١٨
٤- مدرسة الحقوق	٤١٤٢ جنيه	٦٢	١٨
٥- دار العلوم	١٥٢٦ جنيه	٥٤	٣٧
٦- مدرسة الترجمة	١٤٣٥ جنيه	٣٠	٢
٧- مدرسة الصنائع	٧٨١٩ جنيه	٢٧٠	x
٨- المدرسة التوفيقية	٦٤١٨ جنيه	٢٨٨	١٥
٩- المدرسة التجهيزية	٧٧٥٤ جنيه	٣٣٠	x
١٠- مدرسة المبتدئين	٤٢٨٣ جنيه	٢٥٨	x
١١- مدرسة الاسكندرية	١٣٦٨ جنيه	٢١٤	x
١٢- مدرسة المنصورة	١٢٩٤ جنيه	١٤٣	x

و هناك عشرون مدرسة خصوصية غير هذه المدارس الرسمية تتبعها فى المقررات و المناهج الدراسى.

و هنا مراحل ثلاث للدراسة:

١- المرحلة الابتدائية: و فيها أربعة صفوف،

٢- المرحلة التجهيزية: و تأتى فى الرتبة بعد المرحلة الابتدائية و فيها خمسة صفوف،

٣- المرحلة الخصوصية: أى صفوف الحقوق و دار العلوم.

و فى المدارس التجهيزية تدرس اللغة الفرنسيـــة أو اللغــة الانكليزيـة و قرر منذ سنة ١٨٨٨م أن تدرس الجغرافيا و التاريخ و العلوم الطبيعية باللغة الفرنسية أو اللغة الانكليزية كمواد لازمة فى هذه المدارس ، و أصدرت وزارة المعارف الأمر بأن ينتدب الأساتذة الأوربيون لتدريس هذه المواد.

و نتحدث فيما يلى بشىء من التفصيل عن المدارس و الكليات الكبيرة:

دارالعلوم: إن الكلية التى أعجبت بها فى مصر بل فى جميع البلدان الإسلامية و التى أراها بلسما شافيا لجروح المسلمين هى هذه الكلية ، قد ثبت فى نفسى و ارتسخ فى فكرى أن المسلمين مهما تقدموا فى العلوم الغربية لن يسمى تقدمهم تقدما إسلاميا ماداموا لا يصطبغون بصبغة العلوم الشرقية، لاشك فى أن المشروع الراهن للعلوم الشرقية مختل اختلالا كبيرا ، و لكنه يتضمن أشياء هى بمثابة مقومات روح القومية الإسلامية.

إن الكارثة التى مازلت أتفجع عليها فى الهند فوجئت بها فى قسطنطينية و بيروت و مصر كذلك، فالثقافة الحديثة بعيدة من القومية الإسلامية و الصبغة الدينية، و التعليم القديم عاجز عن مسايرة العصر الحديث و متطلباته، و إنما هى دار العلوم التى تحاول الجميع بينهما ، و لكن من الأسف أنها لم تحرز نجاحا تاما.

أول مـــن راوتـــه فكرة هـذه الكلية هو العالم المصرى المتنور الشهير علي باشا مبارك الذى اكتسب العلوم الشرقية و الغربية، و يجيد اللغات الأوربية المختلفة، و قد كان من المسئولين فى وزارة المعارف المصرية، و إن مؤلفاته التاريخية قد انتشرت فى جميع بلدان العالم الإسلامى، و هى نافعة جدا، كان قد حاول إصلاح نظام جامع الأزهر و لكن شيوخه لم يرضوا بذلك، فقام بتأسيس هذه الكلية. و من شروط الالتحاق بهذه الكلية أن تتوفر فى الطالب قدرة لائقة على النحو و الصرف و الفقـــه و أصول الفقـــه ، والتفسيـر و الحديث. و مدة الدراسة أربع سنوات.

و فيما يلى جدول المقررات الدراسية فى السنوات المختلفة :

المواد الدراسية	السنة الأولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة
الفقه	٥ حصص في الأسبوع	٥ حصص في الأسبوع	٥ حصص في الأسبوع	٥ حصص في الأسبوع
التفسير	+	+	حصتان	حصتان
التاريخ الطبيعي	حصتان	حصتان	+	+
علوم البلاغة	حصتان	حصتان	+	+
أصول الفقه	+	+	حصتان	حصتان
الحكمة العملية	حصة واحدة	+	+	+
الجبر والمقابلة والحساب	٤ حصص	٤حصص	٤ حصص	٤ حصص
الجغرافيا	حصتان	حصتان	حصتان	حصتان
التاريخ العام	حصة واحدة	حصة واحدة	حصة واحدة	حصة واحدة
الانشاء العربي	٣ حصص	٣ حصص	٤ حصص	٤ حصص
الخطوط المختلفة	٤ حصص	٤ حصص	٤ حصص	٤ حصص
الرســـــم	حصة واحدة	حصة واحدة	+	+
آداب اللغة العربية	+	+	٣ حصص	٣ حصص
العلوم الطبيعية	+	+	حصتان	حصتان
الحديث والكلام والمنطق	+	حصتان	حصة واحدة	+
النحو والصرف والعروض و القوافي	٣ حصص	حصتان	+	+

والذين يتخرجون من هذه الكلية يفوزون بمناصب رسمية رفيعة ، و حينما زرتها كان عدد الطلاب أربعة و خمسين، و معظهم كانوا خريجى الأزهر الشريف، و قد اختير للتدريس و إلقاء المحاضرات أساتذة أفذاذ.

ويكفى للشهادة على كفاءة طلاب هذه الكلية قصة واحدة و هى أنى حينما ذهبت لزيارتها طلب سكرتيرها أحمد بك نظيم طالبا أسمه أحمد قوصى، و سأله أن يجلس بقلمه و محبرته و أن يقرض أبياتا فى شأنى ، فكتب الأبيات التالية و أنشدها:

محمد أنت شبلى المعالى   لقد فقت الورى و علوت قدرا
و قد آليتنا شرفا و فضلا   بتشريف زيارة أرض مصرا
فلا زلنا نراك بكل أنس   تزيد تفضلا و نزيد شكرا

مدرسة الحقوق:

من شروط الالتحاق بهذه الكلية أن يتجاوز عمر الطالب ست عشرة سنة، و فائز الشهادة المرحلة التجهيزية و يتصف بسيرة مرضية ، و أن يكون صحيح الجسم و البنية.

مدة الدراسة فيها أربع سنوات، و المقررات الدراسية حسب ما يلى:

١- السنة الأولى: اللغة العربية ، و اللغة الفرنسية ، و الترجمة ، و مسك الدفاتر، و الشريعة الإسلامية، و قانون القضاء و المحكمة ، و القانون العام ، و مبادئ السياسة العامة.

٢- السنة الثانية: المواد المتقدمة، و القانون الجنائى الرومى.

٣- السنة الثالثة: المواد المتقدمة ، و الاقتصاد السياسى، و التعزيرات و المرافعات المدنية و التجارية.

٤- السنة الرابعة: الشريعة الإسلامية ، و الاقتصاد و السياسى، و المرافعات و قانون التجارة ، و قانون القضاء ، و قانون الدولة.

مدرسة الترجمة :

إن فى مصر تاثيرا كبيرا للغتين الفرنسية و الانكليزية، و الانكليز و الفرنسيون هم الذين يمتلكون المناصب والوظائف الكبيرة الخطيرة و يحتاج المصريون إلى تعلم اللغتين حتى يساعدوهم فى العمل، فأسست هذه المدرسة للقيام بهذا الغرض، ثم وسع نطاق مشروعها سنة ١٨٨٨م ، و ألزم منها بجانب تعليم اللغات العربية و التركية ـ الفرنسية و الانكليزية تدريس الجغرافيا و التاريخ و الحساب، و الهندسة و الجبر و العلوم الطبيعية و الكيمياء ، والفقه و التوحيد ، و هذا المواد كلها غير الفقه و التوحيد تدرس باللغة الفرنسية ، و بعضها تدرس باللغة الانكليزية.

مدرسة الطب:

هذه كلية كبيرة جدا. و نفقاتها السنوية تزيد على مائة ألف ، و مبنى الكلية واسع فسيح، و تكثر فيها قاعات المحاضرات الواسعة. يتخرج منها كل سنة جماعة كبيرة ، و يبعث نخبة منها إلى أوربا للاختصاص في بعض الفروع. و جميع المقررات الدراسية في هذه الكلية باللغة العربية و هي مترجمة من اللغة الفرنسية وغيرها من اللغات الأوربية. و عدد الأساتذة فيها ، و ثلاثة منهم

المتعلمون في أوربا:

و ترسل كل عام بعثات خارجية للدراسة في أوربا، و الحكومة المصرية تتحمل نفقات سفرهم و إقامتهم . و لكن هذه البعثات التعليمية لم تكن ذات نفع كبير ، فأجريت بعض التغييرات في هذه السياسة و قرر أن الطلاب الذين يبعثون إلى أوربا لا تزيد أعمارهم على إثنى عشر عاما. و يرافقهم علماء يقومون بتعليمهم الدينى و تربيتهم الإسلامية في أرض أوربا.

و بلغ عدد الطلاب المبعوثين الذين تتكفلهم الحكومة المصرية خمسة و عشرون و عدد الطلاب المعتمدين على نفقاتهم الشخصية اثنين و خمسين سنة ١٨٨٨م

جامع الأزهر:

هذا هو الجامع الذى ليست جامعة في العالم أقدم منه . هذا أول جامع أسس في القاهرة سنة ٣٥٩ هـ ، و تم بناؤه سنة ٣٦١ هـ ، و ثم بنى الخليفة العزيز بالله منازل للطلاب بجواره و أجرى الجراية لخمسة و ثلاثين طالبا، و جدد الحاكم بأمرالله مبنى المسجد سنة ٤٠٠ هـ ، و وقف لنفقاته ضيعة ١٦٧ دينارا سنويا ، و أسس الأمير طواشى كتابا خاصا لليتامى سنة ٧٦١ هـ ، و وقف صيغات كبيرة للطلاب. حتى أصبح مركزا علميا كبيرا، حتى تجاوز عدد طلابه سبع مائة سنة ٨١٨ هـ. و اليوم ليست في العالم جامعة تضاهية في كثرة عدد الطلاب، يقيم في المسجد نحو أربعة آلاف طالب، و كثير من الطلاب يسكنون في المساجد المجاورة. فعدد جميع الطلاب و المتعلمين فيه يتجاوز اثنى عشر ألفا، و لطلاب كل بلد غرفات تسمى الرواق، و كثير من الطلاب ليست لهم غرفة يسكنون فيها.

و حينما زرت هذا المسجد أول مرة سمعت ضجة من بعيد فلما دخلت رأيت جماعات من الطلاب، و المدرسون يلقون عليهم الدروس، و كل مدرس

يتحلق حوله نحو أربعين طالبا أو أكثر، و عدد هذه الحلق لم يكن أقل من ثلاثين أو أربعين، و كانت متقاربة فكانت الأصوات تختلط، و عدد المدرسين يتجاوز الأربعين، و المدرس الأول و الذى يسمى بشيخ الأزهر رجل مكرم محترم.

لم أتأكد من شقاء المسلمين فى رحلتى هذه بشىء مثلما تأكدت منه بجامع الأزهر، فهذا المركز العلمى الكبير الذى يقصده الطلاب المسلمون من كل صوب، و تتجاوز نفقاته السنوية ثلاث مائة ألف ، و يزيد عدد طلابه على اثنى عشر ألفا كان معقد آمال كبيرة ، و لكنه من الأسف الشديد قد أضاع مآت الألوف من المسلمين، و إن منهجـه التربـوى يميت الطمـوح و علـو النظـر، و الحماس و العزيمة و جميع النعوت الحميدة، و الصفات البشرية، لقد رأيت هنا طالبا يتمتع أقربوهم بمناصب و وظائف كبيرة و يتكفلون نفقاتهم و لكنهم لا يستحيون من التسول فى الأسواق و سؤال الناس قطع الخبز هل يرجى من هؤلاء أن يزيدوا الإسلام عظمة و شوكة.

و أكبر ما تأسف عليه منهاج الأزهر التعليمى، و هنا تركز العناية كلها على تعليم النحو و الفقه ، و عنيت لهما ثمانـى سنـوات، و لاحـظ للمنطـق و الفلسفة و الحساب و العلوم العقلية فى مقرراته، و يدرس هنا أصول الفقـه و التفسير و الحديث و النحو و الفقه تركز عليهما كل الجهود، و لكن تعليمهما فارغ من منهج التحقيق و الاجتهاد إنما يرد دون شروح الكافيـة و تعليقاتهـا و حواشيها ، و من آثار هـذا المنهج البالى أن لم ينتج الأزهر كاتبا أو مؤلفـا أو عالما كبيرا منذ مدة طويلة.

و مـن الأسف أن ليس للتعليـم نظـام ، فليس هنـا تقسيم الصفـوف و المراحل ، و لا منهاج و لا امتحان ، و لا اهتمام لهم بإصلاح هذا النظام.

المكتبة الخديوية:

هذه مكتبة كبيرة ، و تفوق جميع المكتبات فى قسطنطينية فى نظامها و تنسيقها و جمالها و بهائها و حسن إدارتها ، مبناها فخم و واسع. و له أقسام مختلفة. أسست هذه المكتبة سنة ١٢٨٦ هـ ، و حولت إليها كتب جميع المكتبات الصغيرة فى القاهرة و الاسكندرية.

و أثبت فيما يلى أسماء بعض الكتب القيمة النادرة فى هذه المكتبة:

التفسير: *أحكام القرآن* لأبـى بكـر الجصاص (المتوفى: ٣٠٥ هـ) و *أحكام القرآن* لابن العربـى ، و *أحكام القرآن* لكياالهراسـى (المتوفى: ٥٠٤ هـ) و *اعراب القرآن* للنحاس النحـوى (المتوفى: ٣٣٨ هـ) و *إعجـاز القـرآن* للباقلانـى ، و *البحر المحيط* لابن حبـان الاندلسى و *البرهـان* للشيخ أبـى الحسن الأوحـدى (المتوفى: ٤٣٥ هـ) فى عشر مجلـدات، و *البسيط* للواحـدى، و تنزيه *القرآن* للقاضى عبدالجبار المعتزلى، و *جامع البيان فى تأويل القرآن*

لمحمّد بن جرير الطبرى فى أحد و عشرين مجلدا، و تفسير ابن الجوزى فى أربعة مجلدات، و تفسير الحافظ عبدالرزاق بن همام (المتوفى: ٥١١ هـ) و غريب القرآن للسجستانى (المتوفى: ٣٣٠ هـ) و غريب القران لأحمد بن محمّد الهروى (المتوفى: ٤٠١ هـ) و غريب القران لابن الشجشة ، و قانون التأويل القاضى أبى بكر ابن المغربى الأندلسى (المتوفى: ٥٤٣ هـ) و الكفيل بمعنى التنزيل للعماد الكندى قاضى الاسكندرية (المتوفى: ٧١٠ هـ)

الحديث : الأحكام الكبرى لعبد الحق الأشبيلى، و اختلاف الحديث للإمام الشافعى، و الآداب للإمام الحافظ البيهقى، و جامع المسانيد و الألقاب لابن الجوزى ، و الجوهر النقى و الحاوى فى بيان آثار الطحاوى، و السنن الكبرى للبيهقى، و شرح معانى الآثار للعينى، و مسند الإمام أحمد بن حنبل ، و مسند الإمام اسحاق بن راهويه، و مسند الحافظ أبى عوانة و مسند الحافظ أبى عبدالله المروزى، و مسند الحافظ أبى نعيم.

التاريخ: الإحاطة فى أخبارغرناطة، و أخبار أبى نواس ، و أخبار سيبويه النحوى، و الإمامة و السياسة لابن قتيبة، و تاريخ دمشق لابن عساكر، و تاريخ بغدادللخطيب، و تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطى، و طبقات الأمم لصاعد الأندلسى، و مسلم الوصول إلى طبقات الفحول لمؤلف كشف الظنون، و السهم المصيب فى الرد على الخطيب، و طبقات الحفاظ للذهبى، و الطبقات الكبرى للسبكى، و طبقات الشافعية، و طبقات الشعراء لابن قتيبة، و طبقات الفقهاء للإمام أبى اسحاق الشيرازى، و طبقات ابن سعد، و تاريخ العينى، و طبقات حملة المذهب لابن الملقن، و فضائل أبى بكر الصديق لابن العشارى من أصحاب القرن الخامس ، و فضائل أبى حنيفة النعمان لابن العوام، و فضائل مصر لابن يوسف الكندى، و اللباب فى الأنساب لابن الأثير، و مناقب الشافعى، و مختصر المنتظم لابن الجوزى، و اختصاره أيضا له، و مسالك الأمصار لابن فضل الله ، و مناقب الإمام الشافعى للرازى، و مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزى و سيرة الفاروق لابن الجوزى، و المنتظم لابن الجوزى، و نهاية الأرب للنويرى.

الأدب: الأشباه و النظائر، و البيان و التبيين للجاحظ، و جمهرة أشعار العرب لابن دريد، و حماسة البصريين، و ديوان الحافظ ابن حجر و ديوان ابن الرومى، و ديوان ابن المعتز، و ديوان قيس بن الخطيم، و ديوان لبيد، و ديوان المتلمس، و روضة البلاغة، و الزاهر للزجاجى، و شرح ابن جنى على المتنبى، و شرح ديوان أبى تمام للصولى، و شرح ديوان حطيئة، و شرح المرزوقى على الحماسة، و شرح الحماسة لأبى العلاء المعرى، و شرح الحماسة لابن جنى، و شرح ديوان خريق الشاعرة الجاهلية ، و شرح ديوان زهير بن أبى سلمى للأم ثعلب، و شرح ديوان زهير للأعلم

الشنتمـرى، و شرح عبيدالله بن قيس، و شرح ديوان *المنتقب العبدى*، و شرح *المعلقات لابن النحاس*، و شرح *المفضليات لابن الأنبارى*، و ديوان سراقة بن مرداس، و ديوان *الشماخ*، و ديوان عمر بن أبى ربيعة. و شرح ديوان رؤبة، و شرح ديوان *العجاج* ، و ديوان *داود الدمشقى*.

المطابع و الصحف: المطابع هنا كثيرة و شهيرة فى العالم، أشهرها مطبعة بولاق الرسمية، أسست سنة ١٨٢٧م ، و الكتب هنا رخيصة جدا، و هذا من من مصر العظيمة ، و اشتريت آنا كتبا كثيرة. الصحف العربية من هنا يتجاوز عددها الثلاثين، و أشهرها *المؤيد*، و *المقطم* ، و *التقدم* و *الأهرام*، تصدر نحو ثلاثين صحيفة باللغة الفرنسية واللغة الانكليزية ، و من أشهر المجلات الشهرية العربية هنا ا لمقتطف ، و الهلال.

نوابغ مصر:

و أتحدث فيما يلى عن أحوال بعض نوابغ مصر:

علي باشا مبارك : هو الذى قام باصلاح قسم المعارف فى مصر، التحق بمدرسة الهندسة سنة ١٢٥٥هـ و هو ابن ست عشرة سنة. و رحل إلى فرنسا مع أبناء محمّد على باشا سنة ١٢٦٠هـ و نال شهادات مختلفة، و فوضت إليه مسئولية مكتب المدارس و نظارة الأوقاف سنة ١٢٨٥هـ ، و قام بخدمات علمية جليلة خلال هذه الفتـــرة، أصلـح الكتاتيـب، أسس مـدارس فـى المقاطعـات و دارالعلوم ، و بنى المكتبة الخديوية ، و عين مديرا للتعليم سنة ١٢٨٥ هـ ، و له كتب بديعة منها تكملة *الخطط* و *الآثار* للمقريزى، و أكرمه ملك فرنسا و ملك النمسا بالأوسمة الفخرية.

على باشا ابراهيم: و هو مثقف متنور ، سافر إلى فرنسا للدراسة سنة ١٢٦٠هـ و قضى بها خمس سنوات و نال شهادة عليا، و عين مديرا للتعليم سنة ١٢٩٦ هـ

أمين بك فكري : و هو قاض فى محكمة الاستئناف ، تعلم فى فرنسا.

أحمد زكي : و هو أمين مدرسة الترجمة يجيد اللغة الفرنسية ، ألف رسالة عن مسئلة الرق باللغة الفرنسية، و نالت قبولا كبيرا.

الشيخ محمّد عبده: هو من الذين تعلموا على منهاج القديم، و يعتبر إماما للأدب و إنه من دعاة التجديد ، و هذا من آثار صحبة السيد جمال الدين الأفغانى. و قد قابلته ، و جلسنا طويلا ، و كان يبدى أسفه على منهاج الأزهر، كما كان يشكو من الثقافة الحديثة. و لقد أعجبت بأسلوبه فى الكتابة ، و أثبت فيما يلى نموذجا لأسلوبه و هو يكتب عن وصف أستاذه

السيد جمال الدين الأفغانى:

"أما خلقه فيمثل لناظر عربيا محضا، ربعة فى طوله ، وسط فى بنيته قمحي فى لونه ، عصبى دموى فى مزاجه ، عظيم الرأس فى اعتدال، عريض الجبهة فى تناسب ، واسع العينين ، ضخم الوجنات، رحب الصدر هش بش عند اللقاء أما أخلاقه فلامة القلب سائدة في صفاته ، و له حلم عظيم وسيع ما شاء الله أن يسع إلى أن يدنو منه أحد ليمس شرفه أو دينه فينقلب الحلم إلى غضب، فبينما هو حليم آواب إذاً هو أسد وثاب، و هو كريم يبذل بيده قوى الاعتماد على الله ، لا يبالى ما تأتى به صروف الدهر، سهل لمن لاينه ، صعب على من خاشنه و له سلطة على دقائق المعانى و تجديدها ، و إبرازها فى صورتها اللائقة لها. كأن كل معنى قد خلق له ، كل موضوع يلقى إليه يدخل للبحث فيه كأنه صنع يديه فيأتى على أطرافه و يحيط بجميع أكنافه".

تعريب: محمد أكرم الندوى

---

(١) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٢٩٢

مولانا أحمد على اللاهورى

بقلم: فضيلة الشيخ أبي الحسن علي الندوى
ندوة العلماء لكناؤ

شهدت حياتى يوما مباركا و ساعة سعيدة جدا يوم سعدت بلقاء الشيخ أحمد على اللاهورى رئيس "جمعية خُدّام الدين" (شير انواله دروازه لاهور ،) و لحياتى منعطفان هامان نُحتتُ بهما نحوا جديدا - على ما أعتقد - أولهما يرجع إلى بداية علاقتى بالشيخ اللاهورى، و الثانى ظهر عندما أكرمنى الله بصحبة الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى منشئ جماعة التبليغ و الدعوة، لولا أن الله أكرمنى بلقاء الشيخ أحمد على لكانت حياتى مختلفة مما كنتُ عليه إلى حد كبير، و لم يوجد فيها ذوق و لا نزعة سوى التأليف و التصنيف و الأدب و التاريخ، أما معرفة الله و التوصل إلى مرضاته و الهداية إلى الصراط المستقيم و الاستقامة عليها فهى غايات عظمية و إنما نعمت فى صحبة الشيخ - على أقل تقدير - بذوق البحث عن الله تعالى و التدبر فى أياته و حلاوة اسمه المبارك و حب الربانيين الصالحين، و شعرت بقلة بضاعتى و الحاجة إلى تزكيتى و إصلاحى، و هى ثروة عظيمة و نعمة كبيرة لنا العامة، بل هى النعمة الحقيقية و أصل الثروة لدى بعض العارفين الذين لهم بصارة بالأمور، و هم الذين عبّر عنهم الشاعر الأردى "وحشت" الكلكتوى فى شعره التالى:

" سواء عثرت على أثر منزل الحبيب أو لم أعثر
غير أن ذوقى للبحث و الطلب شئ لذيذ جدا "

يقولون إن الانسان يحظى بحظه حيثما قُدّر له، سواء كان فى الوطن أو فى الخارج، و كان غريبا أو مألوفا، و أعتقد أن هذا المبدأ يعم كلاً من نوعى الرزق المادى و المعنوى، و قد وقع فى القرآن استعمال كلمة "الرزق" للحقائق المعنوية، و هى الآية: " *أتَجعَلُونَ رزقكم أنّكم تكذبِون* " و من المشاهد أن

الكتّاب و المفكرين و العاملين للغاية العظيمة التى تسيطر عليهم يمارسون تجارب منوعة لحصول الرشد و انكشافات جديدة و توفّر مواد و معلومات مدهشة خارقة و النصرة الغيبية بحيث تتمثل أمامهم أمثلة و نماذج جديدة رائعة لتفسير الآية: ﴿ و يُرزقْه من حيثُ لا يحْتَسبْ ﴾ و لا تقتصر الآية عندهم على المفهوم المحدد الذى يوجد عامة فى كتب التفسير.

كان الزمن زمن رشدى و قد ابتدأت دراستى العربية إذا كان مولانا سيد محمد أمين النصير آبادى (١) موجودا قريبا من وطنى فى مديريتى و فى أسرتى أنا، و كان يتلقى منه الإصلاح و التوجيه ألوف من المسلمين لمديريات راى بريلى و برتاب جره و سلطان بور و اعظم جره، و كان قد طار صيته فى الإصلاح و التربية و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فى أرجاء البلاد، لكننى حرمت من زيارته رغم علاقة القرابة و قرب المكان. و المديريات الشمالية الغربية للهند مراكز للعلماء و المشايخ، و كان يوجد بها عـديد مـن المشايـخ و الربانيين. فكانت الآثار و القرائن الظاهرة جميعها تدل على أنه سيتم اختيار شخصية معروفة منها لإرواء غلتى العلمية و الروحية و إكمال إصلاحى و تربيتى، و قد كان كثير من هولاء المشايخ و الربانيين يختلفون إلى بيتنا للأواصر و العلاقات القديمة معهم، و كان ينحدر إليهم بعض أفراد أسرتنا، لكن سبق القدر و لم يكن إلاّ ما جربنا منذ أعوام و هو أن الرزق نفسه ينزع إليـه و يدعو إلى نفسه.

و أذكر أننى سمعت لأول مرة اسم الشيخ مولانا أحمد على اللاهورى من خواجه عبدالحى الفاروقى، و كان الشيخ خواجه زميلا لشقيقى الأكبر فى ديوبند، فقد كانا زميلين فى درس الحديث لشيخ الهنـد مولانا محمودالحسن و الشيخ أنور شاه الكشميرى، و كانت توجد بينهما الوحدة و الانسجام لتشاركهما فى الدراسة الحديثة و متابعة المقتضيات العصرية الجديدة، كان خواجه الفاروقى تلمذ على الشيخ عبيد الله السندهى، و له معرفة بالانكليزية و ذوق بالسياسة، و كان شقيقى من متخرجى ندوة العلماء ، فبالجملة كانت بينهما علاقة وثيقة للحب و الإخاء، و أذكر أن الشيخ خواجه الفاروقى قدم ذات مرة إلى لكناؤ سنة ١٩٢٧م على دعوة مـن شقيقـى لقضـاء العطلـة الصيفية، و اتخذ بيتنا منزلا له، فطلب منه شقيقى أن يدرسنى أثناء إقامته شيئا من القرآن الكريم، و كان عمرى آنذاك يتراوح بين الثالثة عشر و الرابعة عشر، فدرّسنى السور الأخيرة للجزء الآخير.

كان مولانا عبيد الله السندهى له تلميذان مرموقان فى الهند يسلكان مسلكه فى التعليم و التفسير و يخلفانه بأوسع معنى الكلمة، مولانا أحمد على اللاهورى و خواجه عبد الحى الفاروقى، كان العالم آنذاك يعانى من الاضطراب السياسى و الهند تواجه أزمة العداء الإنجليزى، و كانت السياسة تحكم على كل شىء و تسيطر عليه، و كان الناس تعودوا على أن ينظروا إلى كل مسئلة علمية

كانتَ أو دينية، و أدبية كانت أو تاريخية، أخلاقية أو اقتصادية بمنظار السياسية و يختبروها على محك السياسة، كما نشاهد أن كل زمان يشهد استيلاء وجهة خاصة، و لا يبقى أى شىء إلاّ و يتاثر بهـا، و يصطبغ بصبغتها، و كان ذلك الزمان زمن استيلاء السياسة و الحكومـة ، و الحريـة و العبوديـة، و الحاكمية و المحكومية، و الاستعمار و الاستقلال، حتى اتخذ ذلك صورة جديدة لفلسفة "وحدة الوجود" و إن فلسفه ذلك العهد و مدى نفوذها و استيلائها يسهل بها إدراك شعبية عقيدة "وحدة الوجود" و شمولها و مدى نفوذهـا و سيطرتها على الأدب و الشعر، و العلم و الفلسفة، و العلوم الدينية و علم الكلام حتى على الحياة العامة و الاجتماع و كلام الناس، كان العالـم كلـه آنذاك و لاسيّما مسلمى الهند يواجه أزمة نيل الحرية و التخلص من القوى الغربيـة و لاسيّما من حكم و عبودية أعظم عميلتها الانجليز. و كان مولانا عبيد اللّه ألمعيا و ذكيا للغاية و إضافة إلى ذلك كان مرهف الحس و يتمتع بطبع غيور، و أفاضت صحبة الشيخ على كلِ ذلك لونا رائقا و كان موجهه و مربيه البدائى و تلميذه مولانا سيد تاج محمود الأمروتى يتمتع بعواطف ثورية حارة و كان عدوا للانجليز فى نهاية المطاف، فتحول الشيخ عبيداللّه بهذه الآثار البعيدة شعلة من النار، و انصرف ذهنه إلى الجهـاد و الحريـة و إحيـاء الخلافة الاسلامية و الحكومة الإلاهية و عداء الانجليـز و نيل الحـرية من حكمهم بغايـة من الدقة و التعمق حتى أن القرآن الكريم الذى كان هوايته و غاية دراسته أصبح يظهر له تفسيرا و دعوة و رسالة لذلك بعينه، و قد استخدم آيات القرآن و إشاراته و رموزه بذكائه الحاد و ذهنه الوقاد بحيث أصبح يجد حجة و تائيد كل دعواه فى نفس القرآن الكريم، و إنه استنبط منه مبادئ و أسسا للحياة الاجتماعية و السياسية لا يرى لها أثر فى كتب التفسير القديمة منها و الحديثة، و كان هذا الأسلوب للاستنباط و التفسير يشابـه شيئا كثيـرا اللطائف التفسيريـة و النكات المتصوفة للمتصوفـين الكـرام و كانوا يعبرون عنهـا "بالاعتبـار و التأويل" و تتوفر نماذجها فى "*الفتوحات المكية*" للشيخ الكبير و "تبصير *الرحمن و* تيسير *المنان* "للعلامة المهائمى و "*روح البيان*" للعلامة حقى المعروف، و لو عبرنا عنها بالاعتبار و التأويل و لم نسمها بالتفسير و مع ذلك لا تتعدى حد الاعتدال فلا حرج فيها لدى العلماء فى كل عصر و مصر.

فبالجملة كان الشيخ عبيداللّه فى ذلك الوقت منشىء منهج خاص فى التفسير يحب تلميذه النجيب مولانا أحمد على اللاهورى أن يدعوه باسم "الاعتبار و التأويل" بدلا من التفسير، و كان أنجح أوفيائه فى ذلك و تلامذته المفدّين هما مولانا أحمد على اللاهورى و خواجه عبدالحى الفاروقى، أما أول الذكر فقد دعا إلى هذا المنهج الخاص و سعى فى نشره و إذاعته فى لاهور حوالى نصف قرن، و انتشر هذا الدرس للقرآن الكريم فى أرجاء الهند النائية بفضل خريجى المدارس العربية الذين وضع لهم المقرر الدراسى لثلاثة أشهر

فقط، و الذين كانوا يستفيدون منه زمن عطلة تلك المدارس، و جُلّ ما أعلم أن قلّ ضرره و كثرت فائدته من ناحية الارتباط بالقرآن الكريم و إصلاح العقائد و تقويم الرسوم و إزالة البدع، و لا شك أن ليس ذلك إلا من ثمرة إخلاصه و ربانيته و تقواه، بل الواقع أن الرواج العام لدرس القرآن الكريم في الهند و قبوله الزائد فى الناس ليس إلا مديناً له، و تلميذه الثانى الرشيد خواجه عبدالحى الفاروقى اتخذ الجامعة الملية الاسلامية - التى كانت أولاً فى عليجره ثم انتقلت إلى دلهى - مركزا لجهوده و نشاطاته، غير أن هذا المنهج الخاص للتفسير انتشر ذكره كثيرا بمؤلفاته التفسيرية بالنسبة إلى درسه، كان الشيخ خواجه يذكر الشيخ أحمد على بكل أدب و احترام، و لا يستبعد أن يرد ذكره فى درسه و مجالسه، و لذلك أعتقد أننى لم أسمع إسم الشيخ اللاهورى بالعظمة و الأهمية إلاّ به.

و السبب الثانى فى التعارف بالشيخ اللاهورى و تمكنّ حبه العميق فى قلبى يرجع إلى أن زوج عمتى مولانا سيد طلحة كان يدرّس فى الكلية الشرقية (لاهور) و كانت له علاقة وثيقة بالشيخ لتوافق مذهبهما، و كان الشيخ يجلّه و يحترمه فى درجة ما لعلاقته بأسرة سيد أحمد الشهيد (رح). و كان زوج عمتى هو نفسه يعترف بعلو كعبه فى الإخلاص و الربانية و العفة و الطهارة فى لاهور بطولها، فكان إذا قدم إلى الوطن فى العطلة ذكره خيرا و أشاد بفضله، أذكر أنه كان صيف ١٩٢٩م و شهر مايو، و نجحت فى اختبار العربية بتفوق و امتياز، و لم أذهب بعد إلى خارج لكناؤ ، و إنما أستثنى "هسوه فتحبور" فقد كنت أذهب إليها فى العام مرة أو مرتين لأجل القرابة و الأعياد، قدمت رسالة عمتى، إلى والدتى رحمها الله، التى دعيت فيها إلى لاهور، فكان ذلك أول تجربتى بالسفر الطويل، و كان تذكاريا و تاريخيا من وجوه كثيرة، و لقيت فى هذا السفر لأول مرة العلامة إقبال، و قد ذكرت ذلك بالتفصيل فى مقدمة "*روائع إقبال*" و هنا لك تعارفت بالشخصيات العلمية و الأدبية المرموقة، و لقيت كبار الأساتذة و الباحثين، و حضرت الحفلات العلمية و الأدبية، و زرت البطل "غاما" رستم لزمانه و أهل العلم و الفضل الذين كان بعضهم معروفا على مستوى الهند و بعضهم على المستوى الدولى، فكيف يمكن أن لا أقرّ عينا بزيارة الشيخ أحمد علي الذى كنت أسمع ذكره الحسن منذ زمان، و إضافة إلى ذلك الرسالة التى كتبها والدى الجليل إلى زوج العمة بعد ما وصلت إلى لاهور أكد فيها على زيارة الشيخ اللاهورى.

أذكر أنه كان آخر مايو إذ حملنى مولانا سيد طلحة إلى الشيخ أحمد علي، و عمرى آنذاك يتراوح بين خمسة عشر و ستة عشر عاما، و إنما كان يُذكر فى تعريفى أمران، اسم الوالد الجليل و نسبة إبنيّتى إليه، و علاقتى و شغفى باللغة العربية و براعتى فى التكلم بها و الكتابة بها، الأمر الذى كان يُعدّ فى ذلك السن و الزمان شيئا طريفا، العناية الكريمة و الحفاوة البالغة التى حظيت

بها من الشيخ لم يكن لى أى عهد بها إلى ذلك الـوقت و كانت تفوق حسبانـى و مكانتى، و هى أول مناسبة أن وقعت بذرة حبّه و عنايته الصالحة فى أرض قلبى الخصبة، و قبلتها الأرض، من هنا غادرت إلى لاهور فـــى العـام المقبل أو بعده فى عطلة الصيف مرة ثانية، و كان حادى الشوق يحدونى إلى أن أحضر درس الشيخ للقرآن الكريم، لكن علمت هناك أن درس الشيخ لطلبة المدارس العربية و فضلائها يتم بانتظام فى أشهر رمضان و شوال و ذيقعدة، و يكون بعد الفجر درس عام يحضره أهل البلد، و بعد المغرب درس آخر يحضره أصحاب الثقافة العصرية، لكن الشيخ منحنا من فضله وقتا مستقلا و بدأ يدرسنا القرآن الكريم من البداية، و كان لا يحضر هـذا الـدرس إلا أنا و أخى العزيز سيد أحمد الحسنى الذى كان يسكن فى لاهور نفسها، و لكن لم يستمر هذا الدرس طويلا و إنما درسنا سورة البقرة نصفها حتى عدت إلى لكناؤ، و بغضّ النظر عما استفدت من هذا الدرس و كذلك من الدرس العام بعد الفجر أو لم أستفد غير أنهما بعثا فىّ التذوق الدينى، كان درس الشيخ يدور حول ثلاثة مواضيع رئيسية هامة:

١ - توضيح عقيدة التوحيد و تفسيرها:

و كان تفسيره لعقيـدة التوحيـد عارياً من كل شائبـة من الرسـوم و التقاليد و آثار الشرك، و كان منهجه فى ذلك يشبه منهج الشيخ اسماعيل الشهيد (صاحب تقوية الايمان) كما كان منهجه يشبه أسلوب الدعوة و منهج التفسير لأحد معاصريه المعروف الشيخ مولانا حسين على شاه الميانوالى، و بما أن هذا الدرس كان تفسيرا و تائيدا لمذهب أسرتى نفسها تذوّقه قلبى و تلذذ به و استساغه عقلى و ذهنى تماما.

٢ - القصص الأثيرة الجذابة للمشايخ و الربانيين:

و لاسيّما تصريف ذكر مشائخ سلسلة بما يؤثر على النفوس و يأخذ بمجامع القلوب و لا غرو فقد كان له هيام شديد و ولع زائد بمشـايخ سلسلته، و انطلاقا من قانون المحبة كان يتحيّن الفرص و يحدث المناسبات لذكر قصصهم، و كان إذا ذكرهم ظهر كأنه يتلمظ الشفاه و يذكر شيئا حلوا و محببا بلذة و هيام، كان له مربيان و مرشدان روحيان: مولانا سيد تاج محمود الأمروتى و الخليفة غلام محمد الدينبورى، و كان إذا ذكرهما بدا كأن كل شعرة منه ينبع منها الحب و الحنان و يتدفق منها الشكر و الامتنان، و كأن أحدا أثار قيثارة قلبه، فكان لابدّ أن تتاثر قلوب المستمعين بهذه القصص الأثيرة، فكان هذا الحب العميق و هذه العلاقة الوطيدة تنتقل بطبيعة الحال من قلبه إلى قلوب المستمعين و تجرى فى نفوس الآخرين مجرى الروح و الدم.

٢- عاطفة الجهاد الجياشة و البغض فى اللـه، الكـره و العداء الشديد للإنجليز:

و مما يجدر بالذكر أن آيات القرآن الكريم نفسها كانت ترشده فى ذلك، و كنت إنما نشأت و ترعرت إلى ذلك الوقت فى جو علمى و أدبى و بيئة ندوة العلماء، و قد قل ذكر ذلك فى أسرتى نتيجة لتطور الزمان و تأثير التعليم الانجليزى، فالواقع أننى لم أتعرف على هذا العالم الطريف إلا بدرس الشيخ و به أدركت أن هناك أذواقا و لذائذ و أهدافا و حقائق بجانب العلم و الدراسة و الفكر و النظر و الشعر و الأدب، و عرفت أن هناك نوعا من الإنس يستوى له الخبر و النظر و أن الدين ليس له مجرد خبر بل هو له نظر، و بعبارة أخرى إن الدين ليس لديه أمر اكتشاف بل أمر حصول.

أذكر أننى قدمت فى العام القادم سنة ١٩٣٤م إلى لاهور للحضور فى درس حجة *الله البالغة*، كان الكتاب المفضل الثانى للشيخ عبيدالله السندهى "حجة *الله البالغة*" لمؤلفه الشاه ولى الله الدهلوى، و كان يدرّسه بشئ كثير من الشوق و الحلاوة، و إن نفوذ بصيرته و توقد ذكائه أحدث فى ذلك أيضا عالما جديدا، و أبصر فيه تكهنات جميع التطورات الاقتصادية و السياسية الحديثة، و تفطن فيه صورة نظام صالح كامل جديد يقوم أساسه على أربع دعائم من الأخلاق و الاقتصاد و السياسة و الإلهيات، إن الذكاء شئ موجد يحب الدقة و الطرافة، فهو ينفخ فى الصور الميتة الروح و يحول الاختصار تطويلا و الإجمال تفصيلا، و ربما يشيّد البلد بكامله ببعض الكلمات و الخطوط التى لا يمكن رويتها إلاّ بالمجهر، لكن ذكاء مولانا عبيدالله السندهى لم يحتج إلى بذل جهد كبير فى "*حجّة الله البالغة*"، فقد ساعده و أرشده موضوع الكتاب نفسه و أهدافه، و ذهن الشاه ولى الله الدهلوى الأخاذ و بصيرته النافذة و ذكاؤه المتوقد، فاستطاع بذلك أن يربط هذا الكتاب بالحياة المعاصرة و قضاياها، كان الشيخ أحمد على يدرّس هذا الكتاب بشئ كثير من الجدّية و الاهتمام و الشوق، حيث أفرد له درسا مستقلا يحضره خريجو المدارس العربية الموثوقة بها، و لم يكن انذاك -على حد ما أعلم- درس مستقل *لحجة الله البالغة* فى أى مكان، و كنت كاننى رضعت بلبان حب الشاه ولى الله و قد أحكمه و أفاض عليه ماء الدوام الأسرةُ و المدرسةُ كلاهما، فحضرت هذا الدرس، غير أنه لم يسجل اسمى بانتظام لعدة أيام، و ذلك لأن الشيخ كان يشكّ فى صلاحيتى لفهم هذا الكتاب، و قد كان يعلم أننى لم أدرس الفلسفة و الكلام بانتظام، و بدون معرفة الكلام و الفلسفة يستحيل فهم هذا الكتاب، و جزى الله العلامة حسين مير الكاشميرى (٢) خيرا، حيث تصيّد لذلك فرصة و التمس من الشيخ أن يطلب منى قراءة العبارة، و كنت أجيد قراءة العبارة بفضل التعلم من الأساتذة العرب و الدراسة فى ندوة العلماء، و قد وفقنى الله أن أفوق فى

ذلك الآخرين، فغيّر الشيخ رأيه، و ألحقنى بتلك الجمـاعـة بصورة مستقلـة و كانت هذه الجماعة تتألف من اثنى عشر طالبا، كلهم خريجون، و كان يؤلف هذه الجماعة طلبة كل من بنغال و آسام و بنجاب و بيهار و يوبى، و كان نظام الدرس أنه لا يتقيد بالوقت و لا بالمقدار، و قد يستمر ثلاث أو أربع ساعات متواليا، أذكر أن كانت الأرجل تتألم بالجلوس لجلسة واحدة، و قد واجهت عنتا شديدا و صعوبات كبيرة فى تفهم بعض أجزاء هذا الكتاب و التغلب على مطالبها، و ذلك لأننى وصلت هناك بتأخير، و لم أكن درست بعض علوم تحتل مكانة المداخل و المقدمات، فأعددت لذلك إعدادا كبيرا، حيث أطالعه عدة ساعات و أحاول حل الكتاب تماما قبل الدرس، كما أننى درست الأجزاء التى فاتتنى بالمذاكرة مع الطلبة، فلما تمّ المقرر الدراسى ذهبنا إلى مولانا نجم الدين البروفسور فى الكلية الشرقيةَ (لاهور) ، و كان معروفا فى الجودة و البراعة فى العلوم العقلية و النقلية، و كان يعتبر فى الكلية أستاذ الأساتذة لقدمه فيها، و قد أعطانا الاختبار بدقة و تفصيل، كان الاختبار شفويا فكان المجال متسعا للجرح و الانتقاد و كانت الفرصة سانحة لإبراز النقائص و جوانب الضعف التى قد تختفى فى الاختبارات الكتابيـة، و لكننى تهللت بشـرا و قضيت العجب عندما بلغنى أنه وصف لى الدرجات أكثر من جميع الطلبة، و أننى برزت الأول .

كانت تستمر سلسلة قصص المشائخ ، الربانيين و الحكايات الشيّقة للروحانية و الربانية فى درس الشيخ للقرآن الكريم و *حجـة الله البـالغـة*، و خطب الجمعة و المجالس العامة، و من هنا يبدو كأنّ ذلك ذوقه الأصيل و صميم دعوته و لب رسالته، و بذلك تكشفت لنا حياة الشيخ المتقشفة و المجاهدة، فهى حياة نزيهة صافية لم أر نظيرها إلى ذلك الوقت على الأقل، إنما سمعت قصص الربانيين و قرأتها فى الكتب، كنا مقيمين فى مدرسة "قاسم العلوم" و كان يقع منزل الشيخ وراءها على بُعد عدة أمتار، و كان زقاق ضيق فى الطـريـق، و قد كان نجل الشيخ الكبير مولانا حبيب الله (٣) أصبح صديقا لى، و كنت أسمع الشىء الكثير من الأحوال البيتية للشيخ و زهده و ورعه، و شظفه و تقشفه، و تورعه و تقواه و قناعته و غناه بأمينه الخاص ، مساعده الخليفة شهاب الدين الأمين العام لجمعية خدام الدين الذى قد أصبح يحدب و يعطف علىّ بصورة خاصة، أذكر أنه هاجر مع الشيخ نفسه، و غادر إلى كابل و بخـارا و من ثمّ إلى تركيا، كان فى الواقع سر الشيخ و عارف أحواله فى السر و العلانية، و كل ما عرفت به خاصة من أحوال حياة الشيخ و زهده و ورعه و توقد ضميره و قوة إدراكه و مواهبه الباطنية دفعنى إلى أن أرتبط بالشيخ بصورة مستقلة لإكمال جانب الإصلاح و التربية، فعرضت عليه ذلك ذات يوم، قال الشيخ: إن شيخى و مرشـدى الخليفة غـلام محمد لا يزال حيا فراجع إليه فى "دين بور" و بايعه، و ها أنا أعطيك رسالة تعريف، فلم يكن بد من الامتثال، كان زمن

الصيف و الحر شديد و أذكر أن كان الشهر يونيو، تقع دين بور في حكومة بهاولبور على مسافة عدة أميال من خانبور، التي محطة مشهورة للسكة الحديدية للاهور و كراتشي و تقع على ثغور سنده تقريبا، فعزمت على أن أذهب هناك.

قبل أن أحكي لكم قصة سفري إلى دين بور يجدر بالذكر أن أقدم لكم تعريفا موجزا لسلسلة الشيخ أحمد على الروحية و الإصلاحية. كان هناك شيخ رباني معروف بالسيد محمد راشد في سنده و بلوجستان في أواسط القرن الثاني عشر تقريبا. كانت سلسلته قادرية، و سمعت بنفسي من الشيخ عبيدالله السندهي أن الشيخ محمد راشد كان يتمتع في تلك المنطقة علميا و روحيا بنفس الشهرة و المكانة التي كان يتمتع بها معاصره الشاه ولي الله الدهلوي في شمالي الهند الغربيه. كان السيد محمد راشد تلميذا و مجازا لوالده الجليل سيد محمد بقاءالله الذي كان خليفة لسيد عبدالقادر الجيلاني الخامس، و الشيخ الجيلاني مدفون في بيركوت سيدهانه (بمديرية جهنك سيال بنجاب) وصلت هذه السلسلة من بغداد و حلب إلى "آتش" (حكومة بهاولپور) حيث تسعة مشايخ لهذه السلسلة مدفونون.

كان الشيخ سيد محمد راشد له ثلاثة خلفاء بارزين معروفين. إثنان من أبنائه: سيد صبغة الله و سيد محمد ياسين. و قد تم ببينهما توزيع هدايا و مناصب والدهما الجليل بحيث حظي سيد صبغة الله بعمامة الخلافة و المشيخة، من هنا اشتهر في السندهيين باللقب الشهير، "بير بغارو" (شيخ العمامة) و جميع خلفائه يعرفون بهذا اللقب الشهير، إنه بدأ يدرب جماعة مجاهدة باسم "حر" و كان هدف ذلك أن تحوّل هذه الجماعة المطاوعة في جيش المجاهدين إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك، و تستخدم لصالح الاسلام و إعلاء كلمة اللهّ، أثارت هذه الجماعة (حر) الفوضى و الاضطراب في عهد الشيخ صبغة الله الشاه ثاني بير بغارو و السادس و لذلك أعدمه الانجليز. بعد ذلك خلف سكندر الشاه شاه مراد ثاني اسلافه، هذا هو الشيخ صبغة الله الأول الذى قام بالضيافة بكل عزم و همة للشيخ سيد أحمد الشهيد و ركبه المجاهد في سفر هجرته لسنة ١٢٤١هـ - ١٨٢٦م. و لاجل ذلك أقام السيد أحمد الشهيد في منزله بـ "بير كوت" ثلاثة عشر يوما، و هنا أقام أهل سيد أحمد الشهيد حوالى سبعة أعوام بعد مغادرتهم من "عمر كوت" و من هنا انتقلوا إلى "تونك" بصورة مستقلة بعد ما استشهد السيد أحمد الشهيد.

و حظى سيد محمد ياسين بالعلم و اشتهر بلقب "بير جهندا" (شيخ العلم) مكتبة "بير جهندا" معروفة في أوساط الهند العلمية. ذهب إليها كاتب هذه السطور في اوائل ١٩٤٤م بهدف زيارة الشيخ عبيدالله السندهي الذى كان أنذاك مقيما في منزل "بير جهندا". و كان في ذلك الوقت الشيخ ضياء الدين من تلك السلسلة حيّاً و هو الذى قام بالقرى.

كان الخليفة الثالث للشيخ سيد محمد راشد شاه حسن الذى وفقه الله ليؤدى دوره الرائع فى نشر هذه السلسلة و ترويجه و تهذيب أعمال الناس و عقائدهم فى سندهـ و حكومة بهاولبور و بنجاب، و ظهر من نفس السلسلة الحافظ محمد صديق البهرجوندوى الذى كان له خليفتان ممتازان، و هما مولانا سيد تاج محمود الأمروتى و الخليفة غلا
سيدتاج محمود تغلب عليه الحماسة و عاطفة الجهاد، ظهرت منه كرامات جلية، و تحدى الانجليز و صمد فى وجههم مرارا، و كانت له علاقة ودية خاصة بشيخ الهند مولانا محمودالحسن رحمه الله، ذات مرة أرسل إليه قلنسوة بغاية من الاهتمام، و كتب عليه "تاج محمود" ، و على العكس من ذلك كان الخليفة غلام محمد تغلب عليه عاطفة الجمال و الهدوء، كان غاية فى السكينة و الوقار يتمتع بالوجاهة و الجمال، و كان وجهه متهللا كالوردة و مشرقا كالشمس، و كان النظام السائد إلى مدة طويلة أن أى أمير فى بهاولبور إذا كان وصل إلى الحكم فان الشيخ هو الذى كان يعقد عليه العمامة كأنه يقوم بوضع التاج عليه، كان أميًا تقريبا، و عندما زرته سنة ١٩٣١م وجدته يقوم بتصحيح القرآن الكريم أمام أى أستاذ، و كان جميع مشائخ سندهـ و بنجاب يشهد له بعلو مكانته و قوة نسبته و ربانيته، قال لى الشيخ سيد حسين أحمد المدنى بنفسه أن الخليفة غلام محمد هو أيضا يتمتع بالإجازة من الخليفة، كان شيخنا و مرشدنا مولانا عبدالقادر الرائبورى يذكره بغاية من العظمة و الاحترام، و يعده من كبار المشائخ فى المنطقة، و كان أبناؤه و خلفاؤه هم كذلك يجلونه و يحترمونه.

فبالجملة غادرت إلى خانبور بالقطار فى أواخر يونيو سنة ١٩٣١م أو ١٩٣٢م، و كان يرافقنى أحد زملائى فى الدرس و من أصدقائى مولانا محمد موسى السندهى الذى كان بنفسه ذا صلاح و تقى و كفاءة رائعة، وصلنا إلى خانبور فى المغرب، و غادرنا من هناك إلى دينبور، أذكر أننا قد زرنا الشيخ بتلك الليلة، فاذا به وجه متهلل يتلألأ. أذكر أننى ما رأيت وجها أشرق منه قبل ذلك، كان مقلاً من الكلام، كثير الصمت، و إذا تكلم فى اللغة العامية للإمارة التى تجمع بين الملتانية و السندهية، و التى أجهلها تماما، و قد استرعى انتباهى ما كان يخيم على هذه القرية النائية من الجو الدينى و ما كان يغشاها من غاشية الدين، عالمها غريب تماما فهى حقا "دينبور" فلا تسمع فيها إلاّ صوت الذكر و تلاوة القرآن، و لا ترى إلاّ راكعا أو ساجدا، ترتج القرية بكاملها - فضلا عن المسجد و الزاوية - بالذكر و التلاوة، و إذا نادى أحد أحدا قال: إلاّ اللّه، و المجيب أيضا قال: إلاّ اللّه، فهذه قرية صغيرة إنما كان يسكنها الشيخ و أهل بيته و من يتعلق به، كانت فيها منازل بسيطة لا يتجاوز عددها خمسة أو سبعة، و فيها مسجد ساذج و بجانبه غرف بسيطة للذاكرين، و فيها أشجار من النخل تذكر بقرى بادية العرب، و مناخها كذلك يشبه بادية العرب، و كان

فيها مطبخ للمقيمين فى الزاوية، يتم فيـه طبخ الطعـام حسب الطـعم السندهى و البهاولبورى الخالص، و الطعام يصدق عليه "قوت لا يموت" تماما، و كان من المجاهدة و الامتحان أن نأكله نحن اللكناويين الضيوف الذين يتصفون بدقة الشعور و لين الطبع، و كان الحر شديدا، تهب الريح الحارة طـوال النهـار، و الليل بارد شيئا.

هذه هى دين بور التى زرتها فى حياتى مرتين فحسب، مرة فى سنة ١٩٣١م أو ١٩٣٢م التى مر ذكرها آنفا، و مرة أخرى بعد وفاة الخليفة بمدة فى سنة ١٩٥٨م أو بعدها لليلة واحدة فقط، و كان الخليفة آنذاك جاوز من عمره التسعين، أما رسالة الشيخ أحمد على اللاهورى التى ذكرتها فأذكر أنها كانت تحمل تعريفـا لى بنسبـة سيد أحمـد الشهيـد، ضمّنـى الشيخ فى سلسلته و أوصانى بالذكر القلبى، وعندما أردت الرحيل قال: سلِّم عليه، فلم أفهم ما يريد، إذ مرّ بى نجله عبدالهادى، فأوضح أنه يريد الشيخ أشرف على التهانوى، و ما إن سمع اسمه حتى رق حاله و فاضت عيناه، مما يدل على العلاقة التـى كانت بينهما، و علمت أن الشيخ أشرف على التهانـوى أقام ذات مـرة فـى دين بور لـزيارتـه و لقائه، و هو قادم من كراتشى.

عـدت إلى لكناؤ بعد ما مكثت فى دين بور حوالى أربـع ساعـات، ثم لم أوفق لزيارة الشيخ الخليفة، امتثلت أمر الشيخ أحمد على، غير أننى كنت اعتبره هو شيخى و مرشدى، و كان كذلك يعامل معى نفس المعاملة، و لم تزل تتقدم هذه العلاقة يوما فيوما، لم يكن الاياب و الذهاب إلى لاهور سهلا، لكن استمرت بيننا المراسلة، و غادرت إلى لاهور فى أواخر سنة ١٩٣٢م (رمضان سنة ١٣٥١هـ) بهدف إكمال الدرس الذى كان يختص بخريجى المدارس العربية و ينتهى إلى أواسط ذى القعدة ابتداء من آخر شعبان، كان رمضـان الشتـاء، و اقامتنا فى مدرسة قاسم العلوم، و عدد الطلبة يتراوح بين خمسين و ستين، كلهم من خريجى المدارس العربية، أو من اخر صفوفها، كان الدرس يبتدأ بعد الإشراق و يستمر ساعات، كان الشيخ عبيدالله السندهى قد أوجز كل ركوع فى جمل بالأردية، و كان على الطلبة أن يحفظوه بجانب مأخذه جيدا، و كذلك كان عمود (الفكرة الرئيسية) كل سورة محددا، غير أننى ضعيف الـذاكـرة و راثيا، فكان حفظ ملخّصات مئات من الركوع و استحضارها يتطلب منى جهدا مضنيا، لكن لم يكن منه بد، فقد كان الشيخ يسمع أولا الأسباق الماضية، ثم يلقى الدرس القادم، و يبقى نشيطا، منفتحا و منبسط الأسارير إلى أن ينتهى الدرس، و كان الدرس فى عامة الأحوال يدور حول التوحيد و قمع الشرك و البدع و الضلالات، و قصص الربانيين و أولياء الله و الكره و العداء لأعداء الإسلام و الصمود فى وجوههم و بذل الجهد لمقاومتهم، و كان يضيف إلى كل ذلك توجيهات و إشارات تتعلق باصلاح الطلبة و تربيتهم و تهذيب نفوسهم و تحليتهم بمكارم الاخلاق.

كان الهدف الأصيل و الموضوع الأساسى لهذا الدرس إدراك البصيرة فى فهم القرآن الكريم و تذوقه و تعمق أغواره، و كان الشيخ ينتهج فى ذلك منهج أستاذه الحبيب مولانا عبيدالله السندهى، أما أسلوب هذا الدرس فلم يكن لى شغف كبير به، و لذلك لم أقتف هذا الاسلوب فى درسى للقرآن الكريم الذى بدأته فى لكهنؤ بعد ما عدت إليها، و الذى حظى بالقبول و توسع نطاقه فى البلد فى "مؤسسة تعاليم الاسلام" و كان يحضره عدد كبير من أعيان الموظفين و أصحاب الثقافة العصرية فى البلد، لكننى استفدت من هذا الدرس كثيرا، و لمست بركة ثماره فيما بعد فى حياتى العلمية و الدعوية.

و كان أكثر ما نفعنى و أثر فىّ و غيّر مجرى حياتى صحبة الشيخ، و حياته المتقشفة المغامرة، و إخلاصه، و ولعه الشديد بالقرآن الكريم، و حماسته و عاطفته الجياشة لنشر القرآن الكريم و بث دعوته و رسالته، و كان يتململ تململ السليم و لا يقر له قرار بدون درس القرآن الكريم و نشره و إذاعته، و كان قد أصبح له القرآن الكريم غذاء روحه و بلسم جروحه، فكأنه كان يعدّ الغياب من هذا الدرس و تركه كبيرة من الكبائر و تقصيرا كبيرا، و قد سمعت: أن إبناً له توفى ذات مرة، كان نعشه فى البيت، لكنه لم يترك الدرس فى ذلك اليوم، و إنما أخبر الحاضر[illegible] ذلك بعد الدرس، و اشتغل بالتجهيز و التدفين.

انتهينا من درس القرآن الكريم فى مستهل ذى القعدة سنة ١٣٥١هـ (مارس سنة ١٩٣٣م)، فدعا الشيخ رفيقه القديم خواجه عبدالحى الفاروقى من دلهى إلى لاهور لاختبارنا، و بذلك فإن درس القرآن الكريم الذى تم افتتاحه قبل خمس سنوات بيد الشيخ خواجه فى لكناؤ ، إنما تم اختتامه – فى صورة الاختبار – كذلك بنفس يده، و قام مولانا سيد حسين أحمد المدنى بتوزيع الشهادات فى ١٥/ذى القعدة سنة ١٣٥١هـ الموافق ١٢/مارس سنة ١٩٣٣م فى حفل صغيرة حضره بعض علماء البلد و أصدقائه، و قد أعد النصّ العربى للشهادة مولانا سيد أنور شاه ، و عليها صور من توقيعات مولانا أنور شاه و مولانا شبير أحمد العثمانى و مولانا حسين أحمد المدنى و الشيخ أحمد على اللاهورى.

إن الخدمة العظمية الواسعة التى قام بها الشيخ بفضل من الله و توفيقه فى مجال تصحيح العقائد و نشر التوحيد و إصلاح المعتقدات و الأعمال و الرسوم و الإنابة و العودة إلى الله و رسوله كانت لها طريقتان مؤثرتان أيضا بجانب درس القرآن الكريم، إحداهما: خطب الجمعة، و الثانية: نشر الرسائل و الكتيبات الدعوية البسيطة، أما الجمعة فنستطيع أن نقول: إنه لم تكن فى بنجاب فى حياته أى جمعة تعدل جمعته فى كثرة العدد و لا خطبة جمعة تعادل خطبته للجمعة فى التاثير و القبول و التجاوب، فقد كان الناس يقصدون إليها من مسافات بعيدة و كانوا ينتظرونها قبل موعدها بكثير، كان

الشيخ يلقى خطبته بالأردية ساعةً بكاملها قبل خطبة الجمعة التى كان يلتزم بإلقائها بالعربية، و كانت خطبته هذه إصلاحية و دعوية خالصة دائما، و كان من أهم ما تمتاز به و أقواه مصارحة الشيخ و جراءته و عدم اكتراثه بكل نوع من المصلحة و الغرض و قلة المبالاة بلومة لائم، و كانت كلمته هذه تجيئ وفق ما تقتضيه الظروف و الملابسات، و تضع الاصبع على الوتر الحساس فى العقائد الباطلة و الاخلاق السيئة و التقاليد و الأعمال غير الدينية و الاجتماع المنحرف و المدنية غير الإسلامية، و كان كل شخص يعاني من هذه الأمراض يشعر بهذه الضربة القاضية و يتألم بها و لا يتمالك من التأثر بها، و لم يكن الشيخ يختار فيها أى هوادة أو مداهنة، و لا يستخدم فيها الإشارة و الكناية بتاتا ، و إنما هى صريحة كل الصراحة و مبينة كل الإبانة، و كان يتناول رجال الحكم و الوجهاء و الأغنياء، و العلماء و المشائخ المرتزقين و المرشدين الزائفين و المتكسبين بالدين بالنقد اللاذع، و ربما كان يشتد انتقاده إلى غاية يتحير السامعون على أن المخاطبين كيف يتحملون هذا النقد اللاذع و كيف يتجرعون هذه المرارة بل يستسيغونها، و قد خشيت مرارا على أن لا تطفح كأس احتمال المخاطبين و لا يقدروا على إخفاء الألم لأنانيتهم الجريحة، فيتجرّءوا على الانتقام و سوء الأدب، لكن لم يحدث ذلك قط، و كان ظاهرا أن إخلاصه و نكرانه للذات و ترفعه عن كل غرض و مصلحة ثم قبوله عندالله و عند الناس كل ذلك تجعل دوافعهم للحقد و الكراهية و الانتقام تخبو نارها و تهدأ أوارها، و لا تترك أى فتنة تبرز و تثور، و لا تزال ترن الكلمات فى أسماع المخاطبين: " أيها اللاهوريون ! إن أحمد علي يسكن فيكم منذ ست و أربعين سنة و لكنه يُحرم من أن ينظر صورة إنسان فى هذا العمران الذى ينطوى على ثمانى عشرة مائة ألف نسمة، فانتم كل شيء إلاّ الإنسان "، و أحيانا ينتقد على رجال الحكم و أحيانا أخرى يتناول منشيء باكستان بالنقد و يقول: " يا رجال المخابرات ! سجلوا، و أنا أصارحكم" لكن كلما تصاعدت مصارحة الشيخ هذه و ازداد ما يضمره بين جوانحه من ألم و إدناف و كلما ثارت ثائرته تصاعد عدد السامعين و الولع و الهيام كذلك، و قد رأى الناس فى هذه المواعظ و الجمعة أعيان البلد المثقفين و رجال الحكم و الوزراء أيضا، و كثيرا ما رؤوا السرى فيروز خان نون جالسا مطرقا رأسه كمواطن عادى، و عندما ثارت حماسته و جاشت عواطفه أرسل النفس على سجيتها و تصعدت سلاسة الخطبة و طلاقة اللسان و ذلاقته، و ظهر كأن بحرا يموج فى صدره، و كان كثيرا ما يخطب بمثل هذه المناسبات فى اللغة البنجابية عدة ساعات، مما يروق و يعجب من لسانه، و كان يخطب بالبنجابية خاصة إذا كان الخطاب للنساء اللاتى يحضرن فى عدد وجيه و لهن نظام خاص بالتحجب فى ناحية أخرى، و الخطاب فيهن عامة يدور حول النقد على رسوم العرس. و الأعياد و الغيرة المزعومة و الاسراف و التبذير و محاكاة المدنية الغربية، و قد كان يضخم الجمع فى

جمعة الوداع بحيث يضيق بهم فناء المسجد الواسع "لشيرانواله دروازه" و تنظم الجمعة فى الحدائق و المنتزهات حوله.

و الطريقة الثانية للدعوة و التبليغ هى رسائل الشيخ و كتيباته الكثيرة العدد التى يتم نشرها بين فينة و أخرى فى عدد كبير من قبل "هيئة خدام الدين" و تنال رواجها على نطاق واسع، و كانت هى أيضا ترمى إلى إصلاح المعتقدات و تهذيب الأعمال و قمع البدع و الضلالات، و كانت تمثل مستوى الدهماء و الجماهير و أهل الثقافة البسيطة، و تحظى منهم بالتجاوب و القبول، و أعتقد أن هذه الرسائل و الكتيبات بلغ عددها إلى مئات الألوف، و بجانب ذلك عنى الشيخ بنشر ترجمة القرآن الكريم و التحشية عليه، فاتنى أن أذكر أن الشيخ كان بارعا و متقنا فى اللغة السندهية، و كان يجيد فيها الخطابة، و كذلك قام الشيخ بنشر القرآن المترجم سنة ١٩٤٧م بشكل دقة و اهتمام، و كانت الترجمة فيه لشاه عبدالقادر رحمه الله و الحواشى بقلمه نفسه، وضعها عليه بالأسلوب الذى كان يدرس به القرآن الكريم، و هذا الأخير أيضا تم نشره فى عدد كبير.

و كان الشيخ يقوم بالجولات الدعوية أيضا، لكن كانت شرائطه و قيوده فيها شديدة للغاية بحيث لم تكن تعترض له هذه الجولات بعض الأحايين شهورا، و كان من هذه القيود أنه لا يسافر إلا بكرائه، مما يؤدى بعض الأحيان إلى الانتظار لشهور، و كان شرط آخر أنه لا يأكل إلاّ طعامه مادام يقيم فى ذلك المكان، و كان يقول:

> "*ربما يؤثر على الدعوة أكل الطعام من قبل مكان الدعوة بل شرب مشروبه أيضا فى بعض الأحيان، فلا يستطيع الإنسان أن يقوم بواجب النهى عن المنكر و إحقاق الحق بشىء كثير من الجرأة و الصراحة*".

ذات مرة قدم إلى "بونه" على دعوة من بعض أصدقائه، و كان حمل معه طعاما من البيت لا يفسد أياما، فعاش عليه مادامت إقامته بها، فالظاهر أن ذلك ليست له مكانة فقهية، و لا يفترض هذا القانون على جميع الناس، كما أن التزامه ربما يؤدى إلى قضايا و مشكلات، فكان ذلك ميزة من ميزاته، على أنه كان ورعه فى زمر الأكل و الشرب شديدا للغاية، فكان يعتقد فى إباحية طعام غير المسلمين و مأكولات السوق شرعا، لكنه رغم ذلك كان يتورع من ذلك أيضا.

إنه لم يرغب طوال حياته فى أخذ فلس واحد من "هيئة خدام الدين" (٤) و مدرسة "قاسم العلوم" اللتين كان من بناتهما و عامليهما المتحمسين، و إنما أدى خدماته حسبة الله عن رضى و طواعية، و لم يجن منفعة لنفسه و أولاده، اخبرنى أحد أصدقائه القدماء الموثوقين بهم أن الشيخ أصيب ذات مرة بمرض

شديد، فوصف له الأطباء بنظام للدواء و الطعام ليس له أى مساغ فى حياته المتقشفة، فأنفق عليه أعضاء الهيئة من صندوق الهيئة علماً منهم أن الهيئة و جميع نشاطاتها إنما تقوم به، و على حياته تقتصر حياتها و بقاؤها، فلما بلغ الشيخ ذلك بعد ما أفاق من مرضه استشاط غضبا، و قال إنكم آلقيتمونى فى المحظور و عرّضتم للحرام، و أدى الجميع من عنده، و عندما كنا ندرس فى مدرسة قاسم العلوم ربما يبلغنا عن العمال و المتابعين لأحواله أن الشيخ قد تحدث له الفاقة فى بعض الأوقات، و ربما يطبخ لنا الطعام بقدر وافر و كنا نأكل جميعا بشبع و رخاء ، لكن لم يكن أى مساغ لأن تصل منه حبة إلى الشيخ و يستفيد منه أى ولد فى بيته.

كنا نعرف جيدا أن عيشة الشيخ عيشة عسر و ضيق و بساطة، و لأجل ذلك كان الشيخ يجهز طعام ضيوفه الكرام فى الخارج إخفاءً لحاله و تفاديا لضايقتهم، و يفوض ذلك إلى بعض خدام الهيئة أو أحد رجال الإدارة للمسجد بإعطائه بعض الفلوس، فيتم بذلك قرى أولائك الضيوف، و إنما عثرت على ذلك ذات مرة مفاجأة، و أدركت مدى ضيق و بساطة عيشة الشيخ، الواقع أنه قد يكون شيء من التكلف و الاهتمام فى رمضان المبارك عند جميع المسلمين مهما كانوا فقراء لكننى لم أجد حتى هذا القدر من الاهتمام عند الشيخ، و الواقع الذى حدث لى فى ذلك هو أننى كنت مقيما عنده فى أحد رمضان، فقال لى الشيخ تناول العشاء اليوم معى، أفطرنا فى المسجد بالماء و التمر حسب عادة أهل بنجاب، و اشتغل الشيخ بالنوافل بعد المغرب، فلما فرغ توجه إلىّ و قال يا أبالحسن ! نسيت أن أخبر فى البيت أنك ستتناول العشاء معى، ثم أشار إلى بالقدوم، فلما حضر العشاء فاذا به ليس إلاّ الخبز و قصعة عدس أذكر أنه "ماش" و أضيف لى خاصة اللبن فى ذلك الوقت، قال لى الشيخ و هو يأكل: مولوى أبا الحسن ! - كان الشيخ كثيرا ما يخاطبنى بذلك - هذا العدس خير منا، إذ أنه أكمل الغرض الذى خُلِق لأجله، لكننا لم نحقق غاية حياتنا، ثم شارك فى الأكل بدون أى اعتذار، و ظهر كأنه لم يكن اليوم شيء جديد.

و أصعب من التورع من جشع الدنيا و المال المشكوك الاجتناب من الغيبة، و لاسيما بالنسبة إلى الذين لا يعيشون منعزلين و منطوين على نفوسهم بل لهم احتكاك بمختلف الطبقات كثيرة العدد و متنوعة الطبائع، و قد يزداد ذلك صعوبة و خطورة إذا كان له اختلاف أساسى و اعتقادى مع طبقة أو فرد، و كان ظُلِم ظلما صريحا، فلم نجد الشيخ فى مثل هذه المناسبات المحرجة الشائكة إلا مجتنبا من الاغتياب و الشكوى و محترزا منهما كل الاحتراز، و كانت دروسه يرد فيها ذكر مواضيع مختلفة بما فيه الرد و التنقيد، لكنه لم يسمع فى أى مناسبة و هو يغتاب رجلا هو أشد خصوما له.

و كانت قوته الروحية و الإشراقية قد بلغت غايتها، و له قصص مدهشة كثيرة تتعلق بكشفه الصحيح الواقع، و لا يعلمها إلا اصدقاؤه الخاصة و بهذه القوة الكشفية اكتشف الشيخ حقيقة وضعية و اصطناع بعض المقابر التى كانت مشهورة مقررة لبعض الأولياء و الربانيين الذين كانوا مأوى القاصدين و مرجع الناس فى بلدانهم و مناطقهم، و أطلع الناس على مواضع تدفينهم الصحيحة المحددة، و إن هذه البراعة و الكفاءة التى كان يمتاز بها من بين سائر معاصريه و التى تذكر بقصص الكتب و ذكريات الشيوخ و الربانيين المتقدمين هى فى الواقع ترجع - إضافة إلى علاقته الطبيعية و الموهوبة بذلك - إلى ما أكرمه الله به من المجاهدة و الرياضة و الذكر الدائم و التورع من المال المشكوك، و الاحتراز مما رابه.

و إذا كان الشيخ أبيا و غيورا للغاية أمام الأمراء و السلاطين أهل الدنيا و الدول فقد كان على العكس من ذلك غاية فى التواضع و الخضوع و الانكسار أمام أهل الدين و لاسيما أمـــام أولئك الذين كان يعدهم فـــى عـــداد مشائخـــه و عباقرته، و كان يلقى العلماء بغاية من المسكنة و نكران الذات، و يحترمهم غاية الاحترام، حتى يظهر للمشاهد أن الشيخ لا يعتبر نفسه أمامهم أكثر من طالب عادى، و كان له شغف كبير و حب شديد للغاية مع شخصيتين من بين العلماء و المشائخ المعاصرين له، و هما مولانا حسين أحمد المدنى، و مولانا عبدالقادر الرائبورى، فقد شاهدت عيناى مرارا و تكرارا أن الشيخ حضر فى خدمة الشيخ الرائبورى و جلس أمامه بغاية الأدب و التواضع مطرقا رأسه كما يجلس تلميذ رشيد أمام أستاذه و مربيه، فان سأله الشيخ الرائبورى عن شىء أجاب عنه بما قل و دلّ و إلا سكت و أنصت، و كذلك كان الشيخ شديـــد الإكـــرام و الاحترام للعلامة سيد أنور شاه، و لم يزل يزوره و يلتقى به و يعامله معاملة التلميذ النجيب مع أستاذه المشفق و المسترشد مع مربيه لم يزل يقوم بذلك مادام حيا.

و إن كان الشيخ يعتبر أستاذه مولانا عبيدالله السندهى أكبر مـــربيـــه و أكرم مشفقه، يعد نفسه ربيباً له و من ثمرته و حصاده، و كان قد اعتنق كليا أسلوب التفسير الذى أخذ منه و يعد نشره و ترويجه و تعليمه من واجبات حياته (٥) لكن كانت علاقته الوثيقة هذه خاضعة للدين تماما، و كان لا يرضى قطعا بأن يحيد بكبير احترامه و وفائه و حبّه هذا قيد شعرة عن عقيدة أهل السنة و مذهب السلف الصالحين، فلما عاد مولانا السندهى إلى الهند بعد مدة طويلة، و أعرب عن بعض آرائه و أفكاره و مشاعره التى كانت تتعارض مع مذهب و أفكار و عقائد الجماعة الراسخة العقيدة و العلمـــاء الســديـــدى الآراء، و كانت هذه الآراء المنحرفة و الأفكار الشاذة فيها نصيب كبير لفطانته و ذكائه الحاد و إرهاف شعوره و قوة عاطفته و طـــول الغربـــة و انهزامـــات الحيـــاة و التجارب القاسية المثبطة للهمم، و كان يخشى منها أن تسبب فى الاضطراب

و الفوضى الفكرية فى المسلمين، فلما كان ذلك لم يتساند الشيخ مع آراء مولانا السندهى أفكاره، بل أبدى خلافه معه بكل صراحة، مما أدى إلى قلق مولانا السندهى و شكواه، لأنه لم يكن يتوقع ذلك من الشيخ أبدا، لكن الشيخ لم يكترث بذلك شيئا، و ثبت على موقفه بكل أدب و حب و احترام.

و كان مما أكرمه الله به، سعة النظر و اتزان الفكر و رحابة الصدر، و كانت للشيخ علاقة وثيقة جيدة بجماعة أهل الحديث و كان يجل و يحترم علماء و صلحاء هذه الجماعة رغم ما كان يلتزم بالمذهب الديوبندى و الفقه الحنفى، و كان يؤدى دائما صلاة العيد فى ساحة "بادامى باغ" الواسعة خلف مولانا سيد محمد داؤد الغزنوى الذى كان إماما و أميرا لجماعة أهل الحديث، لأن ذلك أقرب إلى السنة السنية و أوفقها، فلم يرض قط بأن يقيم صلاة العيدين على حدة، بينما لو كان ذلك لكانت صلاته للعيد أكبر جماعة فى لاهور، و كانت بنت له أيضا فى نكاح عالم ينتمى إلى جماعة أهل الحديث، و كانت جماعة أهل الحديث فى بنجاب و لاهور تحب الشيخ و تكرمه و تختلف إليه بين فينة و أخرى.

و كانت للشيخ علاقة حب و احترام مع مولانا حسين على شاه الميانوالى الذى يقتفى أثر شيخ الاسلام ابن تيمية رح و مولانا اسماعيل الشهيد فى تبليغ و تشريح عقيدة التوحيد، و كان هو أيضا يحب و يحترم الشيخ بصفة خاصة، و حضر حفلات "هيئة خدام الدين" عدة مرات على دعوة من الشيخ كما كانت للشيخ علاقات أخوية ودية مع علماء و زعماء حزب "مجلس الأحرار" و لاسيما مع سيد عطاء الله شاه البخارى و مولانا حبيب الرحمن اللدهيانوى، و كانوا هم كذلك يعتبرو الشيخ من مشائخهم و محسنيهم الصادقين، و كانت جماعة كبيرة - بما فيها مولانا سيد انور شاه رحمه الله - للعلماء و الصالحين عقدت بيعة الإمارة على يد سيد ، فى نفس حفلة هيئة خدام الدين، و كان منذ ذلك الوقت يدعى بأمير الشريعة لبنجاب، و كان الشيخ يذكر دائما مولانا أبا الكلام آزاد بكل أدب و احترام و يعترف بكفاءاته و مواهبه العلمية و الفكرية و يضع الثقة فى بصيرته السياسية و ثباته على الأصول و المبادىء، و كذلك كان يذكر مولانا حميد الدين الفراهى صاحب التفسير المعروف "*نظام القرآن*" و أبناء ندوة العلماء بغاية من الأدب و الاحترام، و كان يأنس بالعلامة سيد سليمان الندوى بصفة خاصة و يعترف بفضله و نبوغه، و استكتب منه كلمة التقديم على ترجمة و حواشيه على القرآن الكريم.

كان الشيخ متحليا بالعزائم الراسخة و العواطف الجياشة الحماسية للجهاد من البداية، و كان قد ورث ذلك عن استاذه و مربيه مولانا عبيدالله السندهى و مرشده و موجهه مولانا سيد تاج محمود الأمروتى و شيخ حديثه شيخ الهند مولانا محمود حسن الديوبندى، و لم يزل الشيخ منتميا إلى تلك الجماعة التى كانت معادية للانجليز و صامدة فى وجههم و جاهد لتحرير الهند

و راغبة فى حرية الاقطار الإسلامية و استقلالها، و كان عاملا متحمسا لحركة الخلافة و عضوا بارزا وفيا "لجمعية العلماء" و كان قد ساهم فى حركة الهجرة لسنة ١٩٢٠م و ذهب إلى "كابول"، لكنه رجع إلى الهند علما منه بأن أفغانستان و الأقطار الإسلامية الأخرى لا توفر الحرية و الانطلاق و لا تفسح المجال لممارسة عملية التفسير و الاشاعة للقرآن الكريم و الدعوة للأحكام و التعاليم الإسلامية حتى بقدر ما تتوفر الحرية فى الهند، و التزم الشيخ بلبس الكتان إلى آخر حياته، و قد زُجّ به فى السجن عدة مرات فى عهد الانجليز نتيجة لمصارحته بالحق هذه و عدائه الشديد لحكومة الانجليز، و من جراء هذه " الجريرة " تم نفيه من دلهى حيث كان يقوم بنشر تعاليم القرآن نيابة عن أستاذه مولانا عبيدالله السندهى تم نفيه منها إلى لاهور، و بعد ما وقع الانفصال فى الهند و ظهرت باكستان إلى الوجود لم تضعف و لم تقل جراءته و مصارحته بالحق و انتقاده على رجال الحكم و المعينين بشئون الحكومة و معارضته الشديدة و رده على اتجاهاتهم و آرائهم غير الديموقراطية و اللادينية، و زُجّ به فى السجن سنة ١٩٥٣م بمناسبة حركة ختم النبوة، فكان الشيخ يتناول رجال الحكم بالنقد و التحذير فى خطبه و مواعظه الجريئة الصريحة، و لا يخاف فى ذلك لومة لائم و يمارس كل ذلك بدون أدنى هوادة أو مداهنة أو تفكير فى المصالح، و كل من كان يسمع خطب الشيخ يجده صورة صادقة و تفسيرا عمليا لهذا الشعر الفارسى للشاعر الثائر العلامة إقبال (٥):

" *مبدأ الفتيان المصارحة بالحق و الجراءة، و إن مغاوير الله لا يعتريهم العجز و الضعف.* "

كان الشيخ يعامل مع مسترشديه و تلامذته معاملة عطف و حدب و إحسان، و كان يعمل فى ذلك بالآية: *" و اخفضْ جناحَكَ لمَنْ اتَّبعَكَ منَ المُؤمنينَ "* و كل يعرف حاله، فأنا شخصياً عندما أقرأ رسائل الشيخ يتوجع القلب نظرا إلى عطفه الأبوى و عنايته الكريمة الأخوية، و ينتكس الرأس خجلا و ندامة بذكر كسلى و تقصيرى، و إن هذه الرسائل فى الواقع سلوان لقلبى الحزين الجريح و سيلة ناجحة لتأمين القوة و الراحة و الطمانينة لدى وطأة اليأس و التفتت و القلق، و أكتفى هنا بنقل اقتباسين فقط، فيقول فى رسالته المؤرخة (٢٧/فبرائر سنة ١٩٤٨م):

" *و بما أنك لى كل ما أكرمك الله به من الفضل و النبوغ لى مبعث سعادة و افتخار، و إننى مثلما أبتهج و أرتاح بتقدم مولوى حبيب الله (٦) كذلك أُسر و ارتاح و أطيب نفسا برقيك و تقدمك بل و أكثر حقا لبعض وجوه خاصة، فأدعو الله سبحانه أن يوفقك للثبات و الاستقامة، و يحفظك عن جميع الآلام*

و المشكلات في هذا العصر الزاخر بالفوضى و الفتن، آمين يا إله العالمين آمين."

و يقول في رسالة أخرى يرجع تاريخها إلى ١٩/مايو سنة ٩٥٦ م:

" لا أعتقد أن أحداً في العالم يفرح و يرتاح بمثل ما ا، تبشر و أقر عينا و أتهلل بشرا بكل نجاح تحرزه، و إنني أدعو لله من أعماق قلبي لتقدمك و ازدهارك في الدارين. و أسأل الله أن يطيل عمرك. و يوفقك لدعوة دينه طول عمرك وفق ما يـ ـب و يرضى."

أعتقد أن كثيرا من الناس لا يعرفون أن الشيخ تنحدر سلا ـه من أسرة حديثة عهد بالاسلام، و كان والد الشيخ السيد حبيب الله نـ ـه تشرف بالاسلام، و هو من أسرة هندوكية كريمة موطنها غجرانواله (بنجاب) (٧) و مولانا عبيدالله السندهي الذي هو في الواقع من أصل بنجابي و إنما اشتهر بالسندهي لطول إقامته بالسنده كان من أقرباء الشيخ (٨) نشأ الشيخ و تربى تحت رعايته و تربيته، و قد وفّى الشيخ مسئولية هذه العلاقة، فهو الذي تحمل مسئولية أعماله و واجباته بعد هجرة الشيخ السندهي، و أبقى سلسلة درسه للقرآن الكريم في دلهي، و حينما نفاه الحكم الانجليزي من دلهي إلى لاهور فقد بدأ درسه للقرآن الكريم تحت شجرة، ثم انتقل تدريجيا ميدان "شيرانواله دروازه" إلى المسجد الذي يدعى "لائن والى مسجد" أو "مسجد سبحان خان"، و كان الجانب المسقف منه مختصرا جدا، و لا يزال موجودا ، و كانت بجانبه في الجهة الشمالية صُفّة واسعة، يتم بها تأدية الصلوات في الأوقات الباردة بالصيف، فلما أصبح درسه مرجعا للأعيان والدهما على السواء، و ضاق بهم المسجد القديم كثيرا تم تسقيف تلك الصُفّة. و لم يزل يتقدم الجمع الحاضر بالدرس يوما فيوما و استمر قبوله و تجاوبه يتصاعد، إلى أن أصبح في الأخير أن الناس يأتون إليه هائمين زرافات و وحدانا من مسافات شاسعة و يكون بها جمع حاشد و ازدحام كبير، و بجانب ذلك تضخمت مسئولياته و واجباته و تزاحمت أشغاله و أعماله، حتى أصبح الناس ربما ينتظرون ساعات و لا تجيء نوبتهم للقاء الشيخ و زيارته إلا بعد وقت طويل، و ربما يفوت الشيخ فطوره و يتأخر الغداء كثيرا ، و في أخريات أيامه تضايقت فرصه بكثير حتى أن أعيان البلد و وجهاء الناس هم أيضا لا تسنح لهم فرص اللقاء إلاّ بعد انتظار دام بعض الأحيان أياما، و كان أمره في ذلك يشبه أمر أولياء الله و أصفيائه فكلما كان التحاقه بالرب عزو جل حان و اقترب اشتد حب الناس و احترامهم له و ازداد النفع و الإفادة أيضا، حتى أن

الوقتُ للمسافر الذى باشر سفره فى جهد جهيد و جهاد متواصل طويل لنصف قرن أن له أن يقر عينا بمضجعه الأخير و يلقى جزاء جهده و وفائه، فقد دعاه داعي الأجل فى ١٨/رمضان المبارك سنة ١٣٨١هـ الموافق ٢٣/فبرائر سنة ١٩٦٢م و لبّى نداء ساجدا فى صلاة العشاء، و بذلك وصل خادم القرآن الكريم إلى جوار رحمة مُنزّله، شهدت جنازته منظرا رائعا للجمع الحاشد الهائم و الاجتماع الضخم الهائل لم تره لاهور تلك البلدة الكبيرة منذ أمد بعيد، و لعلها لا تراه إلى مدة طويلة، و قد اختفت هذه الشمس المشرقة لبثّ الدين و نشره عن أعين الناس مع غروب الشمس، و تسترت بالأرض، و هناك أفطر ألوف مـن الناس و رجعوا بقلوب حزينة و عيون دامعة.

عندما وصل الشيخ إلى لاهور أو أُوصل اليها كان وحيدا، و بدأ درسه للقرآن الكريم جالسا تحت شجرة، لكنه لما فارق هذه البلـدة كان ألوف مـن عباد الله مكتئبين محزونين بفراقة دامعين، فسبحان من قال: " تِلْكَ الدَّارُ الآخِرةُ نجعلُها للذين لا يُرِيدُونَ عُلواً فِي الأرضِ و لا فَساداً وَّ العاقبةُ لِلمُتقين. "

الهوامش:

١ - كان من أبناء الأسرة الحسنية القطبية و من الدعاة و المصلحين لسلسلة المصلح الكبير سيد أحمد الشهيد، و أذكر أنه بايع على الشيخ خواجه سيد أحمد النصير آبادى و حاز التربيـة و الإصلاح و الإجازة من جدى الشيخ سيد ضياء النبى، رزقه اللهُ مهابة و جلالة دينية كبيرة، توفى إلى رحمة الله فى ١٢/جمادى الأخرة سنة ١٣٤٩هـ - ٥/نوفمبر سنة ١٩٣٠م فى وطنه نصير اباد (راى بريلى).

٢ - صحـافى فكاهيّ معروف و شاعـر بارع و شخصيـة مجلسيـة مشهـورة فى البلد من لاهـور، كانت له عـلاقات و روابط بجميع العلمـاء و القادة و لاسيما زعماء "مجلس الأحرار" ، و كان يعرف فى البلد بالعلامة.

٣ - مما يؤسف أنه توفى إلى رحمة الله فى ٢٩/جمـادى الأخـره سنـة ١٣٩٢هـ (٢٦/يوليو سنة ١٩٧٢م) يوم الخميس، و تم تدفينه - حسب ما تمنّىٰ - فى جنة المعلى فى مكان مولانا عبدالحق شيخ الدلائل بعد العشاء، غفر الله له، و رفع درجاته و أدخله فسيح جناته.

كان يسكن فى الحرمين الشريفين منذ حوالى ٢٥ سنة، و لم يخرج منهما إلى أى مكان طوال هذه المدة، قضى عشرة أعوام البدائية فى المدينة المنورة، و واظب على إلقاء درس القرآن فى المسجد النبوى على أسلوب والده الجليل، ثم غادر إلى مكـة المكرمـة لأسبـاب قاسـرة و سكن بها، و بها توفى إلى رحمة الله، و قضـى هـذه المدة بكاملها فى الرياضـة الشاقـة و الجهد المضنى و الصوم لمدة طويلـة متواليـا، و تقليل الطعـام و المنـام، و التجـرد و الانقطاع و الزهد و التقشف، و غلب عليه فى الأخير الانعزال و الخلوة كثيرا حتى جعل يكره اللقاء و يتفاداه الا مع عدة أحباب و أصدقاء يتحد معهم ذوقه و طبيعتـه و يأنس بهم، و استولى عليه الذكر بأشد ما يكون، لم تكن حياته إلا غايـة فى الزهـد و الورع و الجهـد

و الرياضة، و عاد في الأخرى يتورع من تحصيل خدمة الاخرين و المعالجة، و لما أصر عليه للعلاج أحد أصدقائه في الأيام الأخيرة للمرض قال. يا أخي لقد عدت إلى الله، فالمداواة سدى لا طائل فيها و إنما عليك الدعاء.

كتب إليّ أحد صديقي الحكيم معراج الحسن مقيم مكة المكرمة في رسالة له

" اشتد قلقه و اضطرابه قبل ثلاثة أيام من مرضه الذى توفى فيه، و قال إلى الجمعة فسأبرأ كاملا إلى الجمعة إن شاء الله، و إنما عليكم أن تدعوا الله، قعد معتمدا على الجدار قبل عدة دقائق من وفاته، و قال: أحمد الله فقد حل مشكلتي، و نطق بالكلمة الطيبة و توفى إلى رحمة الله."

كان عالما و حافظا للقرآن الكريم من خريجي ديوبند، فاز بالإجازة و الخلافة من والده الجليل الشيخ أحمد علي رحمه الله. كانت أحواله رفيعة للغاية، و كان متقدما في الكشف و الإشراق شأن والده الجليل لما كان يتحلى بالعبادة و الرياضة الشاقة و علو كعبه في الاستعداد و الصلاحية.

٤ - تم تأسيس هيئة خدام الدين سنة ١٩٢٢م بينما أنشئت مدرسة قاسم العلوم سنة ١٩٢٤م.

٥ - بدأ الشيخ هذا الدرس للقرآن الكريم سنة ١٩١٧م، و استمر إلى اخر حياته.

٦ - نجل الشيخ الأكبر.

٧ - كان موطن الشيخ القديم بـ"جلال" في مديرية غجرانواله (بنجاب) و موطنه الثاني "باهوجك"، مولده في يوم الجمعة ٢/رمضان المبارك سنة ١٣٠٤هـ.

٨ - كانت والدة الشيخ أحمد علي تزوجت مولانا عبيدالله السندهي ثانيا.

تعريب: أفتاب عالم الندوى

الشيخ عبدالحق حقّي المحدّث الدهلوي

بقلم : فضيلة الشيخ نسيم أحمد الفريدي
شيخ الحديث بالمدرسة الإسلامية امروها - آنغا

الأسـرة :

الشيخ عبدالحق بن الشيخ سيف الدين سيفي القادرى بن الشيخ سعدالله بن فيروز الشهيد بن الملك موسى بن الملك معزالدين بن آغا محمد ترك البخاري ... هذا ما كتبه الشيخ المحدّث الدهلوي عن أسرته في كتاب أخبار الأخيار و لا ندري أكثر من ذلك - ورد آغا محمد ترك البخاري مع جماعة كبيرة إلى دلهي في عهد السلطان محمد علاءالدين الخِلجى و عهدت إليه مسئولية فتح ولاية غجرات.

الطفولـة :

وُلد الشيخ المحدث الدهلوي في شهر محرم عام ٩٥٨ هـ (يناير ١٥٥١م) و نعرف من خلال ما سجّل من حوادث طفولته في كتاب عن حياته أنه كان مطبوعاً على الصلاح و التقوىٰ منذ الصغر و لم تبذر وقته في الألعاب مثل عامة الأطفال كما أنه ورث العفة و الطهارة عن أبيه المتدين الورع الذى كامن أتباع الشيخ أمان الله الباني بتي الروحانيين. و الحقيقة أن البركات العلمية و الصفات الروحية الحسنة التي كان يتمتع بها الشيخ الدهلوي لم تكن إلاّ ثمرةً للتربية التي تلقاها من أبيه. و ذكر الشيخ نفسه أن أبويه كثيراً ما كانا يغضبان عليه لعدم اشتغاله بالألعاب مثل أقرانه من الأطفال إلاّ أنه كان توّاقاً إلى العلم، على عكس أولئك الأطفال الذين يمنعهم آباؤهم و أهلهم من الألعاب و لكنهم لا يطيعونهم و لا يمتنعون من اللعب و يهربون من التعليم. لقد ضحّى الشيخ من أجل كسب العلم و المجد منذ حداثة سنه بكل راحته من لقاء الأصدقاء و الذهاب معهم إلى الحدائق و المنتزهات و نادراً ما كان يستطيع أن ينال حظّه من الطعام و النيام في وقتهما المحدّد

التعليـــم :

تلقـى الشيخ التعليم من أبيه و من الأساتذة الآخرين في دلهـى الذين لم نستطع معرفة أسمائهم. و لابدّ أن يكون قد ذكر أسماء أساتذته في كتابه: "*أسماء الأستاذين*". الذي ضاع ـ للأسف الشديد ـ كبعض الكتب الآخرى له في ثورة ١٨٥٧م.

أكمل الشيخ دراسته للعلوم العقلية و النقلية غير الحديث الشريف و هو في العام الثاني و العشرين من عمره، ثم حفظ القرآن الكريم في خلال سنة واحدة بعد جهود مضنية حثيثة يصعب وجـود نظيرهـا، و ها هو يروى القصـة بنفسه فيقول:

> " *كانت الليل تمتد و يمر منتصفها و أنا منهمك في دراستي، فكان يزجرني والدي و يقول بلهجة غاضبة ماذا تفعل يا ولد؟ أما نمتَ بعدُ ! و كنت ألقى بنفسي فوراً على الفرش حتى لا أكون كاذباً في قولي بأننى مستريح نائم . و بعد قليل من الوقت حينما كنت أجده قد صمت، كنتُ أنهض و أجلس و أبدأ القراءة من جديد، و كان من فرط انهماكي في القراءة أن السراج كثيراً ما امتد لهيبه إلى عمامتي و رأسي و لم أشعر به إلاّ بعد أن صعدت حرارته إلى الدماغ* " و ما أحسن قول الشاعر:

ما فائدة الدخان إذا لم يصعد إلى الدماغ؟
و ما فائـدة الخمر إذا لم يُصب في الكأس؟

وجد الشيخ نفسه تتوق إلى زيارة الحرمين الشريفين بعد الانتهاء من دراسته في دلهي و زواجه، فقام برحلة إلى الحجاز و مكـة المكرمة فـي ٩٩٦ هـ و بعد أربع سنوات قضاها بعيداً عن الوطن، عاد إليه عام ٩٩٩هـ بعد هذه الرحلة المباركة التي اجتمع خلالها بكثير من الشيوخ و العلماء في أرض الحرمين الشريفـين و درس لديهم كتب الصحاح الستة من الحديث، و قد درس "*مشكاة المصـابيح*" لدى أبـى المواهب عبدالوهـاب المتقى و تلقى منه العلوم و الكمالات الروحية التي جعلته يُعرف في الهند بالمحدّث، و كان هو أول عالم ديني عُرف بهذا اللقب و ذاع به صيته في الهند. و خطر ببال الشيخ وقت دراسة *مشكاة المصابيح* أن يترك الفقه الحنفي و يبدأ العمل بالفقه الشـافعي، و لما اطلع أستاذه الشيخ عبدالوهاب المتقي على هذا القصد منعه منه و أرشده إلى الطريق المستقيم و أثبت فى قلبه عظمة الإمام أبي حنيفة و مكانته في الفقه و العلم والدين، فامتنع عن فكرته للعمل بالفقه الشافعي و كتب كتاباً ضخماً في تأييد الفقه الحنفي و الدفاع عنه بسم: *فتح المنّان في تأييد مذهب النعمان*، جاء فيه بدلائل و حجج قوية دافعة.

التصوف :

لم يكن الدهلوي يتمتع بالكمالات الظاهرية فحسب بل كان يتمتع أيضاً بمكانة مرموقة في مجال السلوك و التصوف أيضا. و قد أوصاه والده بأن لا يكتفي بالعلوم الظاهرية قطّ، و ربما كانت هذه الوصيّة هى التي دفعته يميل إلى التصوف منذ أن كان في ريعة شبابه.

و قد تلقى التصوف و الكمالات الروحية من هؤلاء الشيوخ الذين نذكره أسماءهم فيما يلي:

١- من والده الشيخ سيف الدين القادري الذي كان من أتباع الشيخ أمان الله الباني بتي في الطريقة القادرية.

٢- من الشيخ سيد موسى ، و قد بدأ يأخذ منه التصوف و لم يتجاوز الدهلوي السنة الثامنة و العشرين من عمره، و ضريح الشيخ سيد موسى معروف في منطقة "أوش" في ملتان بضريح سيّد موسى الشهيد، و كان من أسرة الشيخ عبدالقادر الجيلاني.

٣- بايع الشيخ عبدالوهاب المتقي من أقطاب مكة المكرمة و كان شيخاً للشاذلية من الطريقة القادرية كما كان شيخاً للطريقة الجشتية أيضاً.

٤- بايع الشيخ الخواجه باقي بالله الدهلوي في الطريقة النقشبندية و كسب الأوصاف لهذه الطريقة من الذكر و المراقبة و غيرهما.

٥- علاوة على مبايعته لهؤلاء الشيوخ الأربعة، فقد بايع الشيخ عبدالقادر الجيلاني أيضاً في عالم الرؤيا بحضور الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي بشّره بأنه سوف يكون شيخاً جليلاً و صوفياً يوماً من الأيام ـ و قد جاء ذكر هذه البيعة في كتاب "زبدة *الآثار* منتخب بهجة *الآثار*" على حاشية.

و اجتمع الشيخ الدهلوي بكثير من الشيوخ الآخرين الذين دعوا له بالبركة و التوفيق بالنجاح و أفادوه روحياً ـ و من هؤلاء الشيوخ الشاه أبوالمعالي رحمه الله و الذي سعد بزيارته و الاجتماع به في مدينة لاهور و لما همّ بالرجوع دار بينهما حديث ذكره الشيخ الدهلوي في كتاب: *المكاتيب و الرسائل* (ص: ٣٠٦) جاء فيه:

" قال لي يوم أردت العودة أن أحاول إكمال شرح المشكاة، الذى سوف يكون بمشيئة الله كتاباً يستفيد منه العالم أجمعه و عندما طلبتُ منه أن يدعو الله حتى يوفقني للإكمال، قال: إنه كاملٌ من ذى قبل ...".

و للشيخ كانت رغبةٌ قوية للشعر و كان يقرض الأشعار في بعض الأحايين

بإسم حقي، و من المعروف أنه قرض قصيدةً في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم باللغة الفارسية و أنشدها أمام ضريحه في المدينة المنورة في عالم من الكيف و الجذب شديد. و مما جاء في القصيدة :

" لقد ساءت حالي في فراق جمالك يا رسول الله، فأعطني فرصةً لألقى نظرةً على جمالك و ارحم بذلك هذا العاشق الضعيف الحزين ".

يذكر الشيخ في كتابه: *زاد المتقين*، أنني حينما أنشدت هذا البيت من القصيدة، بدأت أكرره حتّى سادني نوعٌ من الوجد و الحزن و انفجرت أبكي و ربّما كانت هذه علامة لكون الشعر قد وجد باب القبول و الاستجابة لدى الرسول صلى الله عليه وسلم. يقول الشيخ في بيت لقصيدة أخرى: أين حقّي من أن يلازم أحداً و يرافقه، و قد دفعته فكرته عن صديقه أن يجعل العالم يفقد شعوره مثله . و قد قال في أبيات أخرى له:

لقد أصبحت حقي تعتني بالقصص و الأساطير، و أصبحت تعد من عامة العقلاء في هذا الزمان ! ماذا يعنيك ذكر الملوك و أنت من الفقراء ! لقد فُتِنتَ بالكلام و صرت مجنوناً !

المؤلفـــات :

لقد ألّف الشيخ الدهلوي عديداً من الكتب و هو طالب و قبل أن يقوم برحلة لزيارة الحرمين الشريفين، و ظلّ يُولّف الكتب و يحرّر الرسائل باللغتين العربية و الفارسية بعد عودته من هذه الرحلة في ١٠٠٠ هـ إلى عام ١٠٥٢هـ الذي انتقل فيه إلى رحمة الله ـ و قد ذكر مؤلفاته و كتبه في كتيب إسمه *تأليف قلب الأليف بذكر فهرس التواليف*، و يبلغ عدد المؤلفات المذكورة في هذا الكتيب نحو ٤٨ كتاباً ـ وله كتاب أخر يشتمل على ٦٨ رسالةً و يُعرف باسم: *كتاب المكاتيب و الرسائل إلىٰ أرباب الكمال و الفضائل* ـ و هذا الكتاب يقع في مجلدٍ واحد و قال عنه الشيخ: " تعد هذه الرسائل كلها صحيفة واحدة " و هكذا، فإن عدد جميع مؤلفاته يكون ٥٠ رسالةً فحسب، إلاّ أن الشيخ نفسه ذكر في كتاب له أن مؤلفاته بلغت ٦٩ كتاباً و لذلك فإن عدد جميع مؤلفاته يبلغ ١١٧ كتاباً إذا أضفنا إلى هذه المؤلفات البالغ عددها ٦٨ كتاباً، ٤٨ كتاباً ذكر في كتاب *تأليف قلب الأليف بذكر فهرس التواليف مع هذا الكتاب* نفسه، و الذى قال فيه الشيخ:

" لم أنته بعد من التأليف و التصنيف، و الله وحده يعلم إلى أي حد سيدفعنا كرمه و فضله في المستقبل إلى الأمام؟ "

و هذا يدلّ على أن الشيخ ظلّ يؤلّف حتى بعد إعداد هذه القائمة أيضاً، و للأسف فإننا لم نستطع معرفة الكتب التي قام بتأليفها فيما بعد - و يقول الأستاذ بركت، صاحبُ *مرآة الحقائق*، و هو من أحفاء الشيخ الدهلوي أيضاً، إنه وجد في مكتبة الأستاذ أنوار الحق الدهلوي نحو ١١ كتاباً للشيخ لم يُذكر في قائمة المولفات التي أعدها هو بنفسه. فإذا أضفنا هذه الكتب إلى مؤلفات الشيخ يصل عددها إلى ١٢٨ كتاباً، و من الممكن أن تكون هناك كتُب أخرى له أيضاً.

قال الشيخ الدهلوي إن سطور جميع مؤلفاته بلغت حوالى خمس مائة ألف سطر، و هو يظن أنه إذا نال بعض هذه السطور الاستحسان و القبول لدى الرّب العزيز القدير، فإنه سينال بغيته و إلاّ فإنه لا يرجو منها فائدةً تُذكر و يظن أنه قد أضاع نفسه و قتل وقته - فهدفه ليس إلاّ ابتغاء مرضاة اللّه و طلب كرمه. و بهذا يمكن أن نعرف كم من أرباب الفضل و الكمال و العلم حملتها أرض دلهي على صدرها و قد أحسن شاعرنا المولانا حالي و أجاد حينما قال عن هذه المدينة العامرة بخزائن العلم و الكمال:

> "*تجد أن كل قطعة من الأرض هنا تحمل في بطنها درة منقطعة النظير، و لم تدفن مثل هذه الخزائن في أي مكان آخر غير دلهي*"

لقد أصبح العالم اليوم خالياً من أمثال هؤلاء الناس و لم يعد يوجد فيه ذلك العلم و لا تلك الرغبة القوية إلى كسبه و لا أصحاب العلم و الفضل و لا أرباب القلم و اللسان، و مع ذلك، فإنه مازالت هناك في الهند شخصيات تعتبر نعمةً من اللّه سبحانه في هذا الزمان و لا أدري إلى أي اتجاه يسير العلم و العمل في المستقبل.

مكتبة الشيخ :

ذكر صاحب كتاب *مرآة الحقائق* أن المولوي أنوار الحق الدهلوي، الذى كان من أبناء الشيخ و توفي عام ١٣١٩هـ كانت لديه مكتبة توجد فيها جميع مؤلفات الشيخ الدهلوي غير الثلاثة عشر كتاباً ضاع في ثورة ١٨٥٧م، و نذكر أسماء هذه الكتب فيما يلي:

١ - المطالعة و المناظرة
٢ - أسماء الأستاذين
٣ - الأفكار الصافية
٤ - انتخاب المثنوي
٥ - بناءُ المرفوع
٦ - ترغيب أهلِ السعادة
٧ - تعليق الحاوي
٨ - حاشية الفوائد
٩ - حسن الأشعار
١٠- الرسالة النورانية السلطانية
١١- صحيفة المودة
١٢- فصول الخطب
١٣- نكات العشق

و لست أدري هل توجد هناك نُسخُ أخرى لهذه الكتب الضائعة أم لا، و معظم مؤلفات الشيخ الموجودة في مكتبة الأستاذ أنوار الحق قد تم تدوينه و كتابته في ذلك الزمان نفسه - حتى أن المؤلف الشيخ المحقق الدهلوي هو الآخر قام بكتابة الحواشي على بعض الكتب، أما كتابه *الأنوار الجلية*، فقد قام الشيخ بكتابته كله من أوله إلى أخره بيده - و قد وجد بعض هذه الكتب سبيلها للنشر بينما بقي معظمها غير مطبوعة.

الأعمال اليومية :

نذكر فيما يلي خلاصة ما حرّر الأستاذ محمد أمين، صاحب كتاب "*شاه جهان نامه*" و أحد معاصري الشيخ عن الأعمال اليومية له:

> " *لقد بلغ الشيخ في ١٠٤٧هـ تسعين عاماً من عمره، و مع ذلك فهو لا يزال يتمتع بسلامة الحواس الظاهرة و الباطنة و يقوم كالشباب بأعمال التصنيف و التأليف و التصحيح و العبادة و الذكر و تلاوة القرآن الكريم و تعليم أبنائه و تلامذته و تربيتهم* ".

الوفــــاة :

توفّى الشيخ في الليلة المتخلّلة بين ٢١ و ٢٢ من شهر ربيع الأول في ١٠٥٢هـ عن عمرٍ يناهز شهرين و ٩٤ عاماً و دُفِن بالقُرب من ضريح الخواجه قطب الدين بختيار الكاكي، و كما أوصي قبيل وفاته، فقد قام نجله الأستاذ نورالحق الدهلوي بنصب لوحةٍ على ضريحه تلقى ضوءاً على حياته بإيجاز.

كان للشيخ الدهلوي ثلاثة أولاد من الذكور أكبرهم كان يدعى الشيخ نورالحق الدهلوي، و كان رجلاً ذكياً متوقد القريحة محبباً لدى والده الجليل و قد خلف أباه في العلم و التصوف و ألّف مثله عديداً من الكتب و الرسائل - و ظلّت أسرته تخرّجُ رجال الأقلام من الكتاب و المؤلفين إلى أن جاء عهد الإنجليز و مال فيه رجال هذه الأسرة إلى كسب العلوم العصرية الحديثة كعامة الناس. و يتحدّث كتاب *مرآة الحقائق* عن حياة أفراد أسرة الشيخ الدهلوي الذين بلغ عددهم نحو ٩٢ شخصاً من الكبار و الصغار - و قد وجدت معظمهم من رجال الحكومة و موظفيها غير الاثنين اللذين كانا يسيران على درب جدهما الجليل الديني و العلمي و هما الشيخ أنوارالحق الدهلوي و الأستاذ محمد مظهرالحق بن محمد وحيد الحق الذي ورد عنه في الكتاب أنه تخرّج من الجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند

تعريب: خالد القاسمي

غاندى فى الأدب العربى الحديث

بقلم: الدكتور عمر الدقاق، جامعة حلب

تعود الصلات الحضارية بين العرب و الهند إلى أزمنة موغلة فى القدم، و لعلها فى قدمها ترجع إلى ما قبل زمن التاريخ. فقد كانت ثمة علاقات تجارية و روحية مشتركة خلال حقبة سالفة من السنين، ثم ما لبثت تلك الأواصر أن تواشجت بين أمة العرب و أمة الهند فى إثر ظهور الإسلام، فازداد التمازج الحضارى عمقا و ثراء على الصعيد الأدبى و الدينى و السياسى و الاجتماعى و الاقتصادى.

لقد تبوأت حضارة الهند و ثقافتها منزلة سامية لدى العرب الأقدمين، و كانت موضع الإعجاب و التقدير عبر العصور. و إذا تجاوزنا أعدادا وفيرة من التجار العرب الذين زاروا فى الماضى بلاد الهند و عرفوا الكثير من شئونها، فلا بد من الإشارة إلى بعض مشاهير الرحالين العرب الذين جابوا تلك الربوع المترامية الأطراف، و ساحوا فى أصقاعها و دونوا الكثير مما سمعوا و رأوا فيها، جاعلين كل ذلك فى كتب قيمة عديدة، تحدثوا فيها عن مناخ الهند و طبائع أهلها، و عاداتهم و تقاليدهم، و حضارتهم و ثقافتهم، و أفكارهم و معتقداتهم. و كان فى طليعة ذلك مؤلفات المسعودى و البيرونى و ابن بطوطة (١) ... كما زخرت كتب الأدب العربى و سواها من كتب الملل و النحل و مؤلفات الحكمة و الفلسفة، بالجم الغفير مما يتصل بذلك التراث الهندى الحافل.

و يكفى أن يشار فى هذا الصدد إلى حكايات كليلة و دمنة، و قصص ألف ليلة و ليلة، التى تعد من أبرز ملامح المؤثرات الحضارية الهندية فى الأدب العربى ... كما أن بصمات العقل الهندى كانت واضحة لدى العديد من أدباء العرب و مفكريهم و متصوفيهم.

و يبدو أن الصلات العربية الهندية قد فترت بعد ذلك، بتأثير الركود الحضارى الذى ران على أمة العرب و أمة الهند أيضا خلال عصور الإنحدار ...

ثم انبعث تلك الأواصر السالفة فى هذا العصر الحديث إثر النهضة العربية، و لاسيما إبّان الطغيان الاستعمارى الذى قرن العرب و الهنود تحت نير واحد، و كان لوحدة المصير و المعاناة المشتركة تبعا لذلك أمضى الأثر فى زيادة التقارب بينهما... و قد انعكس ذلك إلى حد كبير فى تنامى العلاقات السياسية المطرد بين الهند و البلدان العربية و تجلى فى تأييد الهند الراسخ و المستقر للقضايا العربية، و على رأسها القضية الفلسطينية.

و مع ذلك يبدو للباحث أن ما بلغته العلاقات العربية ـ الهندية فى هذا العصر الحديث لم يبلغ المدىٰ الذى بلغته فى العصور الماضية من قوة و مضاء. و من ثم فان هذه العلاقات و أصداءها تبدو باهتة الملامح فى أدبنا العربى الحديث. و لعل من أبرز منازع اهتمام العرب بمعطيات الهند الحديثة على صعيد الفكر و الأدب شغفهم الكبير بالشاعر طاغور الذى كان أول أديب من الشرق يحظى بجائزة نوبل للآداب. ثم كان ثمة التفات مقارب بين العرب المسلمين إلى الشاعر الفيلسوف محمّد إقبال ... و يعد جرجي زيدان فى كتابه *تاريخ آداب اللغة العربية* ثم أحمد أمين فى كتابه *ضحى الإسلام* و من بعدهما طهٰ حسين و عبدالوهاب عزام فى طليعة الذين عنوا بالمؤثرات الهندية فى التراث العربى عناية فائقة و أولوا النتاج الإبداعى الهندى اهتماما خاصا.

و كان العرب و المسلمون ينظرون إلى حركة التحرر الهندية من قبضة الاحتلال البريطانى نظرة إعجاب، و يواكبونها بمشاعرهم فى كثير من الترقب و الاشفاق و الأمل.

و قد انعكس ذلك لدى رجل الإصلاح الكبير السيد جمال الدين الأفغانى (١٨٩٧م) الذى زار الهند و أبدى تجاوبا قويا مع كفاحها البطولى و قضيتها العادلة، و من مشهور قوله مخاطبته جماهير الهند (٢): " و عزة الحق و سر العدل، لو أن ملايينكم مسخت ذبابا، لأخرجت الانكليز بطنينها من الهند، و لو انقلبت سلاحف و خاضت البحر إلى الجزر البريطانية لجذبتها إلى القاع ".

و على صعيد آخر كان من أقوى عوامل انبعاث هذه العلاقات المتواشجة بين أمتى العرب و الهند بزوغ زعامة غاندى خلال النصف الأول من القرن العشرين على ذلك النحو الباهر الذى انتزع إعجاب الأمم و تقديرها ، و فى مقدمتها شعوب الأمة العربية.

فحين يتغلب المرء على فرديته ، و ينكر ذاته، و يقهر أنانيته، و حين ينذر نفسه، و يرخص روحه ، و يحتسب حياته فى سبيل عقيدة يؤمن بها و مثل يعتنقها ، إذ ذاك يتسم بالسمة الإنسانية، ذاك ما كانه غاندى. هو ذا انسان، إنسان لم يكن ينتمى إلى الهند وحدها، و لكنه تجسيد حى لما يضطرب فى نفوس البشرية المعذبة من نزوع الى التحرر و الكرامة و السلام.

لقد بلغ من انسانية هذا الرجل أنه كان يبدو للكثيرين من طبيعة متميزة، و أنه يختلف عن سائر الناس، و كأنه واحد من أنبياء التوراة. و قد

أشار انشتاين إلى أن الأجيال القادمة قد تجد من الصعب عليها أن تصدق أن رجلا كهذا كان انسانا من لحم و دم، يسعى على الأرض. على أن غاندى فى بساطته المتناهية لم يتعد أن يكون رجلا، كما نعتته انديرا غاندى حين قالت عنه: " فى رأيى أن غاندى لم يكن مجموعة من الآراء و التعاليم الجافة ، بل رجلا يشع حياة ، رجلا يحرص على أن يذكرنا بأرفع المستويات التى يستطيع الإنسان أن يبلغها".

هذا الرجل الذى كان للإنسانية كلها فى أصالته و سلوكه و فى نضاله الفذ المتفرد كان فى الوقت نفسه لشعبه و وطنه ، كان للهندوس و المسلمين ، كما كان للصعاليك و المنبوذين، و كان أخيرا للشرق البائس و شعوبه المتلهفة على الحرية.

غاندى الذى ملأ الدنيا و شغل الناس طوال النصف الأول من قرننا العشرين كان له حيز كبير فى ملحمة الكفاح العربى، كما كان للعرب فى تفكيره منزلة عالية . و قد لا نرى فى الأمر بدعا إذا أوغلنا فى حنايا الماضى و اجتلينا معالم التاريخ. فغاندى لم يكن إلا حصيلة تفاعل عريق بين الهنود و العرب تعانقت خلاله حضارتاهما كأبهى ما يكون التعانق الحضارى بين الشعوب على الصعيد الإنسانى الرفيع.

و لعل الإسلام هو النافذة الواسعة التى أطل منها الشعب الهندى على رسالة العرب. و مع أن الوجود العربى الإسلامى قديم فى الهند قدم الإسلام نفسه، فإن العصر الإسلامى فى الهند كما يقول غوستاف لوبون: " يبدأ فى القرن الحادى عشر و ينتهى من الناحية السياسية فى القرن الثامن عشر للميلاد. و هذا العصر عرف أحسن مما عرف أى عصر جاء قبله بفضل مؤرخى المسلمين. (٣)

و يحرص لوبون على توكيد الذات العربية فى الحضارة الهندية باعتبارها رافدا كبيرا لتراث الهند و مدنيتها و ثقافتها. و فى ذلك يقول أيضا: "إن تاريخ الحضارة الإسلامية فى الهند إنما هو بعث لتاريخ حضارة العرب. فمسلموا الهند لم يدخلوا إلى الهند بالحقيقة سوى حضارة العرب، بعد أن تحولت بعض التحول فى بلاد فارس، بفعل الأزمنة و الأمكنة. و المسلمون حين أدخلوا حضارة العرب إلى الهند أدخلوا معها رغبة كبيرة فى العلوم و الآداب و الفنون ... و طراز البناء الذى أتى به المغول إلى الهند هو كديانتهم من أصل عربى كان قد تحول إليها حين مروره من بلاد فارس."

فإذا مارحنا نلتمس هذا التفاعل الفكرى و التمازج الحضارى بين العرب و الهنود تجلى لنا بصورته الزاهية فى غاندى، فى تعاليمـــه، و فى سـلوكه ، و فى أقواله و من هذا القبيل ما ذكره خلال مراحل نضاله الشاق الصابر فى جنوب إفريقيا فى مستهل حياتـــه إذ قال (٤): " كان اتصالى ببعض الكلمـات

و العبارات العربية بادئ الأمر عن طريق الكلمات العربية المبثوثة في هذه اللغة الأوردية، من خلال اتصالى السابق بأصدقائى المسلمين " أما أصدقاؤه المسلمون فما كان أكثرهم ، و كان منهم رفاق الكفاح العاثر فى إفريقيا و فى الهند على حد سواء. فالشيث داؤود محمّد ، من أبرز رجالات الجالية الهندية فى جنوب إفريقيا. و قد عانى السجن و حظى باجلال غاندى حتى خصه هذا بفصل من كتابه " قصة اللاعنف " عدّد فيه مناقب كفاحه. كما خص بفصل أخر المجاهد الهندى أحمد محمّد كاتشاليا و قال عنه (٥): أنا لم أعرف قط عمرى كله، سواء فى جنوب إفريقيا أو فى الهند رجلا يفوق أحمد محمّد كاتشاليا شجاعة و ثباتا. لقد ضحى بكل ما يملك من أجل الجالية. إنه مسلم حنيف ، كان ينظر إلى الهندوس و المسلمين كمن لا يفرق بين عينه اليمنى و عينه اليسرى." و قد دأب غاندى على ابراز الدور الطليعي لرفاق الكفاح من المسلمين كالإمام عبدالقادر باوزير و شوكت على و أحمد بهايات و يوسف اسماعيل ميان و أبي الكلام أزاد، فضلا عن المناضل الأفغانى عبدالغفار خان الذى لقبه الهنود بغاندي الحدود. أما ملازمة زعيمى المسلمين محمّد علي جناح و شقيقه الأكبر لغاندى فكانت صفحة ناصعة تسجل ذورة ما بلغته وحدة الهندوس و المسلمين. و فى منزل محمّد علي، صديق غاندى، آثر المهاتما أن يقوم بالتجربة القاسية، يؤويه المسلمون و يعنى به أطباء مسلمون، و قد قدّم له المسلمون أخر طعام قبل الصوم، و أول طعام قبل انقضائه، وفقا لطقوس الديانة الهندوسية (٦). و فى مقابل ذلك يصور لنا غاندى جانبا أخر من هذه الحياة المثلى التى كانت تتجلى فى التحام شطرى الهند المسلم و الهندوسى و التى كان المهاتما يتحرق تطلعا إلى دوامها ، فيقول: " عندما كان يهل شهر رمضان كنا نستشعر أن من واجبنا أن نشجع رفاقنا من الفتية المسلمين على الصوم. بل كنا نطهو لهم الطعام. و مشاركة لإخواننا المسلمين لم يكن أكثرنا يتناول غير وجبة واحدة فى المساء. (٧)

و قد ذكر فنسنت شيئان أحد كتّاب سيرة غاندى. " أن غاندى كان طوال حياته ، غريزة و فطرة و تعمدا ، صديقا للمسلمين ، و قد قال مرة في جنوب إفريقية قبل عودته إلى الهند بزمن طويل : " إن الاختبار النهائى لـ " ساتيا غرها " ـ اللاعنف ـ سيكون من أجل الوحدة الهندوسية ـ الإسلامية ". (٨)

و كان غاندى شديد الاهتمام بمسألة الخلافة الإسلامية التى شغلت العرب و المسلمين حقبة من الزمان فى أعقاب الحرب العالمية الأولى، و كانت فى الوقت نفسه معقد محادثات بين الهندوس و المسلمين. حتى إن غاندى نفسه توجه إلى دلهي عام ١٩١٩ لحضور المؤتمر الإسلامي الذى دعى رسميا إلى حضوره. فقد بدت أنذاك رغبة المسلمين شديدة فى الحصول على تأييد غاندى و سائر الهندوس.

و فى إثر إعلان (الساتيا غراها) اى اللاعنف أمست اجتماعات الهنود

فى الترانسفال بجنوب افريقية حاشدة إلى حد بعيد ، و كان أكبر اجتماع حاشد فى إثر ذلك قد عقد بزعامة غاندى فى صحن مسجد بريتوريا. (٩) و كان للقرآن العربى احترام لا حد له من قبل غاندى ، يتضح ذلك من قوله عندما كان فى إفريقية: " فى مزرعة تولستوى كنت حريصا على أن يتلو المسلمون القرآن." (١٠)

و قد تجلى إجلال غاندى للقرآن كتاب العرب، و لمحمّد نبى العرب، فى مناسبات قومية عديدة و لاسيما عندما كانت الفتن الطائفية تشب فى الهند حتى لا تكاد تبقى و لا تذر. فقد خطب جموع المتخاصمين بتفاؤل و ثقة: " إنى أقول لكم إن النور قد سطع، و لسوف يهدينا إلى الطريق المستقيم. إن الرسل يعيشون و يموتون و لكن رسالاتهم كثيرا ما تثمر بعد قرون عديدة. أجل فكم كان عدد أتباع بوذا حين مات ، و كم كان اتباع محمّد ... ؟ لقد عاشت تعاليمهما بعد موتهما ، لأن عقيدتهما تقوم على الحق الأبدى." (١١)

و بدافع من أصالة فكر غاندى و إنسانيته كان لايفتأ يجهر بتقديره لرسالة العرب التى تجلّت فى الإســلام ، واجــدا فى ذلك خير رافد لتعاليمــه و حافز لثباته ، يقول: " تذكّر أن رسول اللّه هــاجر من مكة إلى المدينــة ، و معه صديقه ابوبكر . و قد تعقّبها نفر من الأعداء ، و خاف أبوبكر لما قد يحدث لهما. فقال لرسول اللّه: أنظر هذا العدد الكبير من أعدائنا الذين لحقوا بنا فماذا نفعل لو أنهم رأونا ؟ فأجابه رسول اللّه بقوله: ما بالك باثنين، اللّه ثالثهما." (١٢)

و أغلب الظن أن غاندى كان شديد اللهفة على لقاء العرب من كثب بعد أن عرف الكثير عنهم و عن حضارتهم و تراثهم و تاريخهم و دينهم فى بلاده ، و من خلال مؤثرات كثير من المسلمين الهنود. و عندما عنّت له الفرصة فى عام ١٩٣١، و هو متوجه إلى اوربا لبحث قضية بلده نزل فى شاطئ اليمن و خاطب مستقبليه من جماهير عدن الذين كانوا يرزحون هم و الهنود تحت نير عدو غاشم واحد، و كان مما قاله لهم: "إن هذه الجزيرة العظيمة ، جزيرة العرب التى ولد فيها محمّد ، و بعث فيها الإسلام ، مثل حى على التسامح الدينى و على انسانية الإنسان."

و مثل هذا التلازم بين العروبة و الإسلام الذى نلمسه فى كثير من عبارات غاندى و نصوصه كان فى الواقع و لعله مايزال إلى حدّ كبير حتى اليوم مألوفا أيضا فى أذهان كثير من العرب المسلمين، كما كان شائعا فى الوقت نفسه بين غالبية العرب غير المسلمين و غالبية المسلمين غير العرب.

و قد أشار المفكر الهندى أبوالحسن الندوى إلى: (١٣) " إن المسلم ينظر إلى العالم العربى كمهد للإسلام و مشرق نوره ، و معقل للإنسانية ، و موضع القيادة العالمية ". فقد كان من الطبيعى أن يشعر المسلم فى الهند أو فى سواها برابطة نسب واشجة تشده إلى العرب، يتجلى ذلك فى قول الفيلسوف الشاعر

محمّد إقبال :

أنا أعجمىّ الدّن لكنّ خمــرتى صنع الحجاز و روضها الفينان
إن كان لى نغم الهنود و لحنـهم لكنّ هذا الصوت من غدنـــان

و حين عبر غاندى قناة السويس عام ١٩٣١م حال المحتلون الإنكليز بينــه و بين النزول بأرض مصر و لقاء شعبها الذى كان يضطرم ثورة على زبانية الاستعمار. و مع ذلك كان هذا المرور حدثا تاريخيا ينم على التجاوت العميق بين العرب و الهنود و شعورهم القوى بوحدة المصير. لقد كان غاندى بطلا شرقيا وجد فيه شعب مصر خصماً عنيدا للمستعمر، ذلك العدو المشترك. و قد أعرب مصطفىٰ النحاس رئيس الوفد المصرى آنئذ عن هذه الروح التى كانت تسرى فى جموع الأمة فى كلمته إلى غاندى قائلا: " باسم مصر ، التى تجاهد من أجل حريتها و استقلالها أرحب فى شخصكم العظيم بزعيم الهند العظيم ، الهند التى تحارب هى الأخرى لتحقق نفس الهدف " (١٤). كما أعربت السيدة صفية زغلول قائدة أول مظاهرة للنساء فى الوطن العربى إبان ثورة ١٩١٩ المصرية عن شعور مفعم بالإجلال تجاه الزعيم الشرقى الكبير (١٥).

و لعل أبرز من عبر عن حقيقة المشاعر العربية و مدى ما كانت تنطوى عليه من زخم تجاه الهند الصابرة و قائدها الفذ ، ما نظمه الشاعر أحمد شوقى إبان مرور غاندى بمصر ، إلى مؤتمر المائدة المستديرة بلندن ، لمفاوضة الحكومة البريطانية حول استقلال بلاده. و قد يكون شوقى خير من يعكس ما يضطرم فى نفوس أمته من حيث انفعاله بآلامها و تجاوبه مع مطامحها و رصده الحى لأحداثها. إذ وجد فى قدوم عظيم الهند إلى مصر حدثا سياسيا و تاريخيا ، جديرا بكل حفاوة و إكبار. و قد خصّ شوقى رجل الهند بقصيدة دالية تناهز الأربعين بيتا قال فى مطلعها: (١٦)

بنى مصر ارفعوا الغار و حيوا بطـــل الهنــد
و أدوا واجبــا و أقضــوا حقـــوق العــلم الفــرد

و قد وجد الشاعر المصرى فى الزعيم الهندى رجل وطنية و سياسة يغاير ما كان معهودا من رجال العصر و ساسته ، فرفعه إلى أسمى المنازل ، أنه لديه كالمهدى المنتظر أو شبيه الأنبياء و المرسلين:

نبى مثل كونفــوشيو س، أو مــن ذلك العهد
قريب القول و الفعــل من المنتظــر المهــدى
شبيه الرسل بالــذود عن الحق ، و فى الـزهد

و فى رأى شوقى أن تلك الطاقة الروحية الخلاقة التى جبلت عليها شخصية غاندى لا تعطىٰ إلاّ لذى حظ عظيم ، و كأنها هبة من اللّه الكريم إلى

عباده الطيبين، إنها ليست مستمدة من أسباب المادة و قوة المال و بطش السلاح:

و لكن هبة المـــولى تعالى اللّـــه للعبـــد

كذلك كانت وقفة لازمة فى قصيدة شوقى تجاه الطائفية البغيضة ، تلك العلة المزمنة التى استشرت فى الهند استشراءها بين العرب، حتى غدت داء عياء لا برء منه ، فأين هذه النزعة الخبيثة مما أتى به غاندى فى رسالته السمحة السامية التى كان الوطن العربى يتحرق شوقا إلى مثلها ، أجل هذا هو غاندى المعلم القائد كما صوره شوقى:

لقـــد علـّـم بالحـــق و بالصبـــر و بالقصـــد
و جاء الأنفس المرضـــى فداواهـــا من الحقـــد
دعا الهندوس و الإسلام للألفـــــة و الـــــودّ
بسحـــر من قوى الروح حوى السيفين فى غمـــد

و لعل أهم ما انطوى عليه مضمون دالية شوقى ربطها بين هموم الأمتين ، أمة العرب و أمة الهند تحت وطأة التسلّط الأجنبى، ففى إشارة خافية يلمح الشاعر الى سعد زغلول (١٩٢٧م) زعيم مصر و غاندى زعيم الهند، فيبرز من خلال ذلك ما كان من معاناته القاسية و مكابدته المريرة عبـــر نفيه الظـــالم و نضاله الدائب ، ثم ما كان من وحدة الآلام و المصيـــر المشتـــرك بين العرب و الهنود:

أخوكم فـــى المقاســـــاة و عرك المـــوقف النكـــد
و فى الموقعـــة الكبـــرى و فى المطلـــب و الجهـــد
و فى الجرح و فى الـــدمع و فى النفـــى من المهـــد

و ما أجملها من تحية يلقيها شوقى على غاندى ، هذا العظيم الضنيل لابس المئزر و صاحب المغزل و حالب المعزى:

سلام حالب الشـــــاة سلام غازل البـــــرد ...

لقد غدا غاندى فى قلوب الملايين المستضعفة رمزا للزعامة الشرقية فى تحديها للغرب. هذه الروح الشرقية التى أخذت تنبعث بقوة لدى الجيل العربى فى مطالع هذا القرن بسبب الهجمة الاستعمارية الضارية على الوطن العربى و التى يمكن العودة بجذورها إلى حقبة الحروب الصليبية أخذت تتجلى بين العرب على شكل شعور غامض بالتعاطف بينهم و بين شعوب أخرى مقهورة فى هذا الشرق الكبير، وحّدت بين مشاعرها مواجع القيد فلم تعد تميز بين زعيم و زعيم من زعمائها ، فكانت تجد فى كل وقفة متمـــردة شفـــاء لجراحهـــا و ثأرا لكرامتها، من أن النزعة الشرقية لم تبلغ منزلة الرابطة الوثقى بين شعوب الشرق إلاّ أنها كانت تشغل حيزا كبيرا فى أذهان العرب، و ذلك نتيجة

للظروف التاريخية المشتركة التى أملاها الخطر المشترك الطارئ، من جهة ، ثم ترجرج الأفكار و المفاهيم القومية من جهة أخرى. فجبران خليل جبران الذى ينتمى إلى لبنان و يدين بالمسيحية يحرص على أن يجعل لنفسه هويّة شرقية إذ يقول: " أنا شرقى ، و لى فخر بذلك. و مهما أقصتنى الأيام عن بلادى أظل شرقى الأخلاق، سورى الأميال ، لبنانى العواطف ". فالشرقية عنده عاطفة وطنية أو قومية واسعة. و على هذا الغرار نجده يدافع عن الشرق بحرارة و يحمل على الغرب بقوة إذ يقول (١٧): " لا ليس الغربى أرقى من الشرقى، و لا الشرقى أحط من الغربى "

و لعل من المفارقات أيضا أن غاندى نفسه لم يكن ليقيم مثل هذه الحدود بين الشرق و الغرب فكان يتسامى عليهما بروحه العظيمة على الصعيد الإنسانى الأمثل، فهو القائل (١٨): " لم تمرّ بى تجربة واحدة - خلال إقامتى فى انكلترا و أوربا ثلاثة أشهر - تجعلنى أشعر حقا بأن الشرق شرق و الغرب غرب. بل على العكس ، قد زدت اقتناعا أكثر من أى وقت مضى بأن الطبيعة البشرية هى هى مهما اختلفت الظروف ". و لعل هذه العبارات بمثابة رد غير مباشر على الشاعر الامبراطورى كيبلنغ (KIPLING) الذى اطلق قولته: " الشرق شرق، و الغرب غرب، و لن يلتقيا ".

و مثل هذه الروح الشرقية الوادعة كانت تطل من حين إلى اخر من خلل الأشعار اللاهبة و الخطب الصاخبة التى كانت تملأ دنيا الأدب و السياسة فى مواكبة الكفاح العربى العاثر. ففى زيارة شاعر الهند طاغور لمدينة دمشق عام ١٩٢١م عبر عدد من الشعراء عن أجمل المشاعر تجاه الهند و زعيمها. و قد تجلت فى قصيدة أديب التقى (بين الشرق و الغرب) نفحة إنسانية وادعة ، كأنها سرت إليه من روح الشاعر الهندى العظيم: (١٩)

حنانك ، عهد الشرق هل أنت راجع
بما ينبغى أم ليس تحناننا يقضى
أ أحرار أهل الغرب أمّوا بلادنا
ترونا كراما لا نسرّ لكم بغضا
تعالوا إلينا ، لا لفتح و غارة
لتستعبدوا حرا و تستعمروا أرضا
و لكن لترتادوا حقائق شرقنا
و تستمعوا للقلب عن كثب نبضا

و حين تكون شعوب العرب و الهند تحت نير واحد تغدو معالجة أوضاعهما فى النثر و الشعر العربيين أمرا طبيعيا بل لازما. حتى إن هذا التعاطف الشرقى كان يتسع ليشمل وثبة تركيا و نهضة اليابان و كفاح الصين ... غير أن الهند بقيت الموضوع الأثير فى الشعر القومى فى فترة ما

بين الحربين العالميتين و كأنها المثال البارز الدال على شراسة الاستعمار و زبانيته. فشاعر عربى كعمر يحيى يخرجه الإنكليز من البحرين منفيا إلى الهند لا يرى فارقا بين بلدين شرقيين امتدت فوقهما ظلال الاحتلال البغيض (٢٠):

أنا فى الهند أرى الشرق و ما   فى حناياه من الداء الدفين
ضاق صدر الشرق عن أبنائه   و حوى من قادة الغرب مئين
فلكم تضحك لما أن ترى   بقرا ترعى و أقواما تهون
و لكم تبكى إذا شاهدت فى   ساحة الهند جموع البائسين
فى هدوء الليل أقوام على   قارعات الطرق فقراً نائمين
أسبل البؤس عليهم مزقا   من ثياب و ظلاما من شجون

و لعل معروف الرصافى فى طليعة شعراء العرب الذين عنوا بكفاح الهند و أحوالها ، كان يتحدث عنها بمرارة و أسى حديثه عن العراق و سائر بلاد العرب (٢١):

زر الهند إن رمت العيان فكم ترى
على الأرض من غبر هناك و من شعث

ثم يندد الرصافى الانكليز الذين جثموا على صدر الشرق و نهبوا خيرات العرب و الهنود:

و هم سلبوا أرض العراق سمينها
و لم يتركوا فيها منالا سوى الغث

و يبدى الرصافى اهتماما متزايدا بأحوال الهند، قارنا إياها مع العراق فى وحدة المصاب و المصير:

إذا ما سمعت الهند فى قول قائل   تخيلت فيلا بالحديد مكبلا
تزجّيه كف الأجنبى مسخَّرا   فيمشى بأعباء الأجانب مثقلا
و يبرك أحيانا على الأرض رازحا   له أنّة من ثقل ما قد تحملا

و لو قام هذا الفيل و استجمع القوى
لهز بها شمّ الجبال و قلقلا

حتى إن الرصافى يرى أن ارتباط العراق بالهند ارتباط مصيرى، و أن تحرر العراق رهن بتحرر الهند:

و لو لم تكن بالفيل عندى علاقة   لما رمت عن هذا الجواب مفصّلا
لنا حمل و هو العراق نظنه   غدا من وراء الفيل للذئب مأكلا
فان ينج هذا الفيل من قيد أسره   نجونا والا أصبح الأمر معضلا

لقد خاب ظن العرب فى زعمائهم الذين كانوا يتلهون حول خسيس المغاد

فراحوا يتلهفون على زعامة مخلصة كزعامة غاندى تأخذ بسفينة البلاد الغارقة إلى شاطئ السلامة. كان شاعر فلسطين ابراهيم طوقان دائب الإنذار و التحذير من النهاية المظلمة لوطنه و يتطلع أبدا إلى ذلك الربان الماهر بنظر اليائس القانط:

حبذا لو يصوم منّا زعيم   مثل غاندى عسى يفيد صيامه

ثم يصف طوقان مرض الزعامة فى وطنه بسخرية مريرة:

مغرم بالبلاد صب و لكن   بسوى القول لا يفيض غرامه
بطل أن علا المنابر، كرّاً   رُ سريع عند الفعال انهزامه

و كما كان الكفاح السلبى المسالم أساس فلسفة غاندى السياسية ، كان مسلكه المتفرد فى امتناعه عن الطعام أيضا هو المنحى الذى ارتضاه فى الضغط على أعدائه و إثارة مشاعر قومه. فحين أعلن غاندى صيامه وقفت الهند معه وقفة رجل واحد. كما استبد القلق و التوجس لدى حكومة الانكليزمن مضاعفات هذا الموقف. و قد واكبت صحافة العالم و أجهزة إعلامه هذا الصوم الغريب باهتمام شديد و اشفاق بالغ. و كان لذلك أيضا صدى بارز فى نفوس الأدباء العرب عبّر عنه عباس محمود العقاد فى قوله مخاطبا غاندى (٢٢):

أتيت إلى الدنيا العريضة عاريا   و تقضى بها جوعا ، و ما عزّ مأكل
تركت لهم حتى الطعام ، فقل لنا   على أى شىء بعد موتك تقبل
إذا البؤس و الحرمان كانا شفاعة   لعالمك الأعلى ، فما هو أفضل
إذا كان ما ندعوه بؤسى غنيمة   لمن يطلب النعمى فبئس المعوّل

ثم انجلت محنة غاندى عن نصر سياسى مبين. بفضل عزيمته، و التفات شعبه حوله ، فأذعن الانكليز لمطالب الهند، و عادت لغة المنطق و الحوار بدلا من لغة الحديد و النار ... و هكذا أفطر غاندى ، و كان لإفطاره رنة فرح و استبشار فى كل مكان. و كما توّج عباس محمود العقاد قصيدته السابقة بعبارة (*إلى غاندى حين أعلن الصيام*) أهدى قصيدته الأخرى (*إلى غاندى يوم إفطاره*) فراح يخاطبه بإعجاب غامر: (٢٣).

غندى لك النصر المبين على المدى   و لشانئيك الخسر و الخذلان
لم ألق قبلك من يحرر قومه   و هو السجين الجائع العريان

لقد رأى الشاعر العقاد أن داء الهند هو الجوع. فاتخذ غاندى من هذا الداء دواء:

بالجوع و الحرمان تصلح أمة   أخنى عليها الدهر و الحرمان
خذ من قرارة دائهم لدوائهم ،   بعض السقام من السقام ضمان

هذه الشخصية الآسرة التى انطوى عليها ذلك الجسد الضئيل و التى

صور ملامح صاحبها شاعر الهند رابندا ناث طاغور بأنها: "الروح العظيمة في زي شحاذ" كأنما عناها أيضا شاعرنا القديم أبوالعتاهية في قوله إنها " ملك في زيّ مسكين ..." هذه الشخصية امتدت حتى استحوذت على قلوب الأدباء العرب في مهاجرهم القصية بأميركا ، و كأنهم وجدوا فيها طرازا رومانتيكيا متفردا لا نظير له.

ففي قصيدة لألياس قنصل نراه يجمع بين نضال عدد من الأمم الشرقية على صعيد واحد، فيتحدث عن الثورة السورية و بطش فرنسة بدمشق ، و عن نضال فلسطين و الإرهاب الصهيوني، ثم ينتقل في القصيدة نفسها إلى كفاح الهند و زعيمها الأكبر ، بوحي من الشعور بوحدة القضية المشتركة ، واضعا غاندي في مصاف الأنبياء (٢٤):

و ما غندي الضعيف سوى نبيٍ   شبيـــه الأنبياء المرسلينـــــا

فقد كان غاندي قبلة أنظار العرب في مهاجرهم الأميركية، يكنون له من الحب و الاحترام و من الاجلال و التقدير ما لايقل عما يكنه له الهنود. و من هنا أيضا كاد الشاعر القروي رشيد سليم الخوري يؤلهه و يرى فيه أمثولة في الزعامة أنجبها الشرق، فكانت فخرا له امام الغرب.(٢٥)

من شبط بحر الغانج زأر غضنفر   أشجى لسمعي من هديل حمـــام
صوت يردده مسيـح الهنـــد في   دلهي لتسمع يا مسيح الشـــام

و الشاعر القروي الذي طالما ثارت ثائرته على استكانة قومه و تخاذل قادتهم ، أهاب بشعبه من وراء البحار أن هبوا إلى الكفاح هبة غاندي في هنده. لقد أهلّ عيد الفطر على المسلمين بعد صيام شهر، و لكن شتّان ما بين صيام و صيام كما قال القروي (٢٦)

صياما إلى أن يفطر السيف بالدم   و صمتا إلى أن يصدع الحق يا فمي
أفطر ، و أحرار الحمى في مجـاعة   و عيد ، و أبطـال الجهـاد بمـآتم ؟
لقد صام (هنـــدي) فجوّع دولـــة   فهل صار علجا صوم مليون مسلـم
تجشّـم عن اوطانه صـوم عـــامد   فجشّم اوطان العدى صـــوم مرغم
و خلّى عـــلوج الظـــالمين بـلاده   تضيق بجيش العاطلين العـرمـرم
و ألقى على (منشستر) ظل رهبة   يضج بأشبـــاح الشقـــاء المخيـــم
أهـــاب بآلات الحديد فعطــلت   مصـــانع كـــانت جنـــة المتنعّم
و شل دواليب الرخـــاء بصرخـــة   أدارت دواليب القضـــاء المحتـــمَ
كساها نسيج العنكبوت، و كم كست   جســوم البرايا بالقشيـب المنمنم
تهدّمهـــا أســـرار نفس عجيبـــة   تجـــول بذاك الهيـــكل المتهـدم
فيالك من عان ، لديه تصـــاغرت   جبـابر أبدان و عقـــل و درهـــم
و راحت ملوك المال تشكـــو ببابه   من الفقـــر: يا للظالم المتظـــلم ...

هبونى عيدا يجعـل العرب أمـــة   و سيروا بجثمانى على دين بـرهم
سـلام على كفر يوحـد بيننـــا   و أهــلا و سـهـلا بعده بجهنـم

و على هذا القرار من النفس الملحمى مضى القروى فى قصيدته مشيدا برسالة غاندى رسالة التمرد و الإصرار.

و مخائيل نعيمة الذى كان قطبا آخر بين أدباء المهجر كان ذا إدراك عميق لحقيقة المنازع الشرقية التى تنطوى عليها الرسالة الغاندية. فقد وجد فى غاندى صورة أخري للمسيح تنطوى على الكثير من ملامحه ، و ما يتسم به فى رسالته المثلى المتجلية فى اللاعنف ، أ لم يردد غاندى نفسه موعظة المسيح على الجبل، حتى غدت بعد ذلك بالنسبة إليه نقطة انعطاف فى سلوكه و تعاليمه .. ؟ لقد بلغ من إعجاب نعيمه بغاندى أن أسماه " ضمير الشرق المستيقظ " (٢٧) ، كما راح يشيد بروحانية الشرق فى حماسة بالغة من خلال مقالات متعددة ، مثل : شرق بصير و غرب مبصر ، غرب حاكم و شرق محكوم، غرب يغرب و شرق يشرق ... (٢٨)

و إذا كان نعيمة قد وجد فى غاندى الإنسان كائنا روحانيا فذًا ، فقد وجد فيه فى الوقت نفسه بطلا قوميا فريدا. لقد حقق غاندى النصر لأمته ، فتم له و فى الوقت نفسه النصر المبين لرسالته. و فى ذلك يقول نعيمة: " أصبح المغزل فى يد غاندى أمضى من السيف .. و أصبحت الملاءة البسيطة البيضاء التى كانت تلف جسد غاندى النحيل درعا لا تخترقها مدافع أساطيل سيدة البحار. و أصبحت عنزة غاندى أشد بأسا من الأسد البريطانى ". (٢٩)

ثم يتوقف القلب الكبير الذى وسع قضية بلاده و مشكلات قومه. و كان لابد له أن يتوقف بعد أن أتم مهمتّه و بلّغ رسالته عبر مسيرة الصراع المرير بين الحق و بين القوة. فقد أوصل سفينة وطنه إلى شاطئ السلامة ، و حقق حلم الحرية ، فحق له أن يموت قرير العين. غير أن من المفارقات العجيبة أن هذا الإنسان الوادع الذى أمضى عمره أبدا داعيا إلى اللاعنف هو نفسه الذى سقط ضحية العنف، فكانت نهايته أبلغ نهاية ، و كأن شاعرنا العربى القديم قد عناه بقوله:

و كانت فى حياتك لى عظات   فانت اليوم أوعظ منـك حيا

و يكون لمصرع غاندى على ذلك النحو من الغدر صدى بعيد فى الوجدان البشرى، تجدد معه القول فى هذا الإنسان العظيم البسيط ، و تجلى فى إثر ذلك مذهبه الفريد الذى أشع على هذا العالم المتفجر. و كان صوت الأدب العربى، شعره و نثره فى فقده من أوفى الأصوات و أصدقها و أشجاها. و فى ربوع البرازيل القصية ، فى تلك الواحة العربية فى صحراء العجمة و الغربة تند من الشاعر فرحات عبارات رثاء شجية ينثرها سجاما مع دموعه ، فاذا هى أبلغ من الشعر. إنه يقول من خلال نثيرته " مصرع غاندى ":

" مات غندى .... قتل غندى "

" إن اليد التى صبت السم فى كأس سقراط هى التى سمّرت الناصرى على الصليب.

" و هى اليد التى اطلقت الرصاص على غندى

" إنها يد التعصب الأعمى و الحقد الأصم.

" غندى الذى قضى حياته ملاكا بين فئات لاتحصى من أبالسة الهنـادك و المسلمين و السيخ و المنبوذين ... مات قتيلا.

" مات الزعيم البرهمى الروحـى الذى لم يحمل سلاحـا ، و لم يباركه ، أو يبارك حامليه.

" كان يحب أعداءه و يبارك لاعنيه، فوا خجلة المسيحيين.

" مات الزعيم الذى حارب بسلاح الحق فدحرها ، فوا خجلة الأقوياء المستبدين.

" مات غاندى ... مات رجل الإنسانية الأوحد ، قتله أحد أبناء الإنسانية الحمقاء.

" إن الإنسانية التى توجت اللصوص و السفاحين ملوكا و أباطرة ... قتلت سقراط و عيسى و غندى.

" فويل لهذه الإنسانية المأفونة التى تحيى اللصوص و تقتل المصلحين.

" ويل لهذه الإنسانية من أبنائها المتعصبـين ، و ويل لها من السيـاسة و السياسيين، الفجرة المنافقين الذين يرشحون أنفسهم و شركاءهم لجائزة نوبل السلمية و يتناسون غاندى.

" و لا بدع ، إن السلم كان يريده غاندى سلم لأرياء فيه ، سلم يقوم على المحبّة و الحق و العدل ، هم إنمـا يريدون سلمـا قائما على الـرياء و الدسائس و الاغتصاب و القهر.

" سلم غاندى حمائم تتناغى على الأغصان، و سلمهم ذئاب تتعاوى حول الأشلاء.

" إن هذه الإنسانية الموبؤة لا تعرف أنها فقدت أفضل أبنائها ، و أحسنهم إلى الناس ، و أقربهم الى اللّه ... "

" إنها فقدت غاندى ... إنها قتلت غاندى

و بعد ، لقد كان غاندى رمز التفاعل الفكرى بين العرب و الهنود، إن محبّته للعرب و تشبّعه بتاريخهم ، ثم إعجاب العرب به و بزعامته فى مقابل ذلك مما رددته حناجرهم و فاض على لسان كتّابهم و شعرائهم لهو خير ما يؤكد أن هذا الرجل الفذ لم يكن للهند وحدها بل كان أيضا للعرب و لسائر الشعوب المتلهفة على الحرية. إنه روح الشرق العظيم التى مازالت تشع على الإنسانية إحساسها العميق بوحدة المصير للجنس البشرى المتطلّع الى حياة بشرية

خصبة يسودها الحق و العدل ، و تشرق فيها شمس الحقيقة ، لتغمر البشر جميعا بنور الحرية و الإخاء و السلام

الهوامش:

١- إى ، كي ، أحمد كتّي: الهند في الأدب العربى الحديث، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٥٥، ج ٤ ، اكتوبر ١٩٩٠.

٢- تاريخ الأدب العربى ، أحمد حسن الزيات ، ص ٤٤٠ ، الطبعة ٢٦ ، دار الثقافة ، بيروت.

٣- حضارات الهند ، تعريب عادل زعيتر ، ص: ٤١٦

٤- قصة اللاعنف فى جنوب إفريقية ، تعريب منير البعلبكى.

٥- قصة اللاعنف فى جنوب إفريقية ، ص: ١٨٥

٦- المهاتما غاندى ، فنسنت شيان ، ص: ٢٥٠ ، تعريب محمّد عبدالهادى

٧- قصة اللاعنف فى جنوب إفريقية ، تعريب منير البعلبكى ، ص: ٢٨٢

٨- المهاتما غاندى ، تعريب: محمّد عبدالهادى ، ص: ٢١٩

٩- قصة اللاعنف ١٨٢ ، تعريب منير البعلبكى.

١٠- قصة اللاعنف

١١- المهاتما غاندى الثائر ، ص: ٥٤ ، تعريب: محمّد عبدالهادى.

١٢- الهند ، الكتاب السنوى ١٩٦٨-١٩٦٩ ، ص ٤٠

١٣- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص ٢٤٥

١٤- المهاتما غاندى الثائر ، ص ٤٣ ، تعريب: محمّد عبدالهادى

١٥- المهاتما غاندى الثائر ، تعريب: محمّد عبدالهادى.

١٦- ديوان " الشوقيات " ج/٤ ص: ٨٣ ، مطبعة الإستقامة ، مصر ١٩٥١

١٧- قصة : العاصفة ، من كتابه: العواصف.

١٨- قصة تجاربى مع الحقيقة ، ص: ٢٥٨

١٩- ديوان اديب التقى ، ص: ١٠١

٢٠- ديوانه البراعم ، ص: ٦٥

٢١- ديوان الرصافى ، ص: ٤٧٠

٢٢- خمسة دواوين للعقاد ، ص: ٣١٤ ، مصر ، ١٩٧٣م

٢٣- نفس المصدر السابق ، ص: ٢٥٩ ، مصر ١٩٧٣م

٢٤- ديوانه: على مذبح الوطنية ، ص: ٦٩

٢٥- ديوان القروى ، طبعة وزارة التربية و التعليم بالقاهرة ، ص: ٢٧٩ ، و قد ألقى قصيدته هذه فى حفلة عيدالفطر التى أحيتها الجمعية الخيرية الإسلامية فى سان باولو سنة ١٩٣٣م

٢٦- فى مهبّ الريح ، ص: ١١٣

٢٧- البيادر ، ص: ١٢٠-١٤٢

٢٨- فى مهبّ الريح ، ص: ١١٦

٢٩- ديوانه: " الخريف " ص: ١٦٤ ، سان باولو ١٩٥٤م

المرشد نانك
فى المنظور الاسلامى

بقلم : البروفيسورنثار أحمد الفاروقى
رئيس قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة دلهي

جورونانك (١٤٦٩ - ١٥٣٩م) شخصية فريدة فى تاريخ الديانات. انه تولد و نشأ فى احضان أسرة كاشترية بولاية البنجاب فى الهند، و قام بتأسيس ديانة لبرالية ضمت إليها جميع الديانات. ذات مرة تحدث الملك المغولى جلال الدين اكبر عنه فقال :

"الكاشتريون عامة هندوكيون أرثوذكسيون، و الغريب فى الأمر أن يتولد بينهم مؤسس ديانة"

لقد عرف أتباع جورونانك فى أول الأمر بتسمية "نانك بانثى"(NANAK PANTHI) و السمات الرئيسية لتعاليمه تلخصت فى خصائص التفاهم و التسامح تجاه ديانات أخرى، و لاسيما تجاه الديانات التى تأسست على الوحدانية و القيم الانسانية، فانه رفض الشرك رفضا مباشرا، و نظرته تجاه ذات الاله و صفاته كانت أعمق بالمقارنة مع الديانات الرئيسية الأخرى التى نشأت فى شبه القارة الهندية، و الكتاب - جورو جرنت صاحب - الذى تقدسه الطائفة السيخية، هو الوحيد - من بين الكتب الدينية الهندية - الذى يتضمن الأناشيد و الأبيات و المقولات المأثورة من الزهاد و المتصوفين من أتباع مختلف الديانات، و القيمة الجوهرية للعقيدة السيخية تكمن فى البر و الاحسان و التسامح و ذلك لأن هذه العقيدة تبنت رؤية واضحة من ذات الاله عز و جل .

كلمة " السيخ " مأخوذة من كلمة " شيشيا" (SHISHYA) أو التلميذ و المتبع ، و فى مصطلح الصوفية يراد بها " المريد" أو المتبع و المسترشد، فيما يراد بـ " جورو" المرشد لسواء الطريق.

و عن الطقوس الدينية السيخية ، فانها تشبه تعاليم و مسالك الصوفية

من الطريقة الشيشتية. و أوجه التماثل هذه بين الطقوس الدينية السيخية و الطريقة الشيشتية، تنعكس في اشتراك اتباعهما في احلال الـ " جورو" و " المرشد" مكانة الاجلال و التقديس و هكذا فان كلمتي " جورو دوارا" (معبد السيخ) و " خانقاه " (الزاوية) عبارة عن المكان الذي يسكن فيه الشيخ أو المرشد الروحي ، و يلقن أتباعه دروسا في السلوك ، و يشرف على اصلاح أخلاقهم و مدارج ترقيتهم الروحية، يعتبر "جورودوارا" بيت المرشد، و الكتاب المقدس "جورو جرانت صاحب" يحل مكان المرشد أو جورو في الديانة السيخية.

يكون المطعم أو (LANGAR) سمة بارزة لمعابد السيخ، و الطعام هناك يوفر للجميع فقراء كانوا أم أغنياء، و الدراويش من الطريقة الشيشتية أيضا يمارسون نفس التقاليد منذ خروج الطريقة لحيز الوجود في القرن الحادي عشر الميلادي تقريباً، و الصوفية المسلمون يولون اهتماما كبيرا لإطعام الجياع بدون أي تمييز على أسس العقيدة أو اللون أو الجنس، و هكذا فان الطعام في المعابد السيخية يوزع بين الزوار جميعهم، و توجد في بعض المعابد الرئيسية دوائر خاصة كتنظيم المطاعم على نطاق واسع جدا. و من أوجه التشابه بين موسستي "جورو دوارا" و " خانقاه" أن السيخ يمارسون تقاليد النذورات التي تعرف بـ "كراه براساد" (KARAH PRASHAD) كمثل الصوفية المسلمين الذين بدورهم يقدمون النذورات لإيصال المثوبة تصدقا على المشائخ أو على أقربائهم الذين وافاهم الأجل، و يقرأون الفاتحة عليهم، و يتلون الآيات القرآنية، و يوزعون الحلاوى و الفواكه. (التقليد السيخي KARAH PRASHAD ايضا يكون صدقة و نذراً بالنيابة عن المرشدين السابقين).

و هنا تجدر الاشارة إلى أن جورونانك اختارجورو أنغاد (GURU ANGAD) (١٥٠٤- ١٥٥٢) الذي لم يكن يرتبط به بالعلاقة الدموية، و عيّنه خليفة له، و المشائخ من الطريقة الشيشتية من أمثال الخواجه معين الدين السجزي الأجميري (المتوفى عام ٦٣٤ هـ / ١٢٣٧م) و الشيخ فريد الدين مسعود غنج شكر (المتوفى ٦٧٠هـ/١٢٧١م) و الخواجه نظام الدين أولياء (المتوفى ٧٢٥هـ/١٣٢٥م) أيضا وضعوا نفس التقليد، و لم يقوموا بتعيين أقاربهم خلفاء لهم. و لو أجرينا دراسة مقارنة بين طرائق المشائخ المسلمين من الطريقة الشيشتية و الأنظمة التي اتبعها الزهاد السيخ ، لوجدنا عدة أوجه تشابه أخرى بين التقاليد المتبعة لديهم. فقد زار جورو نانك أثناء رحلاته عدة زوايا و مزارات في أماكن بعيدة، و يروى أنه مكث لفترة في زاوية الشيخ ابراهيم، ابن حفيد البابا فريد، في بلدة باك بتن (مديرية ساهيوال في باكستان حاليا) و تسلم منه خرقة (كساء خاص بالصوفية) مازالت محفوظة في معبد تشولاصاحب (CHOLA SAHIB). وفي بعض المراجع القديمة نعثر أيضا على محادثات بين المتصوفين حول موضوعات التوحيد و التجارب الروحية. و يقال أيضا أن الآيات القرآنية منقوشة بخط بديع على الخرقة المحفوظة في معبدتشولاصاحب

و هكذا يروى أن جورو نانك استلم أثناء زياراته لزاوية الشيخ ابراهيم مجموعة من الأبيات التى قرضها البابا فريد باللغة البنجابية ، و لقد أدرج جورو أرجون ديف (ARJUN DEV) (١٥٨٣ - ١٦٠٦) تلك الأبيات فى كتاب السيخ المقدس: جرنت صاحب (GRANTH SAHIB).

و يعتقد عامة السيخ و مؤرخو الديانة السيخية أيضا بأن جورو نانك زار مكة المكرمة، و قضى وقتا من حياته داخل أسوار حرم الكعبة الشريفة. الأمر الذى يثبته ما عرف عن مشايخ الشيشتية انهم لم يمنحوا خرقة الخلافة لغير المسلمين أبدا. و من الأدلة المقنعة التى يمكن الاستناد إليها لإثبات أن جورو نانك كان مؤمنا بالتعاليم الاسلامية أن أسوار حرم الكعبة الشريفة استمرت محظورة الدخول لغير المسلمين طيلة ١٣٦٢ سنة ميلادية (١٤٠٤ سنة هجرية) مهما تكن مكانتهم الروحية أو الدنيوية، و هكذا فلا مجال للاعتقاد بأن جورو نانك تنكر أو تظاهر بالاسلام لذلك الغرض. و يروى بعض المؤرخين أن جورو نانك اعتزم على زيارة مكة المكرمة بعد أن تحدث إلى عدد من الكهنة الهنادك، فأحرم مثل الحجاج المسلمين، و رفع عصاه، و أخذ معه سبحة و سجادة و جرة ، و أذن أذان المسلمين.

الواقع أن جورو نانك أعطى العقيدة طابعا كونيا، و دعا البشرية لنبذ الخلافات و المناوشات الركيكة، و حث على التخلص من حصار الطقوس. انه أرشد إلى القيم الانسانية و حب البشر و العقيدة الصادقة و علم التصوف و المعرفة الروحانية، و المجموعة المأثورة جاب جى (JAP JI) من أوراده و أدعيته، عبارة عن عرض بليغ و محكم رغم كونها صغيرة الحجم، و انها تتحلى بملاحظات أنيقة تنور الروح و الدماغ.

هناك ثلاث نقاط هامة تبرز أوجه التوافق الكامل بين الديانة السيخية و التعليمات الاسلامية، تنعكس أولاها فى عقيدة التوحيد و بيان الذات و الصفات الالهية. ففى وصف الاله يقول جورو نانك انه الواحد، الباطن، الحق، القدوس، و هو الفاعل الحقيقى و الخالق و الحفيظ، لايخشى أحدا و لا يتغير. انه أزلى موجود بذاته، حى لا يموت، و بنفسه مصدر للنور و الوجود. و صفاء الروح هدف لا يمكن احقاقه بالغسل (SNAN) أو الصمت (MAUN) أو برفض الطعام (BARAT) أو الحكمة (DARSHAN) ، بل المفروض - للتوصل إلى المعرفة الالهية - أن يستسلم المرء لمرضياته ، الأمر الذى يعرف فى مصطلح الصوفية بالتسليم و الرضا. و جاب جى Jap ji أى كتاب الأوراد هو أفضل دليل روحى ذات رتبة فائقة، و الآداب الصوفية تثبت و تصدق معظم هذه الاعمال و الأوراد.

وثانيا فان الديانة السيخية تؤمن بالمساواة و العدالة الاجتماعية، و ليس هناك ما يمكن تعريفه بالتقسيمات الطبقية. و كالنتيجة لذلك فان هذه الديانة تقف ضد النظام البراهمي الذى وزع المجتمع الهندى بين طبقات، و تسبب بالتالى فى خلق طبقة كبيرة من المستضعفين و المحرومين

و المضطهدين فى شبه القارة الهندية. بدأت الديانة السيخية للاحتجاج ضد سيطرة البراهمة و قهرهم، ان طقوس السيخية كلها تدور حول وحدانيـة الله و فى بداية الأمـرلم تكن توجد فيها مطامح سياسية، و السيخ نبذوا التقييدات الدينية ابتدعت من قبل زعماء الديانات الهندية و رفضوا الخضوع لها.

و ثالثا فان الديانة السيخية أبعد ما تكون عن الوثنية، و لا مكانة فيها للطقوس الظاهرية.

لقد جاء فى JANAM SAKHIS :

"عند ما زار جورو نانك سريلانكا، سئلـه الملك السـريلانكـى (و كانت ديانته بوذية كما يبدو) مـرارا و تكـرارا أنـه برهمـي أو كاثري؟ أجاب عليه جورو نانك بأسلوبه الحكيم : لقد حل المرشد البار هذه العقدة العويصة بأن كل من يصب اهتمامه على ذات واحد، تكون روحه مصونة من الشرود فى متاهات الضـلال، و فى نهاية الأمر انه ينال ربه."(٤)

و السير جوكول تشاند نارنغ (SIR G. C. NARANG) تعرض لنفس الموضوع فذهب لحد أن قال :

" يمكن الاعتراف فى أول وهلة بان الديانة السيخية فى ظهورها مدينة للاسلام. و الحقيقة أنه لو لم يكن الاسلام قد تعدى حدود الهنـد، لما وجدت ثمة الديانة السيخية، على الأقل فى شكلها الحالى" (٥).

و الكتاب السيخي المقدس ـ جورو جرنت صاحب ـ هو الآخر مثال حي لما تتميز به الثقافة الهندية من التعددية و التزاوج . فانه يتضمن مأثورات المرشدين السبع بجانب أبيات ١٦ آخرين من الصوفية و الزهاد بمن فيهم الشيخ فريد و الأسقف كبير و سرى رافيداس (RAVIDAS) و نام ديف (NAMDEV) وغيرهم. و هناك ١٣٤٣ كلمة عربية و فارسية بأصوات مغايرة عن الكلمات الأصلية (السبب فى ذلك يعود إلى أن الخط الجورموكي (GURMUKHI) لا يتضمن جميع حروف الهجاء المستعملة باللغتين المذكورتين) و بالنظر فى عدد من الأمثلة يتبين مدى تزاوج اللغة التى استعملت فى "جورو جرنت صاحب" . و الأعداد المذكورة فى العمود الرابع من الخريطة أدناه تدل على أنه كم مرة وردت الكلمة فى الكتاب المقدس. إلاّ اننا اخترنا فقط الكلمات التى تسلط الأضواء على مدى التفاهم اللغوى ـ الثقافى.

الكلمة العربية/الفارسية بالطريق الذى ورد في الكتاب السيخي المقدس	التلفظ الأصلى للكلمة باللغة العربية أو الفارسية	معنى الكلمة	كم مرة أتت الكلمة فى جرنت المقدس	رقم الصفحة
ADAM	آدم	أب البشرية	١	١١٦١
ABDAL	أبدال	الدرويش بمكانة روحية عالية	١	١٣٨٠
ALLAH	الله	الاله	٢٢	٥٣، ٤٤٢، ٧٢٤، ١١٣٨، ١٢٨٣ الخ
AUL AULIYE	أولياء	الأساقف	٣	٤١١، ٥١٨، ١١٠٠
BABA ADAM	بابا آدم	أب البشرية	١	١١٦١
BAKRID	بقرعيد	العيد الاسلامى الذى يحتفل فى العاشر من شهر ذى الحجة	١	١٣٩٣
BHIST BHISTE BISTO	بهشت	الجنة	١٠	٢٤، ١٤١، ٩٥٢، ١١٦٤ الخ
BENAWAJA	بينماز	تارك الصلوة	١	١٣١٨
PURSALAT	پل صراط	صراط فوق الجحيم	٢	٧٩٣، ١٣٧٧
PAIKA BAR PAIKAMBAR PAIMBAR PAI KAMAR	پيغمبر	الرسول	٦	٥٣، ٣٦٤، ٨٩٧، وغيرها
TASBI	تسبيح/سبحة	التسبيح	٣	١٤٠، ٩٥١، ١٠٨٤
HAJI	حاجى	الحاج إلى مكة	٢	١٠٣٦، ١٠٦٤

HAJIR NAJIR	حاضر ناظر	موجود فى كل مكان	١	١٠٠٠
HAJ	حج	الحج إلى مكة	٧	١٣٥٠، ٨٨٥، الخ
HADISA	حديث	أقوال النبي (ع) و أعماله	١	١٠٨٤
HAK	حق	الحق	٥	١٤٠، ٩٥٦، الخ
KHALAK	خالق	الخالق	١١	٤٨، ٨٩٧، ١٣٥٠، الخ
KHUDAI	خدا	الله	٢٣	١٤٠، ٨٩٧، ١٢٨٦ الخ
DARWES DARWESAN DARWESAWI	درويش	الزاهد	١٠	٥٣، ٧٢٣، ١٣٨٤
DOJ, DOJAK	دوزخ	الجحيم	١٥	٧٢٤، ٩٧٠، ١٣٨١ الخ
RAHMAN	رحمن	الرحمن	٢	٩٠٣، ١١٦١
RAHIM	رحيم	الرحيم	٣	٦٤، ٨٨٥، ٨٩٦
RASULEY	رسول	الرسول	١	٣٢٠
RAMJANA RAMDANA	رمضان	شهر الصيام	٢	١٣٣٦، ١٣٤٩
ROJA	روزه	الصوم	٥	١٤٠، ٤٨٠، ١٠٨٤ الخ
JAGATEY JAGATI JAGATIYA	زكاة	الزكوة (ضريبة الثروة المفروضة على المسلمين)	٩	٤٣٠، ٨٣٣، ١١١٦، الخ
SALIK	سالك	المتدرب الروحي	٣	٥٣، ٣٥٨، ١٤١٠
SOHAN SUBHAN	سبحان	المنزه	٤	٤، ٢١، ١٤١، ١٥٠

SAJDA	سجده	السجدة	١	٨٤
SALAM	سلام	التحيات	١٢	١٤٣، ٤٧٤، ١١٩١الخ
SAMAI	سماع	الأغانى الصوفية	٢	٧٢١، ١٤١٠
SARA	شرع	الشريعة الاسلامية	١	٣
SARIAT	شريعت	القانون الاسلامي	٣	٨٤، ٤٦٥، ١٠٨٣
SEKH	شيخ	المرشد	٢١	٣، ١٤٥، ٩٥٤ الخ
SABRI	صابرى	الذى ينتمى إلى الطريقة الشيشتية الصابرية	١	١٣٨٤
SADKA SADKE	صدقه	الخيرات و الصدقات	٦	٨١، ١١٧، ١٤٠٣ الخ
SOPHIA	صوفيه	جمع الصوفى	١	١٥
TARIKAT	طريقت	طريق المعرفة	٢	٣٤٠، ١٠٨٣
ARSHU	عرش	العرش	١	٩٦٧
AJRAIL	عزرائيل	ملك الموت	٥	٣١٥، ٧٢٣، ١٣٨١الخ
ID	عيد	عيد المسلمين عند انتهاء شهر الصيام	١	١٢٩٣
GARIBNAWA	غريبنواز	المتصدق على الفقراء	٦	٢٧٧، ٥٢١، ١١٣٨ الخ
PHARISTA	فرشته	الملك	٣	٣١٥، ٩٥٢، ١٣٨١
PHARID	فريد	الشيخ فريد	١٠	٤٨٨، ١٣٧٧، ١٣٨٣ الخ
PHAKRU	فقر	الفقر، الزهد	٢	٧٢٧، ٢٤٥

PHAKIR PHAKIRAN	فقير	الزاهد	٨	٢٢٧، ١٢٨٧، ١٣٨٣ الخ
KADIR	قادر	القدير	٦	٦٤، ٤٧٥، ٩٦٦ الخ
KADURI	قدورى	كتاب فى الفقه الاسلامى	١	١١٥٨
KALANDAR	قلندر	درويش حرّ	٢	٧٦٥، ١١٦٧
KARIM	كريم	الكريم	٩	٦٤، ٧٢٧، ١٣٦٦ الخ
KALMA	كلمة	كلمة الشهادة	٤	١٤٠، ١٤١، ٤٨٠ الخ
KADURI	كندورى	أطعمة نذر عامة	١	١١٥٨
MARIDA	مريد	المريد/ التلميذ	١	٤٨٨
MAHJID MASEET	مسجد	المسجد	٦	١١٥٨، ١٣٥٠ الخ
MUSLIM MUSALMAN MUSALMANI	مسلم، مسلمان، مسلمانى	المسلم	١٣	١٤١، ٧٢١، ٨٧٥ الخ
MASA'IK	مشائخ	جمع الشيخ	٨	٥٣، ٥١٨، ١٣٨٠ الخ
MUSALLA	مصلى	سجادة الصلاة	٥	٤٨، ١١٩١، ١٣٨٠ الخ
MARPHARAT	معرفة	المعرفة	١	١٠٨٣
MAKKA	مكة	مكة المكرمة	٢	١٠٨٣، ١١٥٨
MALKULMAUT	ملك الموت	ملك الموت	١	١٣٨٣
MUSA	موسى	اسم النبى	١	١٣١٢
MOLANA	مولانا	لقب العلماء	٢	١٠٨٣، ١١٦٧

NAWAJ	نماز	الصلواة	١٢	٢٤، ١٤٠، ١٣٥٠.الخ
NIYAMAT	نعمة	النعمة	١	٧٢٣
UJU	وضو	الوضوء	٢	١٣٥٠، ١٣٨١
WODIJOHA	وظيفة	الكلمات المقدسة التي تكرر باستمرار	٦	٥٩، ٢١٠، ٩٣٦ الخ

لما أن ثقافة منطقة مأهولة بتجمع بشري تنبعث من الفكرة و المثالية في الكون و تنعكس في لغتها و آدابها، فاننا نجد أقوال جورو نانك تعطينا فكرة جلية عن الروحانية التى تتوافق مع تعاليم و ممارسات الصوفية المسلمين توافقا كبيرا و هكذا فان مجموعة الأدعية و الأوراد باللغة البنجابية (JAP JI) و الكتاب المقدس (GARANTH) هي خير أمثلة للتفاهم بين الديانات، و التفاعل بين الثقافات المتقاطعة، و بذا فانها تخلق فكرة كونية للتسامح الدينى. و لا يُنكر اذا قلنا ان الصوفى العظيم و المبروك و الذى ندعوه بـ جورو نانك، قد وضع أساسا لعقيدة دينية موسعة خالية من شوائب العصبية.

المراجع:

١ ـ ميكنكون، الحركات الدينية العصرية فى الهند *(Modern Religious Movements)* ١٩٢٤، الصفحة: ٣٣٦.

٢ ـ VAR BHAI GURDAS - *PEHLI - PAURI* الصفحة: ٣٢

٣ ـ ليبيل أيش . جَرِيفين ، "رنجيت سينغ" *Ranjit Singh* حيدرآباد ، ١٩٢٤، الصفحة: ١٥ (الطبعة الأولى: مطبعة كلاريندون ـ أكسفورد ١٩٠٥).

٤ ـ BHAI VIR SINGH (ed) *PURATAN JANAM SAKHI* , KHALSA SAMACHAR, AMRITSAR مايو ١٩٥٢م، الصفحة: ٨٧

٥ ـ جوكول تشاند نارنغ ، *TRANSFORMATION OF SIKHISM* مجمع الكتب الهندي الجديد، دلهى. (الطبعة الخامسة) ١٩٦٠م ، الصفحة : ٢٤٩، (طبع للمرة الأولى عام ١٩١٢م).

مساهمة أوده
فى خدمة اللغة العربية و آدابها
(١٧٢١ ـ ١٨٥٦)
دراسة نقدية

بقلم: د/مسعود أنور العلوى الكاكوروى
الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية و آدابها
جامعة عليكره الإسلامية ، الهند

النثر الأدبى :

ذكرنا فى فصل الشعر العوامل التى مثلت دورها فى عرقلة الإجادة الفنية فى كتابات علماء الهند باللغة العربية، و رغم أن علماء الهند قد احتلوا مكانة التكرم فى عيون الجماهير العربية و أوساطها العلمية، و لكن الشعراء فى الهند الذين نظموا القصائد باللغة العربية، و الإنتاجات الأدبية التى ولدتها القرائح الأدبية الهندية لم تحظ بالقبول و الترحيب ما حظيت به أو تحظى به إنتاجات القرائح العربية الأدبية و الشعرية ، و يتوفر لدينا الآن قدر هائل من انتاجات العبقريات الأدبية و الفنية فى أوده ، و نستطيع أن نقارنها بانتاجات و أعمال الشعراء و الأدباء من مختلف مناطق الهند فى جودة الأسلوب، و دقة التعبير، و صفاء البيان، و حلاوة اللغة، و حسن الإيقاع. و كل ذلك يسترعى انتباهنا على الرغم من الحقيقة أن اللغة العربية لم تكن لغة الحكومة و البلاط الحكومى فى الهند و نجد من بين علماء أوده من يمزجون ـ ببراعة نادرة ـ بين التسجيع و التنميق و التراكيب العجمية و بين صفاء البيان ، و حسن الإيقاع ، و منهم المفتى محمّد عبّاس التسترى الذى ذكرناه فى الصفحات الماضية.

إن النماذج الأدبية و الفنية التى جعلها العلماء و الأدباء فى أوده نصب أعينهم هى الانتاجات التى لا تخلو من التحبير و التنميق و الاصطناع فى تاريخ آداب اللغة العربية، أشباه المقامات للحريرى و الهمدانى، على أن

بعضهم كانوا يركزون حول الشعر الجاهلي، و خاصة المعلقات السبع، و حماسة أبي تمام، فعامتهم حذوا حذو الحريري و الهمداني ، فألفوا المقامات، كالشيخ حسن علي ابن الحاج شاه (١٢٧٥هـ / ١٨٥٩م) (١) ، و نلمس كثرة التجنيس و الاشتقاق في كتابات العلامة فضل حق الخيرآبادي (١٢٧٨ هـ / ١٨٦١م) ، إضافة "*سبحة المرجان في آثار هندوستان*" لغلام علي آزاد البلكرامي (١٢٠٠هـ / ١٧٨٥ـ٦م) و "*مختصر المستطرف*" للسيد محمد ابن عبدالجليل البلكرامي (١١٨٥هـ / ١٧٧١م) و "*بهجة المجالس*" و "*الدر النظم*" و "*النجم الثاقب لمن يكاتب*" للشيخ عطا ابن كريم الفاروقي السلونوي (٢) و "*نكهة الهند و العنبر*" للشيخ رضا حسن خان الكاكوروي (١٢٦٨هـ / ١٨٥٠م) علاوة كتبه "*كيف الصهباء في دستور الإنشاء*" و "*بستان الأدب في لطائف العرب*" و "*جولان القلم في شرح لامية العجم*". و نجد من خدمات العلماء و الأدباء من أودهـ بصورة الشروح لانتاجات العباقرة العرب، و معظمها مذكور في كتب السير و التراجم، و فيما يلي بعض هذه الشروح:

١- شرح *مقامات الحريري* ، للشيخ أوحدالدين البلجرامي (١٢٦٢هـ / ١٨٤٥م) (٣)
٢- شرح *ديوان المتنبي* للشيخ نفسه
٣- شرح *قصيدة بانت سعاد* للشيخ نفسه
٤- شرح *قصيدة البردة للبوصيري*، للقاضي ارتضى علي خان خوشنود الجوباموي (٤) (١٢٥١هـ / ١٨٣٥م)
٥- شرح *المطول* ، للقاضي بشيرالدين العثماني القنوجي (١٢٩٦هـ / ١٨٧٩م) (٥)
٦- *إزالة العضل عن أشعار المطول*، للشيخ تراب علي ابن شجاعت علي اللكنوي (١٢٨١هـ / ١٨٦٤م)
٧- *شفاءالعليل في إصلاح كلام المتنبي* لآزاد البلكرامي (١٢٠٠هـ / ١٧٨٥ـ٦م) و يوجد خطيا في متحف سالارجنك
٨- *غزلان الهند* ، للشيخ نفسه
٩- *الكشكول* ، للشيخ نفسه
١٠- *نفحة الهند* و *ريحانة الزند*، جزآن ، للشيخ رضاحسن خان الكاكوروي (١٢٦٦هـ / ١٨٥٠م) و يوجد في مكتبة ندوة العلماء لكناؤ، و رقمه: ٣٠-١٥٢٩
١١ـ شرح *المعلقات السبع*، للشيخ عبدالرحيم ابن عبدالكريم الصفي بوري (١٢٦٧هـ / ١٨٤٩م) و يوجد مطبوعا.
١٢- *ميزان الأفكار في شرح معيار الأشعار*، للمفتي سعدالله المرادآبادي (١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م)

١٣- *الظل الممدود* ، للمفتى محمّد عباس التسترى.

و فيما يلى نسلط ضوءاً على حياة الشيخ أوحدالدين البلكرامى (١٢٦٢هـ / ١٨٤٥م) و الشيخ عبدالرحيم ابن عبدالكريم الصفى بورى (١٢٦٧هـ / ١٨٤٩م) و أعمالهما العلمية و الأدبية.

أ - الشيخ أوحدالدين البلكرامى:

ولد الشيخ أوحدالدين البلكرامى ابن القاضى على أحمد عام ١١٩٣هـ / ١٧٧٩م فى بلكرام ، و قرأ على والده ، و ذهب إلى كلكتا عام ١٢٠٦هـ مع عمه الشيخ محمّد أسلم الصديقى ، و توجه إلى آداب اللغة العربية بعد اللغة الفارسية، و رحل إلى مدن عديدة، كما رحل إلى الشيخ أحمد اليمنى الشروانى فى بلاد العرب. و قد تأثر به الشيخ الشروانى، و زوّجه مع ابنته ، و قد ماتت أثناء عودته إلى الهند. و لما وصل إلى بلكرام تزوج مع ابنة عمه، فولدت ثلاثة بنين، و هم نورالحق و بهاءالحق و حسام الدين، و أكب على التدريس، و قد استفاد منه الناس كثيرا ، و ممن استفادوا منه: القاضى بشيرالدين القنوجى، و الشيخ جميل أحمد البلكرامى ، و الشيخ محمّد بشير السهسوانى.

و لما رجع الشيخ أوحدالدين من بلاد العرب، كان معه مطبع فأقام مطبعا فى بلدة لكناؤ بالتنسيق مع سمسر من المدينة كان يسمى محبوب على، و جعله مدير المطبع براتب مأة و خمسين روبية شهريا، و ألقى عصاه فيها، مكبا على أعمال المطبع إضافة الأنشطة العلمية و التربوية، و انتقل إلى جوار ربّه فى ٤/ من رمضان ١٢٦٢هـ / ١٨٤٥م. (٦)

يكتب الشيخ أحمد يمنى شروانى عن مكانة الشيخ أوحدالدين :

" *القول فيه أنه أوحد زمانه و أرشد أقرانه، يلمع نور الصلاح بين جبينه و أطرافه، و تقطف أزهار الظرائف البيانية و الملح البديعية من خمائل إنشائه و ألفاته، فوحق البلاغة أنه لأفضل من أبى الفتح و ابن المراغه أطال الله عمره و صان عن الكسوف و الخسوف شمس فضله و بدره.*"

و يقول الشيخ صديق حسن خان فى *أبجدالعلوم* :

" *رايت له نثرا فصيحا ، و نظما بليغا، و تقاريظ كثيرة على كتب عديدة* " (٧)

و من مؤلفاته :

١- *نفائس اللغات*: تم تاليفه فى عام ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م ، و طبع فى عام

١٢٥٧هـ منقحا من المطبعة المصطفائية بلكناؤ ، و ظهرت له طبعة ثانية من كانبور فى عام ١٢٦٩هـ ، يسرد المؤلف فيه كلمات أردوية و فارسية و يرادفها بالألفاظ العربية، و هذا يزيده إفادة.

٢- *خميلة الآداب فيما يفيد من الكتاب* : يوجد مخطوط لهذا الكتاب فى مكتبة ديوبند العامة تحت رقم ٢١ ، الأدب العربى ، و يشتمل على ست و خمسين ورقة ، كل صفحة تحوى ثلاثة عشر سطرا، بخط واضح نظيف، و لغة سهلة عذبة، مع أغلاط فى الكتابة.

يقول المؤلف فى بداية الكتاب:

" الحمدلله الذى أنشأ الإنسان ، و أملأ أصداف صدوره بدرر البيان، ففتح فاه لشكر ما أولاه من آلائه ، و أنطق لسانه بإظهار ما أنعم عليه من نعمائه ، و الصلاة و السلام على سيد البشر، المبعوث إلى الأسود و الأحمر، المرغم بإعجاز إيجاز التنزيل أنوف المعارضين، القاطع بأسنة بلاغته ، و على آله الكرام، حماة معالم الإسلام، و أصحابه الأخيار من المهاجرين و الأنصار، ما مجّ الأقلام مسك المداد، على كافور البياض ، و مست أبصار الأفكار من المعانى فى قميص فضفاض، و ماتبسمت ثغور الأقامى ببكاء الأمطار، و ترششت دموع الندىٰ على وجنات الأزهار."

و قسّم المؤلف تاليفه فى سبع "دوحات" الدوحة الأولىٰ فيما يفيد الكتاب، من الفوائد التى يطول بها باع الأديب، الدوحة الثانية فيما وردت سلافته بينى و بين الأحباب من رقائم حرية بأن يرقم على وجنات الحور بالذهب المذاب، الدوحة الثالثة فى رقاع فاقت الأزاهير، بما حاكه قلم الحقير، الدوحة الرابعة فى مناشير السلاطين ، و مكاتيب الوزراء التى نسجتها أناملى و أنامل الأدباء. الدوحة الخامسة فى نثر اقتطفته من رياض النبلاء المخجلين بنظمهم و نثرهم نجوم السماء ، الدوحة السادسة فى أشعار يوشح بها نحور الرقائم و يعلق فى أعناق الرفاع كالتمائم ، الدوحة السابعة فى الأمثال التى يحتاج إليها الأديب فى كلامه لتقرير ما يقرع الأسماع من نثاره و نظامه ، و الفوائد التى لو فازت بها الحور لجعلتها قلائد النحور." (٨)

و قد أهدىٰ هذا الكتاب إلىٰ المفتى خليل الدين خان العلوى ، سفير ملك أودهـ (١٢٨١هـ / ٥-١٨٦٤) ابن القاضى نجم الدين علي خان ثاقب الكاكورى ١٢٢٩هـ / ١٨١٤م).

٣- *تذكرة شاعرات العرب*: المؤلف يسمى الكتاب بـ"*سلوة الأحزان فى أشعار النسوان*" و يوجد مخطوط له فى مكتبة مولانا أزاد العامة، قسم حبيب كنج ٢٢/٧ ، فيه تسعون ورقة، كل ورقة ثلاثة عشر سطرا، بخط واضح نزيه، يذكر فيه المؤلف أربعين من الشاعرات فى العصرين

الأمـوى و العبـاسى، و يدرج نماذج مما قلنه من الشعر، و سلك الترتيب الهجائى فى سرد الأسماء.

و من الشواعر اللاتى ذكرهن المؤلف:

١- أم العلاء ابنة يوسف المجلسى الحجازية

٢- أمة العزيز ابنة الحسن بن موسىٰ ابن عبدالله

٣- أم الكرام ابنة المعتصم بن أبى يحيىٰ التميمى

٤- بوران ابنة الحسن بن سهل

٥- بدرالتمام ابنة الحسين بن محمّد

٦- بثينة جميل العذرية أم عبدالملك

٧- تقية أم علي الجمحى

٨- ثمامة ابنة عبدالله ابن مسوار القاضى

٩- ثواب ابنة عبدالله الحنظلة الهمدانى

١٠- الحجبة ابنة نصيب مولى المهدى

١١- حفصة ابنة الحجاج الركونى

١٢- حفصة ابنة حمدون ابن وادى الحجارة

١٣- حمدة ابنة زياد المودب

١٤- خديجة ابنة عبدالله المأمون

١٥- خديجة ابنة أحمد ابن كلثوم

١٦- الخنساء ابنة عمر ابن الحارث الشريد

١٧- عزة ابنة جميل.

٤- *مفتاح اللسان*: يوجد مخطوط له فى مكتبة مولانا أزاد العامة، قسم سبحان الله ٧٢ ، ١٠/٨٩٢ ، فيه سبعة و ستون ورقا، كل صفحة أربعة عشر سطرا، بخط واضح و تمت كتابته فى ٢ من محرم الحرام ١٢٧٨هـ.

المؤلف يذكر فيه بالإيجاز ما ينبغى إجابته ، و يذكر المفاهيم من الكلمـات، إضافة الحـوار بين الأستاذ و التلميـذ، و بين الأصدقاء و النسـاء و الطبيب و المريض و المشترى و البائع و العرب و غير العرب.

٥- *العسجد المسبوك فى حكاية سيف الملوك*: رأى الباحث نسختين لهذا الكتاب، إحداهما فى مكتبة خدا بخش ، بتنا (بيهار) تحت رقم ٣٨٧١ (العربية) بخط شبه واضح و القطع المتوسط، مشتملا على أربعين ورقـا. و الثانية فى مكتبة مولانا آزاد العامة قسم سبحان الله ٧٢٧، ١/٨٩٢ ، بخط واضح ، و لكن الأولى تحوى أوراقا أكثر من الثانية.

هذا، و نجد للمؤلف ترجمة فارسية لألف ليلة و ليلة ، و يوجد مخطوط

لها ـ فيما يعلم هذا الباحث ـ فى مكتبة عليكره ، قسم رحمة الله شيروانى، و فيه :ترجمة لمأة ليلة من الكتاب.

٢- الشيخ عبدالرحيم ابن عبدالكريم الصفى بوري:

لم يظفر الباحث بتفاصيل تتصل بحياة الشيخ الصفى بورى، و نجد مؤرخى العلوم و الآداب فى الهند يذكرون فضله و بعض كتبه دون أن يسردوا التفاصيل (٩) و قد ذكر صاحب "*النزهة*" أنه مات عام ١٢٦٧هـ / ١٨٤٩م فى كلكتا، و دفن فيها. (١٠) و ممّا يتعجب له الباحث أن كتبا أمثال " *المناظرة* " و "*براهين سكون الشمس*" و "*الأنوار المشرقية على الأسرار المنطقية*" و "*التعليقات على الأنوار المشرقية*" نسبت إلى شيخنا ، مع أنها للشيخ عبدالرحيم بن مصاحب علي الجوركبورى (١١)

و المؤلفات التى ذكرها صاحب "*تذكرة علماء هند*" و كذلك صاحب "*نزهة الخواطر*" معظمها مطبوعة و منها:

ا- شرح المعلقات السبع:

طبع هذا الشرح للمعلقات فى المطبع النادرى ، بريلى فى عام ١٨٨٦م و هاك نموذج من شرحه:

وقوفاً بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى و تجمل

[الوقوف جمع واقف و الصحب جمع صاحب، و المطى المراكب، واحدها مطية، و الأسى الحزن، و نصب وقوفا على الحال من قوله نبك، و نصب أسى على أنه مفعول له لقوله لا تهلك يقول: قفانبك فى حال وقف أصحابى مراكبهم على رأسى يقولون : لاتهلك من الحزن ، و تجمل بالصبر.]

٢- منتهى الأرب فى لغات العرب:

هذا الكتاب فى أربعة مجلدات كبار، انتقاها المؤلف من "*القاموس*" و "*الصحاح*" و "*شمس العلوم*" و " *مجمع البحار*" و "*ديوان الأدب*" و "*تاج المصادر*" و "*حياة الحيوان*" و "*المهذب*" و غيرها من كتب القاموس، و قد أكمله المؤلف فى كلكتا فى ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م ، و طبع مرارا.

٣- حل الشواهد و الأشعار و الأمثال و الأحاديث:

طبع هذا الكتاب من كلكتا فى ١٢٣٦هـ / ١-١٨٢٠م و فيه تسعة عشر و مأة صفحة ، كل صفحة اثنتى عشر سطرا ، و يوجد مخطوطان له فى عليكره ، و كتب الأول فى ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م ، و الثانى فى ١٨٦٠م. و كُتب الأول فى ١٨٦٠م و الثانى فى ١٣١٤هـ/١٨٩٦م .

٤- ضرورة الأديب في مباحث التذكير و التأنيث:

طبع هذا الكتاب في كلكتا في ١٢٣٦هـ / ١٨٣١م.
يقول المؤلف في آخر الكتاب:
" *يقول العبد الفقير إلى مغفرة مولاه الغني عبدالرحيم بن عبدالكريم الصفي بوري هذا آخر ما أردنا جمعه في هذا المختصر تذكرة للطالبين، و الله حسبي ، و خير معين، و صلى الله على سيد المرسلين و آله و صحبه أجمعين*."

٥- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك:

ألفية ابن مالك: كتاب منظوم في علم النحو، و قد ألف صاحبنا شرحا له، و طبع في عام ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م ، و فيه ستة و ثمانون و أربعمائة من الصفحات، كل صفحة ستة عشر سطرا ، و المؤلف يشرح فيه تفاصيل مطنبة متصلة بمسائل النحو، و الكتاب خير دليل لسعة اطلاع المؤلف على دقائق النحو، و براعته في التنقيب و التحليل، بأسلوب يتميز بالوضوح و السلاسة، و هذا الكتاب - كما يراه الباحث - ينبغي أن نعده من أروع ما انتجته القرائح الهندية في علم النحو.

النحو و التصريف:

يعد النحو و التصريف من "العلوم الآلية" بصدد تعليم اللغة العربية، وعليهما يقوم صرح اللغة ، و بناءها العلوي ، و ذلك لأن المرء لا يمكنه أن يطلع على أسرار اللغة ، و فلسفة التغير و التركيب، و لايمكنه أن يصون نفسه من الخطأ في الكلام إلاّ إذا ملك ناصية النحو و التصريف.

كان النحو و التصريف وحدة و أول من جزّءها هو أبوعثمان المازني ، و قد بقيا وحدة إلى يومنا من حيث الغاية، إذ غايتهما الصيانة من الخطأ في صيغ الكلمات و التراكيب، و أول كتاب يعرفه التاريخ في هذا الفن هو ما كان ألفه " معاذ " و الشهير من الكتب الآن " *التعريف في التصريف* " لابن مالك، و "*الشافية*" لابن حاجب، و "*التصريف*" لابن جني، و "*الممتنع*" لابن عصفور، و "*المختصر الريحاني*" لعزالدين عبدالوهاب، و "*مراح الأرواح*" لأحمد بن علي مسعود ، و "*المختصر*" للميداني.

مما ألفه علماء أودهـ في هذا العلم (١٣):

١- "*التعريف بضروريات علم التصريف*"، للسيد مرتضى زبيدي ١٢٠٥هـ / ١٧٩١م.

٢- *"الصافية شرح الشافية"*، للشيخ محمّد عليم بن موسى الإله آبادى (١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م)
٣- *"شفاء الشافية شرح الشافية"*، للشيخ عبدالباسط بن رستم علي القنوجي (١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م)
٤- *"هداية الصرف"*، للشيخ عبدالعلى الفرنجى محلى بحرالعلوم (١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م)
٥- *"قسطاس الصرف"*، للشيخ محمّد أشرف بن نعمت اللّه اللكنوى (١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م)
٦- *"الفصول الرضوية"* ، للشيخ علي جعفر بن علي رضا الإله آبادى (١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م)
٧- *"شرح الشافية"*، للسيّد ظهور الله اللكنوى (١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م)
٨- *"تمرين المعلم"*، للشيخ حسين بن علي بن عبدالباسط القنوجي (١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م)

أما علم النحو فمن أشهر علماءه: عنبسة الفيل، و يحيى بن يعمر العدوانى، و عطاء ابن أسود، و أبوالحارث، و عيسى بن عمر الثقفى، و أبوعمرو بن العلاء ، و خليل بن أحمد الفراهيدى، و أبوعمر عثمان سيبويه ، و أبو علي الفارسى، و أبوالقاسم الزجاج و غيرهم كثير. و نجد علماء الهند أنهم ألفوا شروحالكافية ابن الحاجب، كما نجد *"لب الألباب"* للقاضى ناصرالدين البيضاوى من المقررات الدراسية فى المدارس الهندية، و ممن شرحوا كافية ابن الحاجب: القاضى شهاب الدين الدولت آبادى، و حشّاها غياث الدين منصور الشيرازى، و عبدالملك الجونبورى، و علاءالدين الجونبورى، و ملاً إله داد الجونبورى.

و مما ألفه علماء أودهـ فى فن النحو:

١- *"نادرالبيان"* ، للسيد أحمد بن مسعود الهرجامى (١١٧٥هـ/ ١٧٦٢م)
٢- *"باهر البرهان شرح نادر البيان"*، للمؤلف نفسه.
٣- *"عين الهدى شرح قطر الندى"* ، للشيخ عليم الدين بن فصيح الدين القنوجى (١٢١١هـ/ ٧٠-١٧٩٦م)
٤- *"وسيط النحو"*، للشيخ تراب علي بن نصراللّه الخيرآبادى (١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م)
٥- *"توضيح المرام فى تحقيق الجملة و الكلام"* ، للشيخ إلهى بخش الفيض آبادى.
٦- *"الرسالة فى النحو"*، للعلامة فضل إمام الخيرآبادى (١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م).

٧- "إرشاد اللبيب"، المشيخ علي محمّد بن السيد محمّد الشيعي.
٨- "تبصرة الطالبين"، للقاضي ارتضى علي خان (١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م)
٩- "العباب في النحو"، للسيدمحمّدتقي بن حسين بن دلدار علي اللكنوي.
١٠- "اختلاف البصريين و الكوفيين"، للسيد حسين بخش الكاكوروي (١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م)
١١- "ضروريات الأدباء"، للمؤلف نفسه.

١- السيّد أحمد بن مسعود الهرجامي:

ولد في هرجام و ترعرع فيها، و قرأ على عمه الشيخ معزالدين بن محمّد شفيع ثم اشتغل بالتدريس، و خلف آثارا علمية كثيرة، منها "*الوجيز في الفرائض*" و "*حسابا يسيرا*" و "*نادر البيان*" و مات في أحد عشر بقين من شوال عام ١١٧٥هـ/ ١٧٧٥م (١٤)

و "*نادرالبيان*" كتاب في النحو، و قد شرحه المؤلف نفسه باسم "*باهرالبرهان*" في سنة ١١٥٠هـ / ١٧٣٧م، و يوجد مخطوط له في مكتبة مولانا آزاد العامة، قسم سبحان اللّه ٧٢٢ - ١٥/٨٩٢، بخط واضح، و المخطوط يحتوي على ١٣٢ ورقة، كل صفحة سبعة عشر سطرا، و النسخة - على أنها متآكلة - يمكن أن يقرءها أحد، و تم كتابته عام ١٢٣٦هـ/١- ١٨٢٠م و بدايتها كالتالي:

"*أحمد اللّه الذي جعل الكلمة لفظا وضع لمعنى الإيمان، لئلا يسند بها فعلنا إلى إسم الكفر و حرف العصيان*"

و نقرأ في نهايتها: " و قد فرغ العبد الضعيف الهديه (اللّه ديا) من تاليف نادرالبيان باهر البرهان في ليلة القدر من رمضان في سنة ألف و مائة و خمسين من هجرة سيدالمرسلين صلوات اللّه و سلامه عليه و عليهم أجمعين"

و ينبغي أن يلاحظ أن " الهديه " في هذه العبارة إسم اشتهر به المؤلف و معناه بالأردية هبة اللّه.

٢- الشيخ عليم الدين بن فصيح الدين القنوجي:

كان من أعلام عصره و اتقياءه المشهوريين، ولد في قنوج و نشأ فيها، و قرأ على الشيخ عبدالباسط ابن رستم علي القنوجي (١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م)، و بعد تحصيل العلوم أكب على التدريس و التأليف. و لم نر عام وفاته في مؤلفات السير، و لكنه كان قد ألف "*عين الهدى شرح قطر الندى*" في ١٢١١هـ / ٧-١٧٩٦م، و من مؤلفاته "*دُرر الفضائل في شرح الشمائل*" و رسائل في المنطق (١٥)

و " *عين الهدى شرح قطر الندى*" من أشهر مؤلفاته ، و "*قطر الندى*" كتاب شهير فى النحو ألفه العلامة أبوعبيدالله جمال الدين محمد بن يوسف بن هشام الأنصارى (٧٦١هـ / ١٣٥٠م) ، و يوجد مخطوط لـه فـى مكتبة ندوة العلماء تحت رقم ١٦٧٧. و ألف الشيخ القنوجى شرحا له ، و يوجد مخطوطا فى مكتبة ندوة العلماء تحت رقم ١٦٨٨ ، و فيه سبعة و خمسون ورقا، كل صفحة ستة عشر سطرا ، بخط واضح ، و تتخلله حواشي، و لم نعثر على نسخة أخرى له حتى الآن.

٣- الشيخ تراب علي الخيرآبادي:

هو من مواليـد عام ١١٩١هـ / ١٧٨٥م فى خيرآباد ، و قرأ على الشيخ أحمـد علي، و الشيخ غلام إمـام الرضـوى ، و السيد عبدالواجد الخيرآبـادى (١٢١١هـ / ١٨٩٦م) و فاق أقرانه فى العلوم و الآداب، ذهب إلى كلكتا ، ففوضت إليه السفارة فى إيران، و سافر إلى العراق مع الإنجليز ، ثم رجع إلى مدراس ، و اشتغل بالتدريس ثم رحل إلى الحرمين فى عام ١٢٤١هـ / ١٨٢٥م ، و مرض أثناء عودته ، و مات فى ميسور فى ١٧/ ربيع الأول ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م.

يكتب عنه صاحب نزهة الخواطر:

" *كان صاحب قوة و رزانة و صلابة فى الدين ، طويل القامة ، حسن الهيئة ، له مصنفات منها "وسيط النحو" و "الدر المنظوم" فى المنطق ، و أعطاه أمير مدراس سبعة آلاف روبية صلة لذلك الكتاب*" (١٦)

و "*وسيط النحو*" كتاب فى النحو، قد طبع فى كلكتا قبل زمن طويـل، و فيه ٢٨٨ صفحة ، كل صفحة خمسة عشر سطرا، و يشتمل على مقدمة و ثلاث مقالات و خاتمة ، المقدمة تبحث فى علم النحو و تعرفه و تذكر غايته ، و كل من المقالات تشتمل على تبصرة و مقصدين، يذكر فيها تفاصيل النحو و قضاياه المختلفة ، فى نهاية المطاف نحو رسالة مشتملة على ثمانى و سبعين صفحة يدرج فيها المؤلف الكلمات العويصة ، و يشرحها باللغة الفارسية.

العلوم العقلية ، أو المنطق و الفلسفة:

إسهامات علماء الهند فى المعارف الإسلامية كثرت كثرة كاثرة فى الفقه ، ثم فى المعارف العقلية ، أو المنطق و الفلسفة ، و العلماء يدرجون فى المعارف العقلية: الالهيات و الطبيعيات، و علم الكلام ، و المنطق ، و الرياضة ، و الحكمة العملية ، و الطب (١٧). و الرياضة تشمل الهندسة و جر الثقيـل ، و الحساب ، و الجبر و المقابلة ، و الرصد، و الاصطرلاب ، و الموسيقا ، و المساحة، و تاريخ كل

هذه العلوم قديم بآلاف السنين فى الاغريق ، و أول من اشتغل بالعلوم العقلية هو لقمان الحكيم ، و ورثة سقراط الأغريقى ثم أفلاطون ، ثم أرسطاطاليس، وهذا الآخر هو الذى أصفى عليها صبغة العلم، و هو المعروف بالمعلم الأول فى تاريخ المعارف العقلية.

و شاهد التاريخ انحطاطا فى العلوم العقلية في الإغريق ، حيث ظلت الكتب رهائن المكتبات، و لما بزغت شمس الحضارة الإسلامية أمر خالد بن يزيد الأموى (٨٥هـ / ٧٠٤م) بنقل بعض المؤلفات فى الكيميا إلى اللغة العربية ، ثم نقل بعض المسيحيين مؤلفات فى الفلسفة الطبيعية ، و شحن بطارية حركة النقل و الترجمة الرشيد (١٧٠هـ/٧٨٦ ـ ١٩٤/٨٠٩) و المامون (١٩٨/٨١٣ ـ ٢١٨هـ /٨٣٣م) ، و من أشهر النقلة حنين بن اسحاق و ثابت بن قرة (١٨) ثم أنجب التاريخ الإسلامى عباقـرة فى العلـوم العقليـة، منهم الفارابـى (٩٥٠ هـ) و ابن سينا (١٠٣٨م) و ابن رشد (١١٩٨م) و ابن صائغ الاندلسى، و الرازى، و الطوسـى، وقطب الدين الشيـرازي، و المحقق الدوانـى، و ميرزا جـان ، و الشريف الجرجانى، و مير زاهد الهروى و حسن شاه البقال، ثم قائمة طويلة.

الهند فى بداية الأمر لم تشجع نشر المعارف العقلية ، و كان السيد نورالدين مبارك الغزنوى يهاجمها فى خطبه فى بلاط الملك شمس الدين ايلتتمش (١٩) و بقى الأمر على هذه الحال فى عصور غياث الدين بلبن (١٢٦٦ ـ ١٢٨٨) و جلال الدين الخلجى (٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ ـ ٢٩٥ / ١٢٩٥م) ، و لكن محمّد بن تغلق (٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ ـ ٧٥٢ / ١٣٥١م) كان من المولعين بالفلسفة ، و كان فى بلاطه الشيخ عليم الديـن المعـروف بالفيلسوف ، و كان يدور بينـه و بين الملك الحوار العقلى، و يكتب ابن بطوطة:

"*فقد رأيت ملك الهند يتذاكر بين يديه بعد صلاة الصبح فى العلوم المعقولات خاصة*" (٢٠)

و فى أواخر القرن التاسع الهجرى عاد الشيخ ثناءالدين الملتانى بعد أن استفاد من السيد الشريف الجرجانى، و اشتهر من تلاميذه الشيخ سماءالدين الملتانى و الشيخ فتح اللّه الملتانى، و السيد ابراهيم ، و الشيخ عبداللّه التلبنى، و الشيخ عزيزاللّه الملتانى ، و يرجع إليهم الفضل فى نشر المعارف العقلية فى عصر السلطان سكندر اللودهى فى أرجاء الهند الشمالية ، و من تلامذة المحقق الدوانى الذين أسهموا كثيرا فى نشر العلوم العقلية : أبوالفضل خطيب الكازرونـى، و أبوالفضـل الاستـرآبادى، و الملا عمـاد الطـارى ، و رفيع الدين الصفوى ، و خواجه جمال الدين محمود، و مير حسين ميبذى.

على أن هذا الآخر (مير حسين ميبذى) لم يقدم الهند ، و لكن كتابه اشتهر فى أرجاءها ، و الكتاب هو "شرح *هداية الحكمة*" المعروف باسم المؤلف "ميبذى" و خواجه جمال الدين محمود هو المرجع فى نشر العلوم العقلية فى

الهند ، فتلميذاه ميرزا جان الشيرازى ، و فتح الله الشيرازى أسهما بكثير فى نشرها، ثم ظهر أعلام فيها أمثال الشيخ وجيه الدين العلوى و الكجراتى ، و الملا عبدالسلام اللاهورى، و المفتى عبدالسلام الديوى ، و الملا عبدالحكيم السيالكوتى ، و الملا كمال الدين الكشميرى ، و الملا محب الله البهارى ، و الملا محمود الجونبورى. و الذين تلمذوا على هؤلاء الأعلام كانوا كذلك أعلاما، و منهم — من منطقة أودهـ — نظام الدين السهالوى ، و قطب الدين شهيد، و كمال الدين السهالوى ، و القاضى مبارك الجوياموى، و حمدالله السنديلوى ، و فضل إمام الخيرآبادي ، و فضل حق الخيرآبادي ، و عبدالعلى بحرالعلوم ، و محمّد مبين ، و محمّد حسن، فى قائمة تحوى عشرات من الأسماء.

أما النصوص الكلاسيكية التى أثرت فى انتشار العلوم العقلية فى الهند، فهى كثيرة ، منها "*الشفاء*" و "*الحكمة المشرقية*" و "*الإشارات و التنبيهات*" للشيخ الرئيس ابن سينا، و "*مطالع الأنوار*" للشيخ سراج الدين الأرموى، و "*هداية الحكمة*" للشيخ أثيرالدين الأبهرى و "*الرسالة فى التصور و التصديق*" للشيخ قطب الدين الرازى و "تهذيب *المنطق*" للعلامة سعدالدين التفتازانى، و "*الأفق المبين*" لمير باقر داماد.

و للهند ولع شديد و إسهام وافر فى المنطق، و يكفى للتدليل أن كتاب "*سلم العلوم*" قد شرحه عدد كبير من العلماء ، و "*سلم العلوم*" كتاب كان ألفه الملا محبّ الله البهارى، و ممن شرحوا هذا الكتاب: القاضى مبارك، و حمدالله بن شكرالله ، و محمّد حسن ، و محمّد مبين ، و عبدالعلى بحرالعلوم ، و نعيم الدين ابن فصيح الدين القنوجي، و الشيخ ولى الله اللكنوى و الشيخ تراب علي اللكنوى ، و حيدرعلي بن حمدالله السنديلوى (٢١).

و المؤلفات التى عثر عليها الباحث - إما مطبوعا أو مخطوطا - كثيرة ، و إذا أردنا التعريف بها و بأصحابها فذلك يتطلب مؤلفا على حدة ، و معالجة القضايا العقلية فيها مجلدات ضخمة. ندرج فيمايلى قائمة لما أنتجتها عبقرية أودهـ فى العلوم العقلية:

١- *الرسالة فى تحقيق الجعل المركب و البسيط*، للقاضى محمّد پناه بن أمان الجونبورى، مخطوط فى قسم فرنجى محل، مكتبة عليكره ، تحت رقم ١٦١/٨٥٩
٢- *الرسالة فى العلم الطبيعى و الإلهى*، للمؤلف نفسه ، مخطوط فى مكتبة مظاهرالعلوم سهارنبور ، رقم ٢/٥٩
٣ - شرح *سلم العلوم* ، للشيخ حمدالله بن شكرالله السنديلوى، و يوجد مطبوعا.
٤- *الحاشية على شرح هداية الحكمة*
٥- *الحاشية على الشمس البازغة*
٦- *التعليقات على شرح السلم* ، كلها للمؤلف نفسه

٧- *الحاشية على شرح هداية الحكمة للصدرا* ، لملاّ نظام الدين السهالوى
٨- *الحاشية على الشمس البازغة*، للمؤلف نفسه
٩- شرح *سلم العلوم*، للقاضى مبارك بن دائم الجوباموى، و يوجد مطبوعا.
١٠- حاشية على *الحواشى الزاهدية لتهذيب الجلال* ، للشيخ أحمد عبدالحق اللكنوى (١١٨٧هـ / ١٧٧٣م)
١١- تصورات *شرح السلم*، للمؤلف نفسه و يوجد الكتابان مطبوعين
١٢- سدة *العلوم* فى *شرح سلم العلوم*، للمؤلف نفسه، و يوجد الكتابان مطبوعين. يوجد مخطوطاً فى مكتبة رضا برامفور تحت رقم ٢٧٨٦ .
١٣- *الرسالة فى الحدوث الذاتى و الزمانى*، للشيخ بركت اللّه اللكنوى.
١٤- اصعاد *الفهوم حاشية سلم العلوم*.
١٥- *التحقيق المنطقية على شرح الشمسية*، المعروف بالقطبى.
١٦- *إقامة البرهان على بديع الميزان*.
كلها للمؤلف نفسه ، و توجد مطبوعة.
١٧- تذكرة *الميزان* ، لمير جاراللّه الإله أبادى.
١٨- *الرسالة فى شبهة الاستلزام*
١٩ - *الرسالة فى مغالطة*
٢٠- *الرسالة فى شبهة نقيض الأعم الأخص*، كلها للمؤلف. و موجودة خطية فى مكتبة عليكره.
٢١- *الحاشية على التعليقات الزاهدية*، لغلام يحيى بن نجم الدين البهارى.
٢٢- *الحاشية على الحاشية الزاهدية على الرسالة القطبية*، للمؤلف نفسه.
٢٣- *الحاشية على شرح هداية الحكمة*، للشيخ محمّد أعلم بن محمّد شاكر السنديلوى.
٢٤- *الرسالة فى التشكيك*. للمؤلف نفسه.
٢٥- *الحاشية على مير زاهد ملا جلال*، لملا كمال الدين السهالوى.
٢٦- *الحاشية على مير زاهد ملاّ جلال* ، لملا محمّد حسن اللكنوى (١١٩٩هـ / ١٧٨٥م)
٢٧- *الحاشية على حاشية مير زاهد على الرسالة القطبية*.
٢٨- شرح *سلم العلوم*.
٢٩- *الحاشية على الشمس البازغة*.
٣٠- *الحاشية على شرح هداية الحكمة*.
٣١- معارج *العلوم*.

كلها لملا محمّد حسن المذكور.

٣٢- الحاشية على حاشية مير زاهد على شرح التهذيب لأحمد علي بن فتح محمّد السنديلوى.

٣٣ - الحاشية على حاشية مير زاهد.

٣٤- مجموعة الحواشى.

٣٥- شرح سلّم العلوم.

كلها للسنديلوى المذكور.

٣٦ - الحاشية على مير زاهد ملاّ جلال للعلامة تفضّل حسين خان.

٣٧ - الحاشية على شرح السلم لحمدلله ، لمير محمّد باقر الجانسى (١١٩٨هـ / ١٧٨٣م)

٣٨ - الحاشية على شرح الجلالية

٣٩ - الحواشى على شرح التهذيب للدوانى.

٤٠ - كشف الغين عن شرح حكمة العين.

كلها لمير الجانسى.

٤١- الحاشية على حاشية ميرزاهد على الرسالة، لعبد العلي بحرالعلوم.

٤٢- الحاشية على حاشية مير زاهد على الرسالة القطبيه.

٤٣- الحاشية على حاشية مير زاهد على شرح التهذيب.

٤٤- الحاشية على حاشية شرح التهذيب لملاّ جلال.

٤٥- الحاشية على شرح هداية الحكمة.

٤٦- الحاشية على ضابطة الحكمة.

٤٧- الحاشية على مير زاهد أمورعامة.

٤٨- الحاشية المتعلقة على الحواشى الزاهدية الجلالية.

٤٩- العجالة النافعة.

٥٠- التعليقات على الأفق المبين.

٥١- شرح سلم العلوم.

٥٢- الرسالة فى المثناة بالتكبير.

كلها للشيخ عبدالعلى بحرالعلوم الفرنجى محلى.

٥٣- الحاشية على مير زاهد، لملا كمال الدين السهالوى.

٥٤- الرسالة فى تحقيق علم البارى.

٥٥- الرسالة فى المقولات العشر.

٥٦- الحاشية على شرح السلم للقاضى.

كلها للسهالوى.

٥٧- الحاشية على رسالة مير زاهد لملاّ محمّد مبين الفرنجى محلى.

٥٨- شرح سلم العلوم.

٥٩- الحاشية على المثناة بالتكبير.

كلها لملاّ محمّد مبين نفسه.

٦٠- *الحاشية على رسالة ميرزاهد*، لمحمّد عظيم بن كفايت الله الجوباموي.

٦١- شرح *سلم العلوم*. لمحمّد عظيم نفسه.

٦٢- *الرسالة في حل شبهة الاستلزام*. للقاضي نجم الدين العلوي.

٦٣- *الحاشية على رسالة مير زاهد*. لعمادالدين العثماني اللبكني.

٦٤- *تلك عشرة كاملة*.

٦٥- *القول الثالث*.

٦٦- شرح *شرح التهذيب لليزدي*

٦٧- *العقدة الوثيقة*.

٦٨- *الحاشية على الحاشية الزاهدية*.

كلها للعثماني اللبكني المذكور.

٦٩- *الحاشية على مير زاهد*، لحيدرعلي بن حمدالله السنديلوي.

٧٠- *الرسالة في حل شبهة الاستلزام*

٧١- *الرسالة في العلم و المعلوم*

٧٢- *التحريرات على شرح السلم لحمدالله*. كلّها للسنديولوي نفسه.

٧٣ـ *الحاشية على شرح هداية الحكمة للصدرا*، للسيد دلدار بن السيد معين النصير آبادي.

٧٤- تقرير *معدوم النظير*. للمؤلف نفسه.

٧٥- تهذيب *التهذيب*، لعبدالباسط بن رستم علي القنوجي.

٧٦- *الحاشية* على *حاشية غلام يحيىٰ البهاري*، للحافظ علي أصغر الفيض آبادي.

٧٧ - *رسالة الجعل المؤلف و البسيط*، لغلام حسين الإله آبادي.

٧٨- نقد *الجواهر في شرح ظواهر الجواهر*، لمحمّد خيرالدين الجونبوري.

٧٩- *الحاشية على شرح هداية الحكمة للميبذي*. لمحمّد اصغر الفرنجي محلي.

٨٠- *الدر المنظوم في سلك العلوم*، للشيخ تراب علي الخيرآبادي.

٨١- *الدوحة الشامخة في الأصول الراسخة*، لمحمّد أشرف الصديقي.

٨٢- *الحاشية على مير زاهد على الرسالة القطبية*.للعلامة فضل إمام الخيرآبادي.

٨٣- *المرقاة*.

٨٤- *تلخيص طبيعيات الشفاء*.

٨٥- شرح *ميزان المنطق*.

٨٦- *الحاشية على مير زاهد ملاّ جلال*.

٨٧- *تشحيذ الأذهان*.

كلها للخير آبادي نفسه.

٨٨- *الحاشية على شرح هداية الحكمة للصدرا*. لمحمّد أمجد بن فيض الله القنوجي.

٨٩- *الحاشية على حاشية مير زاهد على شرح التهذيب للدواني*. للقاضي ارتضى خان الجوباموي.

٩٠- *الحاشية الزاهدية على التهذيب*.

٩١- *شرح الزاهدية على الرسالة القطبية*.

٩٢- *الحاشية على الميبذي*.

٩٣- *التعليقات على شرح سلم العلوم لحمدالله*

٩٤- *حل مبحث المثناة بالتكبير*.

٩٥- *التصريحات*.

كلها للقاضي ارتضى المذكور.

٩٦- *الحاشية على المثناة بالتكبير*. للسيد اسماعيل المرادآبادي.

٩٧- *الحاشية على شرح التهذيب لليزدي*.

٩٨- *الحاشية على الميبذي*. و كلاهما للمراد آبادي نفسه.

٩٩- *الحاشية الظهورية*، للشيخ ظهورالله بن محمّد ولي الفرنجي محلي.

١٠٠- *الحاشية على مير زاهد ملا جلال*.

١٠١- *حاشية الدوحة الميادة في حدود الصورة و المادة*. للشيخ نفسه.

١٠٢- *الحاشية على الميبذي* . للشيخ حسن علي صغير اللكنوي.

١٠٣- *الإيقاظات في بحث العلم*، للشيخ ولي الله بن حبيب الله اللكنوي.

١٠٤- *الحاشية على مير زاهد ملاّ جلال*.

١٠٥- *شرح تذكرة الميزان*.

١٠٦- *التنبيهات في التشكيك*.

١٠٧- *حاشية الصدرا*.

كلها للشيخ ولي الله المذكور.

١٠٨- *الحاشية على شرح هداية الحكمة* ، للسيد حسين بن دلدار علي النصير آبادي.

١٠٩- *الحاشية على مرآة الشروح*. للسيد خادم أحمد بن محمّد حيدر اللكنوي.

١١٠- *الرسالة في قاطيغورياس*. للعلامة فضل حق الخير آبادي.

١١١- *حاشية الأفق المبين*.

١١٢- *الحاشية على شرح السلم للقاضي مبارك*.

١١٣- *الهدية السعيدية في الحكمة الطبيعية*.

١١٤- *الرسالة في العلم و المعلوم*.

١١٥- *الرسالة في الرد على القائلين بحركة الأرض*.

١١٦- *الكافى لحل ايساغوجى.*
١١٧- *الجنس الغالى فى شرح الجوهر العالى،*

كلها للعلامة الخير آبادى.

١١٨- *الحاشية على حاشية غلام يحيىٰ البهارى* للمفتى محمّد عناية أحمد الكاكورى.
١١٩- *البيان الكافى على شرح القاضى،* للشيخ تراب علي بن شجاعة علي اللكنوى.
١٢٠- *التعليق الأحسن على شرح السلم.*
١٢١- *شمس الضحىٰ لإزالة الدجىٰ.*
١٢٢- *حاشية شرح هداية الحكمة لصدرا.*
١٢٣- *التحقيقات على شرح السلم لحمدالله*
١٢٤- *الحاشية على حاشية غلام يحيىٰ البهارى.*
١٢٥- *التعليق الأنيق و التحقيق الدقيق على أنوار الهدى فى الليا و الدجى*

كلها للشيخ تراب علي المذكور.

١٢٦- *الحاشية على شرح السلم لحمدالله،* للسيد محمّد بن دلدار علي اللكنوى.
١٢٧- *الحواشى على مير زاهد.* للمؤلف نفسه.
١٢٨- *كاشف الظلمة فى بيان أقسام الحكمة ،* لعبد الحليم بن أمين الله الفرنجى محلى (١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م).
١٢٩- *القول المحيط فيما يتعلق بالجعل المؤلف و البسيط.*
١٣٠- *كشف المكتوم فى حاشية بحرالعلوم.*
١٣١- *التوضيحات.*
١٣٢- *الأقوال الأربعة فى ردّ الشبهات المورِدة.*
١٣٣- *الإيضاحات لمبحث المختلطات.*
١٣٤- *كشف الاشتباه فى شرح حمد الله.*
١٣٥- *معين الفاحصين فى رد المغالطين.*
١٣٦- *البيان العجيب فى شرح ضابطة التهذيب.*
١٣٧- *القول الأسلم لحل شرح السلّم.*
١٣٨- *التحقيقات المرضية لحل الحاشية الزاهدية.*
١٣٩- *العرفان فى المنطق.*

كلها لعبدالحليم الفرنجى محلى.

١٤٠- *الحواشى على شرح السلم لحمدالله،* للمفتى محمّد عباس التسترى اللكنوى.

١٤١- *رسالة المغالطة*. للسيد خواجه محمّد بن عبدالرحمن القنوجي.
١٤٢- *الحاشية على القطبي*، للشيخ رونق علي السنديلوى.
١٤٣- *الحاشية على الصدرا* للسيد دلدار علي النصيرآبادى.

و هاك تعريف ببعض العباقرة فى العلوم العقلية:

ا - العلامة فضل إمام الخير آبادي:

ولد فى خيرآباد ، فى أسرة يرتقى نسبها إلى عمر الفاروق رضى الله عنه باثنين و ثلاثين من الوسائط. قرأ على المفتى عبدالواجد الكرمانى ١٢١٦هـ / ١٨٠٢م ثم قصد دهلى، و اشتغل بالتدريس، و رحب به الإنجليز ، لمكانته العلمية الرفيعة، و عينوه "صدرالصدور" ثم تقاعد بعد مدة من الزمن. (٢٢) و سافر إلى بتياله ، و أقام فيها مدة ، ثم رجع إلى مسقط رأسه ، و انتقل إلى الملأ الأعلى فى ٥ من ذى القعدة ١٢٤٤/١٨٢٩م ، و دفن بجنب ضريح الشيخ المخدوم الشيخ الخيرآبادى (٨٨٢ هـ / ٨-١٤٤٧م) ، و خلف ثلاثة بنين هم: فضل حق و فضل عظيم و فضل رحمن.

و خلف العلامة مؤلفات عديدة فى المنطق و الفلسفة ، و أشهرها "*المرقاة*" و "تشحيذ *الأذهان*" و خلاصة لطبيعيات الشفاء الرئيس. عملها أثناء إقامته فى دلهى و يوجد مخطوط لها فى مكتبة مولانا أزاد بعليكره ، قسم سبحان الله رقم ١١٠/٣١ ، بيد المؤلف نفسه و فيها ٢١٩ بخطٍّ منكسر يصعب القرأة و فيها تسعة عشر مقالا ، لخص فيها المباحث الفلسفية المتصلة بالطبيعيات فى كتاب الشيخ الرئيس ، و يختم الكتاب بقوله:

> *" فهذا آخر هذه المقالة ، و هو آخر الطبيعيات ، و الحمد لواهب العقل، و مفيض العدل ، و صلى الله على خير خلقه محمّد و آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا ، قد وفق العبد الضعيف الراجى إلى رحمة ربه القوى محمّد فضل إمام ابن محمّد أرشد الخيرآبادى بتلخيص طبيعيات الشفاء للشيخ الرئيس فى أواسط شهر ربيع الأول من سنة السابع و العشرين بعد المأتين بعد الألف من هجرة النبى صلى الله عليه و سلم، حين كان مقيما بدارالخلافة شاهجهان آباد حرسها الله عن الفتن و الفساد، متوليا بخدمة الإفتاء و الحمدلله على ذلك حمدا متكاثرا."*

و ابن العلامة فضل إمام هو العلامة فضل حق الذى اشتهر بمؤلفاته الفلسفية فى الأوساط الهندية ، و من انتاجاته الفلسفية : الرسالة فى العلم و المعلوم ، و الروض المجود فى حقيقة الوجود، و الرسالة فى تحقيق الأجسام،

و حاشيته على "الأفق المبين" لمير باقر داماد لها أهمية قصوى فى تاليفه ، و هى موجودة مخطوطة فى مكتبة مولانا آزاد ، قسم سبحان الله رقم ٨٥/١٦٠ ، بخط المؤلف ، و فيها ١٨٢ صفحة ، كل صفحة تسعة عشر سطرا ، و يصعب قرأتها.

٣- عبدالحليم الفرنجى محلى:

ولد فى ١١ من شعبان ١٢٠٩هـ / ٥-١٧٩٤م فى لكناؤ ، و حفظ القرأن و هو ابن عشر سنين ، و قرأ على المفتى ظهورالله ، و محمّد أصغر ، و المولوى نعمت الله ، و المفتى محمّد يوسف ، و فرغ من تحصيل العلوم و هو ابن ستة عشر سنين، ثم اشتغل بالتدريس، و دعاه أمير بانده فى عام ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م ، فذهب إليه ثم رجع إلى لكناؤ ثم وفد إلى جونبور ، و درس فيها تسع سنوات، ثم رجع إلى مسقط رأسه، و بايع الشيخ عبدالوالى القادرى فى عام ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م ، ثم سافر لزيارة الحرمين، و استفاد هناك من كبار المشائخ و الفضلاء، ثم رجع إلى حيدرآباد ، الهند فى عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م ، و توفى فيها فى ٢٩ من شعبان سنة ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م.

خلف الشيخ خمسة و ثلاثين كتابا ، و أكثرها مطبوع (٢٣)

١٠- العلوم الرياضيّة و الطب:

راجت العلوم الرياضية رواجا عظيما فى الهند بولوع سلاطينها بها، و كان الملك همايون عالما بالعلوم الرياضية، و كان يحب فى بلاطه الرياضيين. (٢٤).

بدأت النشاطات الرياضية فى الهند بفضل جهود الملا مرشد الشيرازى و بدأ الناس يكبون عليها ، و كان لأودهـ قصب السبق فى هذا المضمار، فقد توفرت فى أوساطها العلمية الأعمال الرياضية فى حين لا نجد فيها الأعمال العقلية.

العلوم الرياضية تبحث فى المادة بتجريدها من المادية ، و هى وسط بين العلم الطبيعى و العلم الإلهى، و هى أربعة أصناف:

١- الهندسة

٢- الهيئة

٣- الحساب

٤- الموسيقا.

ثم فيها الجمع و التفريق ، و الجبر و المقابلة ، و المساحة ، و جرّ الأثقال ، و الزيجات و التقاويم، و الأرغونة.

كان العلامة تفضل حسين الكشميرى اللكنوى (١٢١٥هـ / ١٨٠١م) فى

مقدمة العلماء الرياضيين في أودهـ ، و اكتشف بجهوده أشكال جديدة ، كما شرح بعض أعمال الإغريق في الموضوع ، و خاصة ايلونيوس و ديونيال ، و سمسن ، و كان المفتي خليل الدين خان العلوى الكاكوروى (١٢٨١هـ / ١٨٦٤م) من أعلام الرياضيات في عصره

نذكر فيما يلى المؤلفات الرياضية التى الفها علماء اودهـ

١- حاشية تحرير *اقليدس*، للشيخ بركة الله بن عبدالرحمن الإله أبادى.
٢- حاشية تحرير *أقليدس* ، للسيد حسن بن دلدارعلي اللكنوى (١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م)
٣- *الرسالة فى المخروطات*، للعلامة تفضل حسين خان. (١٢١٥هـ/ ١ ١٨م)
٤- *الكتاب المعرب فى الجبر و المقابلة* ، للعلامة نفسه.
٥- شرح *المجسطى*، لعبد العلى بحرالعلوم.
٦- شرح تحرير *الأصول الهندسية و الكلام*، للشيخ بركة الله الإله آبادى.
٧- نقود *الحساب*، للقاضى ارتضى خان الجوباموى.
٨- *حسابا يسيرا* ، للسيد أحمد بن مسعود الهرجامى.
٩- حاشية *خلاصة الحساب*، للمؤلف نفسه.
١٠- شرح *خلاصة الحساب*، لعبدالباسط بن رستم علي القنوجي.

و هذا الأخير شرح لكتاب "*خلاصة الحساب*" للعلامة بهاءالدين محمّد بن حسين العاملى ، و قد شرحها غير واحد من العلماء فى الهند.

أما الطب فقد أسهم فيه المسلمون بكثير فى جميع العصور، و خاصة فى العصور الوسطى، و نجد فى أعلامه فلاسفة الإسلام مثل الكندى، و الرازى ، و الشيخ الرئيس ابن سينا، و الزهراوى، و أكب عليه المسلمون فى الهند خاصة فى القرنين الثانى عشر و الثالث عشر نـبلاء. و كان السلاطين يرحبون بالأطباء من مختلف البلاد، و يكرمونهم و يخلعونهم ، و ممن نبغوا فى هذا العلم فى الهند: محمّد حسين بن محمّد هادى العقيلى المرشدآبادى (١٢٠٥هـ / ١٧٩٠ - ١٧٩١م) صاحب "*مخزن الأدوية*" و "*قرابادين كبير*" و "*خلاصة الحكمة*" و رحم علي السكندربورى (١٢٢٦هـ / ١٨١١م) صاحب "*بضاعة الأطباء*" و "*بديع التجارب*" و أرشد بن عبدالباقى الدهلوى (١٢٣٠هـ / ١٨١٥م) صاحب "*شرح موجز القانون*"

و كان للسلاطين الأودهيين كبير عناية بالطب و الأطباء و كان اشراف المجتمع الهندى المسلم يمتهنون بهذه المهنة، و كان السلطان نصيرالدين حيدر (١٨٢٧ - ١٨٣٧م) من المهتمين بها و برجالها فى الدولة.

و المؤلف الطبية التى الفها علماء أودهـ فى هذه الفترة:

١- التعليقات على حميات القانون الموسوم بـ "*أسرار العلاج و السراج الوهاج*" لعلي شريف اللكنوى (١٢٣١هـ / ١٨١٦م).

٢- شرح *كليات القانون*، لشفاء خان (١٢١٢هـ/ ١٨٩٧- ١٢٢٩ / ١٨١٣م).
٣- الفوائد الشافية
٤- *كتاب الحميات*. و كلاهما للمؤلف المذكور.
٥- *حلية الواصفين و وشاح الطالبين*، لمحمّد مهدى بن علي أصغر اللكنوى.
٦- *الرسالة فى وجوب الاستفتاء عن كل أبيض الدجاجة للمجذوم*، لمسيح الدولة علي حسن خان.
٧- *أجوبة السوالات*، لمحمّد علي اللكنوي (١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م)
٨- *الرسالة فى تحقيق الهيضة*، للمفتي خليل الدين الكاكوروى (١٢٨١هـ / ١٨٦٤م)
٩- *أنوار الحواشى على شرح النفيس على الموجز*، لأنور علي اللكنوى.
١٠- *مباحث الأطباء* ، لفتح الدين الجوباموي.
١١- *الدر النفيس*، لميرزا مظفر حسين خان اللكنوى. (١٢٩٨هـ/١٨٨١م)
١٢- *تبيان العرفان* ، للحكيم أفضل علي الفيض أبادى.

و كتاب "*تبيان العرفان*" موجود خطيا فى مكتبة مولانا آزاد بعليكره ، قسم سليمان رقم ١٤/١٩٨، و فيه أربعة عشر ورقا، و نسخ فى عام ١٢٧٠هـ ، و لا يعرف عام تأليفه. و كتاب "*التعليقات على حميّات القانون*" موجود خطيا فى نفس المكتبة ، قسم سبحان الله، رقم ٢/٦١٦ ، ٥/٦١٦ ، و فى النسخة الثانية (٦١٦ /٥) ١٤٨ ورقا ، كل صفحة خمسة عشر سطرا و نسخها السيد رسول بن السيد أحمد فى عام ١٢٧٦هـ / ١٨٦٠م ، كما هو المكتوب فى آخر الكتاب.

تعريب: محمّد ثناءالله الندوى

الهوامش:

١- راجع حياته فى نزهة الخواطر ١٣٢/٧-١٣٦
٢- المصدر نفسه ١٠٣/٧
٣- المصدر نفسه ٨٨/٧
٤- تذكره ص: ٢١
٥- نزهة الخواطر ١٠١/٧
٦- راجع: حديقة الافراح ص: ٤٢٠ ، أبجد العلوم ٢١٤ ، تذكره ٣٠ ، النزهة ٨٨/٧ - ٨٩ ، تنقيح الكلام فى تاريخ خطه پاك بلگرام ، لشريف أحمد بلگرامى ٢١١ - ٢١٢.
و يذهب صاحب "نزهة الخواطر" - مستندا إلى تذكرة النبلاء - أنه مات عام ١٢٥٠هـ ، على أنه

أكمل تأليف "نفائس اللغات" فى ٧/رجب ١٢٥٣هـ و قد نشره المؤلف فى عام ١٢٥٧هـ من المطبعة المصطفائية بلكناؤ ، راجع مقالة الدكتور حامد علي خان "انتاجات أوحدالدين البلكرامى" (باللغة الأردوية ، كما يراه المعرب).

٧- أبجد العلوم ٢١٤

٨- يرى المعرب أن العبارة من أصل الكتاب.

٩- راجع: تذكرة علماء هند ١١٩

١٠- النزهة ٢٥٨/٧

١١- المصدر نفسه ٢٥٩/٧-٢٦٠ ، مكتبة خدا بخش تنسب هذه الكتب إلى شيخنا، و هذا خطأ كبير.

١٢- أنظر: نزهة الخواطر ٤٢٧/٧ - ٤٤٤ ، و تذكرة ٢٢٥ ، ٢٢٣

١٣- أنظر: الثقافة ٢١ ، ٢٢ تذكرة مشاهير كاكورى ١٣٢.

أما "نادرالبر ن" فهو كتيب فى النحو كان قد ألفه صاحبنا لتعليم إبنيه خليل الرحمن و غلام أحمد ، ثم شرحه المؤلف فى عام ١١٥٠هـ/ ١٨٣٧م.

١٤- نزهة الخواطر ٢٤/٦ ، أذكاء الأبرار المشهور بالنفحات العنبرية من الأنفاس القلندرية ، ص: ٢٧٤

١٥- أبجد العلوم ٩٣٢ ، نزهة الخواطر ٢٣٦/٧ ، تذكره ١٤٨

١٦- نزهة الخواطر ١٠٨/٧

١٧- يرى المعرب أن هذا التقسيم قد سلكه علماء العصور الوسطى ، أما الآن فالأمر مختلف كل الاختلاف.

١٨- راجع "عصرالمامون" للدكتور أحمد فريد الرفاعي لأنشطة النقل و الترجمة فى العصر العباسى ـ المعرب)

١٩- ضياء الدين برنى: تاريخ فيروز شاهى ص: ٤٣

٢٠- ابن بطوطه: الرحلة ١٨١/٢

٢١- راجع: نزهة الخواطر: ٧٥/٦ ، ٢٤٨ ، ٢٩٧ ، ٤٠٤/٧ ، ٢٨٦ ، ٥٠٧ ، ٥٢٧ ، ١٠٥.

٢٢- باغى هندوستان ١١ ، تذكره ١٦٢ ، نزهة الخواطر ٣٧٤/٧

٢٣- راجع لتفاصيلها: عبدالحئ الفرنجى محلى: حسرة العالم بوفاة مرجع العالم، تذكره علماء هند ١٤٠-١٤٣ ، نزهة الخواطر ٢٤٧/٧ ، عمدة الرعاية فى شرح الوقاية ٢٥-٢٧ . تذكره علماء فرنجى محل ١٢٩-١٣١ ، الفوائد البهية فى تراجم الحنفية: ١٠٤ ، حدائق الحنفية: ٢٨٤ ، أحوال علماء فرنجى محل: ٦٨

٢٤- بايزيد بيات : تذكره همايون و أكبر ٦٥-٦٦

الحلقة السابعة:

ندوة العلماء عبر التاريخ

بقلم: آفتاب عالم الندوي
استاذ ندوة العلماء لكناؤ

الدراسات الإسلامية :

١- *"الجزية فى الإسلام"* بقلم العلامة شبلى النعمانى، يكشف القناع عما اتهم به الحكام المسلمون أنهم أثقلوا كواهل الشعب بضرائب فادحة و يبرز حقيقة الجزية فى الإسلام بأسلوب علمى و بحث دقيق ، ثم نقله إلى العربية و الإنجليزية.

٢- *"القضاء فى الإسلام"* للأستاذ عبدالسلام الندوى.

٣- *"الاشتراكية و الإسلام"* بقلم الأستاذ مسعود الندوى، مقارنة بين الاشتراكية و الإسلام فى أسلوب حكيم ، و عرض متين ، و قد نقله إلى العربية الأستاذ صهيب حسن السلفى و نشرته تباعا مجلتنا *"البعث الإسلامى"*.

٤- *"المجاملة فى الإسلام"* بقلم الأستاذ رئيس أحمد الجعفرى الندوى الكاتب الأردى المترسل. كتاب فى الأردية فى جزئين يلقى أضواء على المجاملة الشرعية فى ضوء الكتاب و السنة.

٥- *"السياسة الشرعية"* بقلم الأستاذ نفسه.

٦- *"العدل و الإحسان فى الإسلام"*. بقلم الأستاذ نفسه.

٧- *"النظام السياسى للإسلام"* بقلم الشيخ محمّد اسحاق السنديلوى الندوى. كتاب قيم فى الأردية ، يتحدث عن النظام السياسى و الإدارى فى الإسلام و عن فكرة الخلافة و مجلس التشريع و حقوق الشعب و بيت المال ، و الحرب و الدفاع و الشئون الخارجية و الداخلية ، كما يتحدث عن شتى النظريات السياسية الناجمة فى الأيام الحاضرة ، أمثال الجمهورية و الدكتاتورية ، و الديموقراطية و الشيوعية و الاشتراكية ، و ما إلى ذلك بحيدة عن التحيز الفكرى ، و التعصب المذهبى.

٨- "*الإسلام و العصر الحديث*" للأستاذ شهاب الدين الندوى. و له أيضا كتابان :
٩- "*رسالة القرآن*". ١٠- "*الاشتراكية*".
١١- "*منهج الحياة للمؤمنات*" للأستاذ عبدالقيوم الندوى . و له :
١٢- "*التجارة فى الإسلام*". ١٣- "*قانون الوراثة فى الإسلام*".
١٤- "*الغرض من خلق البشر هو إقامة الشريعة الإلهية*". للأستاذ حبيب ريحان الندوى.
١٥- "*القانون فى انتفاع المرتهن بالمرهون*" بالعربية ، بقلم العلامة عبدالحى الحسنى ، و له : ١٦- "*تعليم الإسلام*". ١٧- "*نورالإسلام*".
١٨- "*القواعد الفقهية*" لمولانا على أحمد الندوى ، بحث علمى رزين ، نال تقدير كبار الباحثين مثل العلامة الجليل الفقيه مصطفى الزرقا ، يتناول بالبحث و العلاج لمفهوم القواعد الفقهية و نشأتها و تطورها و دراسة مؤلفاتها و أدلتها و مهمتها و تطبيقاتها.
١٩- "*آراء الإمام ولى الله الدهلوى*" فى العربية ، للأستاذ سلمان الحسنى الندوى.
٢٠- "*الفقه الميسر*" للأستاذ شفيق الرحمن الندوى ، فى أسلوب سهل سائغ ، و قد قررته ندوة العلماء للدراسة فى الثانوية.
٢١- "*فقه الأئمة الأربعة*" للدكتور عبدالوهاب زاهد الحلبى الندوى ، يبحث بالتفصيل فى الفقه الإسلامى المتمثل فى فقه الأئمة الأربعة: أبوحنيفة، مالك ، الشافعى ، أحمد رحمهم الله.
٢٢- "*مسئلة الاجتهاد*" للأستاذ محمّد حنيف الندوى ، و له :
٢٣- "*أفكار ابن خلدون*".

التفسير و ما يتعلق به :

١- "*التفسير القيم*" للإمام ابن القيم الجوزية ، جمعه فضيلة الشيخ محمّدأويس النجرامى الندوى ـ أستاذ التفسير فى دارالعلوم ندوة العلماء سابقا ـ من كتب الإمام فى مختلف العلوم و الفنون ، حتى أصبح كتابا مفردا قيما فى التفسير أسماه "*التفسير القيم*" قام بالتحقيق و التعليق عليه الأستاذ محمّد حامد ، و له كتابان أيضا:
٢- "*تعليم القرآن*" بالأردية ، عرض فيه التعاليم القرآنية عرضا يتفق مع مدارك الصغار فى مدارسنا الابتدائية و الثانوية ، و قد قررت دارالعلوم تدريسها فى الثانوية منذ وقت طويل.
٣- "*كيف تدرس القرآن الكريم*" بالأردية.
٤- "*أرض القرآن*" بقلم الأستاذ السيد سليمان الندوى.

يبحث عن جغرافية العرب و عن تاريخ العرب القديم ، و يفند أباطيل المستشرقين التى تنافى كثيراً مما ورد فى القرآن الكريم من ذكر الأمم الغابرة ، و الأنبياء و الرسل و الأماكن المختلفة.

و فى الكتاب دراسة مكثفة للمآخذ الحديثة و القديمة التى تتناول بالبحث عن تاريخ العرب و الجغرافيه العربية ، و فيه تأييد لمرويات القرآن ، و تحقيق للأماكن و القرى و الأمم التى جاء ذكرها فى القرآن فى ضوء التاريخ و الاكتشافات الأثرية و الروايات التفسيرية ، و الاسرائيليات و الشعر العربى ، و كتب تاريخ العرب القديم ، و كتب الجغرافية و أنساب العرب ، و كتابات الكتاب الرومانيين و اليونانيين و ما إليها.

٥- "*ترجمات معانى القرآن الكريم و تطور فهمه عند الغرب*" بقلم الدكتور عبدالله عباس الندوى - المشرف على الشئون التعليمية لدارالعلوم ندوة العلماء حاليا - ، استعرض فيه ترجمات معانى القرآن الكريم فى مختلف اللغات و لاسيما الإنجليزية ، و يلقى أضواء على الترجمات بأقلام المستشرقين و الأضرار التى جرّتها هذه الترجمات.

٦- "*القرآن و تعاليمه*" فى الأردية ، للأستاذ عبدالقيوم الندوى.

٧- "*علوم القرآن*" فى الأردية للأستاذ نفسه.

٨- "*الكتاب الأول للقرآن الكريم*" (قرآن مجيد كى پهلى كتاب) للأستاذ عبدالسلام القدوائى الندوى.

٩- "*الكتاب الثانى للقرآن الكريم*" (قرآن مجيد كى دوسرى كتاب) للأستاذ نفسه.

١٠- "تفسير سورة *العصر*" المعروف بـ"*نظام الصلاح و الإصلاح*" بقلم الأستاذ الكبير عبدالبارى الندوى.

١١- "تبيان *القرآن*" فى الأردية للأستاذ أحمد حسن الندوى.

١٢- "*أصول و مبادئ لدراسة القرآن الكريم*" فى الأردية ، لسماحة الشيخ أبى الحسن علي الحسني الندوى. إن لدراسة القرآن الكريم آدابا و قيودا يجب أن يلتزمها كل دارس و قارئ ، فان التغافل عنها ربما يؤدى إلى حرمان كبير، و فى الكتاب هداية ذات اخلاص و إرشاد ذو عطف إلى هذه الآداب و القيود.

١٣- "*الصراع بين الإيمان و المادية*" لسماحة الشيخ نفسه ، فى العربية ، تأملات فى سورة الكهف فى ضوء دراسة التاريخ القديم و الحديث و الاكتشافات الحديثة و الأوضاع الحاضرة. ، فى أسلوب يبعث الإيمان و الثقة بأن الله هو مدبر الكون و متحكم فى الأمور كلها و أنه لا نافع و لا ضار إلاّ هو ، و من كان لله كان الله له.

و نقله الأستاذ محمّد الحسنى إلى الأردية ، و ظهرت فيها طبعات ، كما

نقله إلى الإنجليزية الأستاذ محى الدين و ظهر من المجمع الإسلامى العلمى - لكناؤ - باسم " FAITH VERSUS MATERIALISM ".

١٤- *"الإمام أحمد بن عبدالرحيم"* للأستاذ خليل الرحمن سجاد الندوى، كتاب قيم يتسم بالدراسة العميقة و الرزانة ، و يبحث فى منهج ولي الله الدهلوى فى التفسير و آرائه فى مباحث من علوم القرآن.

الفكر الإسلامى :

١- *"ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين"* لسماحة الشيخ أبى الحسن علي الحسني الندوى. يأتى هذا الكتاب فى رأس قائمة الآداب الإسلامية و الفكر الإسلامى الأصيل، و يستعرض التاريخ بوجهة نظرة جديدة مبتكرة ، و بذلك فانه أوّل جهد علمى متناسق ناجح استخدم طريقة العرض الجديد العادل ، و لكنه لاينسى تغذية القلب و الوجدان. و إشعال جمرة الإيمان ، و قد اعترف الأستاذ الشهيد سيد قطب بقيمته و مكانته فى تقديم له للكتاب، فقال :

"إنه الإحساس المتناسق بكل مقومات الحياة البشرية ، و بهذا الإحساس المتناسق مسار فى استعراضه التاريخى و فى توجيهه للأمة الإسلامية سواء ، و من هنا يعد هذا الكتاب نموذجاً للتاريخ." (١)

و علق الدكتور بكهنكم - المشرف الأعلى قسم الشرق الأوسط فى جامعة لنبدن - على الكتاب بهذه الكلمات :

" كان ينبغى أن ينشر هذا الكتاب من بريطانيا ، لأنه وثيقة تاريخية ، و نموذج صحيح لما يحتاجه المسلمون فى نهضهم - فى القرن المعاصر - من جهود مبذولة على وجه أفضل." (٢)

و من خصائص الكتاب - و هى كثيرة - أنه يفيض بحب النبى صلى الله عليه و سلم ، و إنى أشهد كلما قرأت الكتاب ترنحت جوانحى و أعطافى و أخذتنى نشوة إيمانية لا أكاد أصفها ، و تتجلى هذه الحقيقة خاصة فى السطور التى جاءت بعنوان *"زعامة العالم العربى"*.

و قد ألف هذا الكتاب فى اللغة العربية و صدرت طبعته الأولى من القاهرة، ثم تلتها الطبعات العشرة الرسمية من بيروت و دمشق و الكويت و القاهرة ، و هى عدا ما صدرت له من طبعات غير رسمية ، و ترجم إلى اللغات العلمية المختلفة ، و أدرجته أوساط "الإخوان المسلمين" فى برامجها التربوية.

٢- "*الصراع بين الفكرة الإسلامية و الفكرة العربية*" بقلم سماحة الشيخ نفسه. يعرض الكتاب الصراع الفكرى الدائر فى الأقطار الإسلاميـــة ، و المشكلة التى تواجهها هذه الأقطار فى اتخاذ الموقف الصحيح نحو الحضارة الغربية الفاتنة ، و الحل الناجع لهذه المشكلة العويصة ، و فى الكتاب هداية ذات عطف إلى طريقة النهضة بالمجتمع الاسلامى الذى تقع عليه مسئولية القيادة و السيادة و الوصاية و التوجيه للعالم البشرى كله.

و قد تكررت طبعاته فى الكويت فى اللغة العربية ، و صدرت طبعتان الأردية ، و طبعتان فى الإنجليزية كذلك.

٣- "حديث *مع الغرب*" بقلم سماحة الشيخ الندوى نفسه. دعا فيه المؤلف إلى توجيه عنايته إلى ما فيه خير الإنسانية ، و دعا الشباب الوافدين إلى الغرب إلى العيش كالدعاة و القائدين و الاحتفاظ بهويتهم الإسلامية. مثل الشاعر الإسلامى الدكتور محمّد إقبال ، ظهرت له طبعات فى العربيـــة و الأردية و الإنجليزية.

٤- "*المسلمون و قضية المسلمين*" بقلم المؤلف نفســه. مجموع محـــاضرات و مقالات ، تتحدث عن الكوارث و النكبات التى منى بها العالم الإسلامى و العربى مع البحث عن أسبابها و تحليلها تحليلا علميا أمينا.

٥- "*إلى الإسلام من جديد*" بقلم المؤلف نفسه. مجموع محاضرات ، توقظ الشعور الدينى ، و تثير الحماسة الإسلامية فى المسلمين ، و تعيد إليهم الثقة بأنفسهم و تذكرهم برسالتهم.

٦- "تجديد *التعليم و التبليغ*" بقلم الشيخ عبدالبارى الندوى ، الكتاب عرض شامل ناجح لنظام الإسلامى التعليمى و التبليغى.

٧- "تجديد*الاقتصاد*" بقلم المؤلف نفسه ، يعرض فيه نظام الإسلام الاقتصادى عرضا جديدا ، يبرز صدق النظام الإسلامى و أهميته فى العصر الراهن ، و يكشف القناع عن زيف النظم الحديثة الوضعية المتنوعة و النعرات الفارغة و الاتجاهات الخاطئة التى لا تسمن و لا تغنى من جوع.

٨- "تجديد *الدين*" للمؤلف نفسه. يذكر فيه المسلمين بهدفهــم الأصيــل ، و يشرح التدابير.

تاريخ الإصلاح و التجديد و الدعوة و العزيمة :

١- "*رجال الفكر و الدعوة فى الإسلام*" فى خمسة مجلدات ، بقلم الشيخ أبى الحسن علي الحسنى الندوى. و هو استعراض جديد للتاريخ الإسلامى، و كانه وثيقة تاريخية للسلسلة الفكرية و الدعوية فى الإسلام، حيث يعرف

بكبار رجال الدعوة و الفكر و الجهاد. عبر التاريخ الإسلامى و يدرس مآثرهم العلمية و الخدمات الجليلة و جهودهم الإصلاحية ، ما أتت به من ثمار ناضجة يانعة.

أما الجزء الأول منه فتناول الفترة بين القرن الأول الهجرى إلى القرن السابع الهجرى، و الثانى بعالم القرن السابع الهجرى الكبير شيخ الإسلام الحافظ بن تيمية، نقله إلى العربيـة الأستاذ سعيـد الأعظمـى النـدوى. و الثالث يتحدث عن سلطـان المشـايخ نظام الدين أوليـاء و الشيخ الكبير شرف الدين يحيى المنيرى ، و العالم الربانى الشيخ معين الدين الجشتى و حياتهم الإيمانية و جهودهم الإصلاحية. و الرابع يختص بالشيخ الكبير الإمام أحمد السرهندى مجدد الألف الثانى ، و الخامس يتحدث عن الإمام الشاه ولى الله المحدث الدهلوى. و قد نقلهما إلى العربية الأستاذ سلمان الحسينى الندوى ، و كل من الأجزاء الخمسة قد تم نقلها إلى الإنجليـزية باسم " SAVIOURS OF ISLAMIC SPIRIT ". و قد استقبل الكتاب بحفاوة بالغة فى كل من الأوساط العلمية و الدينية والأدبية و نال تنويها زائداً و إشادة حارة من الكتاب و الأدباء فى الإنجليزيـة و الأرديـة و العربية.

٢- "*إذا هبت ريح الإيمان*" لسماحة الشيخ نفسه. كتاب يتحدث عن الإمام أحمد بن عرفان الشهيد و جماعتـه و يروى تلك البطوليـة ذات الإيمـان و الإخلاص بإيجاز و إعجاز ، بيد أنه تصوير صادق ، رقيق مرقق للجهاد الطويل المرير فى سبيل العقيدة و الدين. و يجمع بين الأسلوب الأدبى الرفيع و الأسلوب القصصى الجميل و الأسلوب العلمى و الدينى الرصين. فكان الإقبال على الكتاب نادرا ، و ترجـم بالأرديـة فاستقبـل بحمـاس و شوق و حنين.

٣- "*تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند*" فى العربية ، بقلم الأستاذ مسعود عالم الندوى.

تحدث فيه المؤلف فـى تفصيل عـن الإسـلام فى الهنـد ، كيف دخل ، و كيف انتشر، و ماذا أثر ؟ و استعرض استعراضا موسعا تلك الجهود الجبارة التى بذلها أبناء الإسلام فى الهند لمقاومة حركة الإلحاد التى قامت فى وجه الإسلام حينا لآخر ، و كيف تغلبوا عليها.

٤- "*الحركة الإسلامية الأولى فى الهند*" بقلم المؤلف نفسه. دراسة ذات تحليل لحركة الإصلاح التى قام بهـا الإمامـان السيـد أحمـد الشهيد و إسماعيل الشهيد مصحوبة بالرد القاطع على الأراجيف و الأكاذيب التى اصطنعت لتشويه هذه الحقيقة الناصعة.

اللغة العربية علومها و آدابها :

١- "*دروس الأدب*" فى ثلاثة أجزاء ، للعلامة السيد سليمان الندوى.

٢- "*مختارات*" مجموعة أدبية بقلم سماحة الشيخ النـدوى ، فـى جزئين. و هى تمثل الأدب العربى فى جميـع مناحيـه و أساليبه التاريخيـة و التمدنية و العلمية و الدينية من العصر الإسلامى الأول إلى العصر الحديث ، و قد نجح المؤلف فى الاختيار نجاحا باهرا حتى أقر بذلك كبار الأدباء فـى البلاد العربيـة ، و قد أدخـل فى كثيـر من المدارس و الجامعات فى الهند و البلاد العربية.

٣- "*قصص النبيين للأطفال*" بقلم المؤلف نفسه فى خمسة أجزاء ، و هى قصص قرآنية عرض الأستاذ عرضا سائغا سهلا شيقا تستسيغه الخاصة و العامة. نال القبول و التقدير من كبار الدعاة و الباحثين ، و قد أدخل الكتاب فى مناهج الدرس فى المدارس الإسلامية فى معظم البلاد الإسلامية ، و صدرت له أكثر من عشرين طبعة.

٤- "*القراءة الراشدة*" فى ثلاثة أجزاء. الكتاب - فى الواقع - محاولة ناجحة لأن تكون اللغـة أدبيـة دينيـة عليها مسحة من جمال أدب الكتاب و السنة، كما أنه يهدف إلى استعمال الكلمات المستحدثة و نقل الحكايات الواردة فى الحديث إلى لغة سهلة على أسلوب الحكايات الموضوعة للأطفال و تضمين الدروس بالأدعية المأثورة و الآداب الدينية ، و قد قرر تدريسه فى معظم المدارس الإسلامية العصرية فى الهند.

٥- "*منشورات من أدب العرب*" جمع فيه المؤلف أدبية نابضة بالحياة ، تغذى الملكة الأدبية فى الشباب ، و تغرس فى قلوبهم المعانى الفاضلـة و الأخلاق المحمودة ، و قد قرر تدريسه فى معظم المدارس الإسلامية العصرية فى الهند.

٦- "*معلم الإنشاء*" فى ثلاثة أجزاء، الأول والثانى للأستاذ عبدالماجد الندوى، و الثالث للأستاذ محمّد رابع الحسنى الندوى ، و هو داخل فى معظم مدارس الهند.

٧- "*الترجمة العربية*" فى جزئين ، للأستاذ محمّد مسعود الندوى ، كتاب لتعليم الإنشاء و الكتابة.

٨- "*علم التصريف*" بقلم الأستاذ سعيد الأعظمى الندوى رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامى". كتاب يسهل للطلاب مبادئ الصرف ، كما يسهل بقراءته فهم "شذى العرف فى فن الصرف" و استساغتـه جيدا ، و قد قرر تدريسه فى ندوة العلماء و غيرها من المدارس.

٩- "تمرين *النحو*" للأستاذ محمّد مصطفى الندوى ، وضعه للأطفال فى المدارس الثانوية.

١٠- "*تمرين الصرف*" للأستاذ محمد معين الله الندوى فى الصرف على طريقة تمرين النحو ، و كلاهما داخل فى المقررات الدراسيـــة فـى ندوة العلماء و غيرها من المدارس فى الهند.

١١- "*لغات جديدة*" للعلامة الدكتور السيد سليمان الندوى ، و هو قاموس فى الأردية يشرح اللغات المستحدثة المستعملة فى الصحف و المجلات فى البلاد العربية عندئذ.

١٢- "*مختارالشعرالعربى*"فى جزئين ، إعداد كلية اللغة العربية لدارالعلوم ندوة العلماء مقررتدريسه فى الدراسات العليا لكلية اللغـة العربيـة و آدابها.

الأدب و النقد:

١- "*شعر العجم*" بقلم العلامة شبلى النعمانى، فى أربعة مجلدات. دراسة تحليلية للشعر الفارسى فى أدواره المختلفة مع تسليط الضوء الكاشف على أوصاف الشعر الفارسى و خصائصه و حقيقته و عناصره ، و ما الفرق بين الشعر الفارسى و العربى بالنسبة إلى رشاشة الألفاظ و دقة الصياغة و التركيب و جمال الفكرة و حسن الأسلوب و ما إلى ذلك. كل ذلك فى أسلوب أدبى رفيع و لا غرو فقد كان العلامة أحد الأساطين الأربع للأدب الأردى،، أجمع على ذلك أدباء اللغة فى هذه الديار على اختلاف الوجهات و الاتجاهات ، و له مكانة مرموقـة ساميـة فى النظم و النثر فى كلتى اللغتين الفارسية و الأردية. و الكتاب مقرر دراسـة و مطالعة فى كثير من الجامعات العصرية الهندية الرسمية فى صفوفها العالية من القسم الأردى.

٢- "*المقارنة بين أنيس و دبير*" للعلامة نفسه. كتاب يقارن مقارنة فنية بين أبيات الشاعـر الأردى "أنيس" و الشاعـر الأردى الآخـر "دبيـر" و كلاهما أنجبتهما مدينة لكناؤ ، و كانا شيعيين ، يمتازان فى المراثى التى تتفق ذوقهما المذهبى و العاطفى.

٣- "*گل رعنا*" بقلم العلامة الشريف عبدالحى الحسنى ، كتاب قيم يعرض تاريخ اللغة الأردية و نشأتها و بداية قرض الشعر فيها و تراجم الشعراء المفلقين فى مختلف أدوارهم مع التحليل الدقيق لأبياتهم التى تحدد مكانتهم الأدبية و الشعرية و ملامحهم الفنية ، و هو متداول مقبول فى هذه الديار لاتزال تتكرر طبعاته ، و يعتبر من المراجع الرئيسية فى تاريخ الشعراء و نقد الشعر ، و قرر تدريسه فى عدة جامعات فى القارة الهندية.

٤- "*شرح المعلقات السبع*" بقلم العلامة نفسه. لم يتمكن من إتمامه و انتقل إلى رحمة الله.

٥- "*شعر الهند*" فى جزئين فى اللغة الأردية ، بقلم الأستاذ عبدالسلام الندوى. الجزء الأول يتناول تاريخ الشعر الأردى مع تفصيل التطورات التى مرّ بها الشعر الأردى فى مختلف أدواره ، و الجزء الثانى يتناول جميع أصناف الشعر الأردى بالنقد نقداً تحليليا.

٦- "*الأدب العربى بين عرض و نقد*" بقلم الأستاذ محمد رابع الندوى تحدث فيه عن حقيقة الأدب و قام بالتحليل و النقد و تقديم نماذج الأدب العربى فى مختلف أدواره مع بيان قيمتها الأدبية و الفنية و مكانة أصحابه الأدبية و الكتاب فى المقررات الدراسية فى دارالعلوم ندوة العلماء.

٧- "*الأدب الإسلامى و صلته بالحياة*" بقلم المؤلف نفسه ، كتاب يتسم بالنقد الهادف البناء و يبحث فى الأدب الإسلامى و علاقته بالحياة مع تقديم نماذج حية من أدب الرسول صلى الله عليه وسلم و الصحابة الكرام نثراً و شعراً ، و بيان خصائص الشعر و ميزاته و استعراض أصنافه المتنوعة.

٨- "*رباعيات خيام*" للأستاذ السيد أبى ظفر الندوى و له :

٩- "*منتخبات أردو*".

١٠- "*معلم الأردية الجديد*".

١١- "*أدب الصحوة الإسلامية*" للأستاذ واضح رشيد الندوى رئيس تحريرصحيفة "*الرائد*"بحث علمى رزين ، يعالج موضوعا شغل الباحثين طويلا ، و يقوم استعراضا علميا أمينا لأدب الإسلامية الأدب الإسلامى الملتزم بتقديم طائفة من نماذجه المختلفة ، كما أن الكتاب يحتوى على نقد الاستشراق و الحضارة الغربية نقدا علميا و عرض الحضارة الإسلامية عرضا ناجحا يستحق كل تقدير و ترحيب.

١٢-" *تاريخ الأدب العربى*" للمؤلف نفسه ، يتناول الأدب بالنقد و التحليل و يقوم نماذج الأدب العربى فى العهد الجاهلى مع بيان قيمتها الأدبية و الفنية و مكانة أصحابه الأدبية.

الجغرافية و الخطط و الآثار :

١- "*الهند فى العهد الإسلامى*" بقلم العلامة الشريف عبدالحى الحسنى. يبحث عن الهند فى العهد الإسلامى جغرافية و تاريخا و خططا و آثارا و حكومة و إدارة و ثقافة و اجتماعا و ديانة ، و يلقى ضوء كاشفا على دور المسلمين فى إنهاض البلاد و ترقيتها ، و قيمة الآثار التى خلفوها و جبال البلاد و أنهارها و إقليمها ، و مناخها ، و محاصلها و مواردها ، و معادنها ، و أزهارها و رياحينها ، و حشائشها ، و عقاقيرها ،

و حيواناتها ، و دباباتها ، و مدنها ، و قراها ، و شوارعها ، و عواصمها و ملوكها ، و تراجمها و طرق حكمها منذ ما دخل الإسلام حتى ١٨٥٧م ، و كان المؤلف قد أسماه "*جنة المشرق و مطلع النور المشرق*".

٢- "جزيرة *العرب*" بقلم الأستاذ محمّد رابع الحسني الندوي. يدور حول جغرافية البلاد الإسلامية ، تحدث فيه المؤلف عن جزيرة العرب خططا وآثارا وجغرافية ومناخا، و عن جبالها و سهولها، و فصولها و مواردها، و أقوامها و قبائلها، و حضارتها و مدنيتها و ثقافتها و اقتصادها، و دولها و حكوماتها. و الكتاب حصيلة جهد كبير يستحق كل تقدير و ترحيب.

٣- "*الأمكنة المقدسة فى ضوء الجغرافية و التاريخ*" بقلم الأستاذ نفسه. يشرح الأمكنة المقدسة فى ضوء الجغرافية و التاريخ مما يهم الحجاج فى زيارتهم لهذه الأمكنة ، و فى آخر الكتاب خرائطها و صورها.

٤- "*معجم الأماكن التى ورد ذكرها فى نزهة الخواطر*" لأستاذ الشاه معين الدين الندوى

السنة و ما يتعلق بها،

١- "*تعليقات على سنن أبى داؤد*" للعلامة الشريف عبدالحئ الحسنى ، بدأ تاليفه فى اللغة العربية غير أنه لم يتم و قد أستاثر به الله.

٢- "تهذيب *الأخلاق*" للعلامة نفسه ، كتاب مختصر فى الحديث من نوع "*رياض الصالحين*" للحافظ النووى ، جمع فيه الأحاديث بحذف الأسانيد فى مختلف أنواع السلوك و العادات مع بيان ما يتعلق بهذه الأحاديث من أى من الذكر الحكيم فى بداية الباب.

٣- "شرح تهذيب *الأخلاق*" للأستاذ أبى سحبان روح القدس الندوى. و هو ماثل للطبع ، و تنشره صحيفة "*الرائد*" تباعا بعنوان "*على مائدة القرآن*" و "*درس من السنة*". و هو شرح مفصل لـ"*تهذيب الأخلاق*" المجموعة التى اختارها العلامة الشريف عبدالحى الحسنى من الحديث المذكورة آنفا. يتناول أولا بتفسير الآيات الواردة فى مستهل الابواب و شرح مجملاتها و إيضاح غوامضها إيضاحا لا يبقى معه أى غموض و خفاء ثم يأخذ فى شرح الأحاديث بتوضيح خفاياها و حل مشكلاتها و شرح مفرداتها و كلماتها العويصة شرحا لغويا مفصلا و حل العبارة نحويا ، مع بيان منعنى الحديث و مغزاه و ذكر نبذة من تراجم الأعلام الواردة فى الأسانيد و ثنايا الأحاديث ، و تخريج الأحاديث. و من مزايا الكتاب ـ و هى كثيرة ـ أن المؤلف يختم الشرح بذكر معارف نفيسة و معانى كريمة يستوحيها من الحديث مما له الأثر البعيد فى بعث الهمم

و إثارة العواطف و ترويض النفس على التخلق بأخلاق الله و التحلى بمكارم الأخلاق ، و ذلك عين ما وضع لأجله أصل الكتاب "*تهذيب الأخلاق*" كما يتجلى بعنوانه.

٤- "*الإمام ابن الجوزى و كتابه الموضوعات*" بقلم الشيخ محمود أحمد القيسية الندوى. بحث علمى رزين يبحث فى حياة العلامة ابن الجوزى و منهجه فى الحديث و جهوده فى علم الحديث ، كما يتناول بالشرح و التفصيل لتعريف الحديث الموضوع و حكمه و نشاته و بواعثه و علاماته و جهود العلماء و المحدثين الجبارة ، فى مقاومة الوضع و صيانة الحديث ، مع تقديم الحديث مختارة من كتاب الموضوعات و بيان علماء الجرح و التعديل فيها و المقارنة بينهم و بين رأى العلامة ابن الجوزى فيها.

٥- "*فن أسماء الرجال مأثرة علمية عظيمة لأئمة الحديث*" بالأردية للأستاذ تقى الدين الندوى. كتاب يبحث فى تدوين و تحقيق تاريخ رجال الحديث و فن الجرح و التعديل. و يتحدث عن الحديث الموضوع علاماته و بواعثه و طرق المعرفة بالوضع ، و يتناول بالتعريف و التعليق على أهم كتب أسماء الرجال و أشهرها ، و فى الكتاب إرشاد ذو عناية إلى طريقة الاستفادة من كتب أسماء الرجال.

٦- "*الإمام أبوداؤد و مكانته العلمية فى الحديث*" للمؤلف نفسه بالعربية.

٧- "*أبواب البخارى*" بقلم الشيخ أختر على غرستوى الندوى.

٨ - "*دور الحديث فى تكوين المناخ الإسلامى و صيانته*" لسماحة الشيخ أبى الحسن على الندوى. يتناول الكتاب - بأسلوب جديد - ببيان قيمة الحديث العملية و دوره البناء الإيجابى فى تكوين المجتمع الإسلامى و تأسيس الحياة الإسلامية على أسس السنة و الشريعة و السيرة النبوية و صيانتها من الفساد و البدع و التحريف الدينى و الانحلال و الذوبان.

و للكتاب تأثير بالغ فى إقناع "العقل الرياضى" الذى لا يذعن إلاّ للواقع ، و لا يقيم وزنا إلاّ لما كانت له قيمة عملية واقعة ، كما أنه يثبت أن الحديث مدرسة دائمة خالدة ، يتخرج فيها رجال مصلحون و مجددون.

٩- "*أحاديث صحيحين*" بقلم الأستاذ رياست على الندوى.

١٠- "*تلخيص مقدمة فتح البارى*" بقلم المؤلف نفسه.

١١- "*أصول الحديث*" بقلم الأستاذ أويس الندوى.

١٢- "*روائع من أدب الدعوة فى القرآن و السيرة*" بقلم سماحة الشيخ أبى علي الحسن الندوى. مجموع محاضرات علمية هى عصارة دراسة عميقة رصينة لروائع من أدب الدعوة فى القرآن و السيرة ، و الكتاب - كما يتجلى بعنوانه - يدل على أن خير النماذج للداعية الإسلامى

الناجح هى ما قصه علينا القرآن و السيرة النبوية من قصص الدعوة و التبشير و الإنذار، و ما صوراه من نماذج نفسية و اجتماعية و أدبية مختلفة ، و يتناول الكتاب الأسلوب البليغ الذى تتميز به الأحاديث النبوية و القرآن الكريم ، و بذلك فالكتاب يبرز أهمية الحديث النبوى و السيرة بأسلوب مبتكر جديد.

١٣- "تحقيق معنى *السنة*" للعلامة السيد سليمان الندوى.

١٤- "*لآلى الحكيم*" للأستاذ عبدالرحمن نكرامي الندوى.

١٥- "*علوم الحديث*" للأستاذ الشاه عزالدين الندوى.

١٦- "*فهم الحديث*" للأستاذ عبدالقيوم الندوى و له " *التعريف بالحديث*"

١٧- "*زاد الطريق*" للأستاذ جليل أحسن الندوى و له :

١٨ـ "*سبيل العمل*".

١٩- "*تاريخ الحديث و المحدثين*" فى جزئين بقلم الشيخ حكيم أحمد الله الندوى.

٢٠- "تدوين *الحديث*" بقلم الأستاذ هداية الله الندوى.

٢١- " *دراسة الحديث*" بقلم الأستاذ محمّد حنيف الندوى.

٢٢- "*الفاظ الجرح و التعديل*" بقلم الأستاذ اسماعيل المدراسى.

٢٣- "*الحياة الاجتماعية فى ضوء الحديث*" بقلم الشيخ عبدالوهاب حلبى الندوى.

٢٤- "*مقدمة المحدث الجليل الشيخ عبدالحق الدهلوى*" قدم لها و علّق عليها الأستاذ سلمان الحسينى الندوى ، فوضع العناوين الجانبية ، و عنوان الفصول و رقمها ، و قسّم المحتويات إلى فقرات مناسبة و علق عليها تعليقات وجيزة مفيدة بالإضافة إلى مقدمة فى تاريخ علم أصول الحديث و تعريف بالكتب المؤلفة فى هذا الفن و استعراض جهود علماء الهند أيضا.

٢٥- "*رياض السنة*" لمولانا الشاه جعفر الفلواروى الندوى و له :

٢٦- "*مكانة السنة*".

٢٧- "*معارف الحديث*".

٢٨- "*انتخاب الحديث*".

٢٩- "*خمس صحائف الأولى للحديث النبوى*" بقلم الأستاذ عبدالسلام قدوائى الندوى.

٣٠- "*دراسة كتب السيرة القديمة و مصادرها الأولى*" للأستاذ تقى الدين الندوى المظاهرى. و له كتب آخر فيما تلى :

٣١- "*الإمام البخارى سيد الحفاظ و المحدثين*".

٣٢- "*علم رجال الحديث*"

٣٣- "*لمحة عن تعريف أهم مراجع السنة*".

٣٤- *"الإمام أبوداؤد المحدث و الفقيه"*.
٣٥- *"كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل"* حققه و علق عليه.
٣٦- *"الإمام مالك و مكانة كتابه "المؤطا"*.
٣٧- *"كتاب الزهد الكبير للإمام البيهقى"* حققه و وضع عليه تعليقات قيمة.
٣٨- *" الإمام و دراسة عن مسنده العظيم"*.
و هى كلها بالعربية و تتسم بالدراسة العميقة و الأمانة العلمية الدقيقة.

الربانية و الإحسان :

١- *"تجديد التصوف و الإحسان"* بالأردية للأستاذ عبدالبارى الندوى. يكشف عن زيف الأخطاء العلمية و العملية التى أحاطت بالتصوف و يفضح الأراجيف و الإشاعات التى أثيرت حول التصوف . و يثبت أن التصوف الحقيقى هو عين كمال الإسلام و الإيمان ، و أنه يستحيل تحصيل النجاح الدنيوى و الأخروى و بالتالى الفردى و الجماعى إلاّ بالتحلى بالتصوف و الإحسان.
٢- *"التعليم و التبليغ"* للمؤلف نفسه ، يتحدث عن التدابير التى يمكن بالعمل بها إصلاح الأمة و المجتمع الإسلامى ، و استعادة مكانتها السابقة و مجدها التليد.
٣- *"نظام الصلاح و الإصلاح"* للمؤلف نفسه. يتضمن معانى رقيقة تبعث على تهذيب الأخلاق و تزكية النفس.
٤- *"العقيدة و السلوك فى ضوء الكتاب و السنة و السيرة النبوية"* لسماحة الشيخ أبى الحسن الندوى. كتاب يصلح لأن يكون دليلا إلى الاعتقاد السليم المطلوب و السلوك الإسلامى الجامع و دستورا للحياة للمسلم الطالب الحق الباحث عن الأسوة النبوية فى الأعمال و الأخلاق.
٥- *"الإصلاحيات"* للمؤلف نفسه ، يبحث فى اتخاذ السيرة النبوية قدوة مثالية حية ، و فى الكتاب إرشاد إلى ما يحتاج إليه الإنسان فى حياته من خلق عظيم و سلوك حسن.
٦- *"الجوهر الثمين"* للأستاذ محمّد طيب عثمانى الندوى.
٧- *"طريق الإحسان"* لمولانا السيد محمّد طه كمال الندوى.
٨- *"تعاليم الغزالى"* للأستاذ محمّد حنيف الندوى.
٩- *"طريق الطالب"* على أحمد شرف عالم الندوى.
١٠- *"ساعة مع أهل الحق"* للأستاذ الدكتور يونس نكرامى الندوى.
١١- *"ربانية لارهبانية"* بقلم سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى. كتاب يفرق بين الرهْبانية و الربانية التى اشتدت بينهما خصومات

و نزاعات ، و أحاطت بهما الأوهام و الخرافات ، لسوء التفاهم و سوء الظن أو سوء الفهم و من عدم معرفتهما معرفة شديدة عميقة شخصية، و الكتاب يكشف اللثام عن هذه الحقيقة الناصعة.

١٢- "*ساعة مع أهل القلوب*" بقلم المؤلف نفسه. سجل فيه توجيهات و إرشادات كان يدلي بها الشيخ العالم الرباني محمّد يعقوب المجددي في مجالسه ، و هي تنطوي على الدعوة المخلصة إلى الإصلاح و التزكية و التربية و التوحيد ، و الدين الخالص النقي بأسلوب يتفق و الذوق العصري ، و للكتاب تأثير بالغ في تزكية القلوب و تهذيب النفوس.

١٣- "*ساعة مع أولياء الله*" للأستاذ تقي الدين الندوي المظاهري. سجل فيه توجيهات الشيخ الكبير محمدّ زكريا بن يحيى الكاندهلوي ، التي تبعث الإيمان و اليقين و تفيض بالشوق و الحنين ، و ذلك لما تحلى به الشيخ من مكارم الأخلاق و العادات و اتباع الشريعة الإسلامية و حب النبي صلى الله عليه و سلم حبا تمكن من سويداء قلبه و خالط منه اللحم و الدم.

١٤- "*بين التصوف و الحياة*" بقلم الأستاذ عبدالباري الندوي. شرح فيه التصوف الإسلامي الصحيح ، و حاجة الإنسانية إليه في كل زمان و مكان ، و مركزه في حياة المؤمن ، ورد عنه تأويل الجاهلين و انتحال المبطلين و تحريف الغالين و شكوك المتشككين. نقله إلى العربية الأستاذ محمّد رابع الحسني الندوي ، و أصدرته مكتبة الفتح بدمشق.

١٥- "*جامع المجددين*" بقلم المؤلف نفسه ، عرض فيه تعاليم الشيخ الكبير العالم الرباني الجليل أشرف علي التهانوي الإصلاحية و الدعوية و التربوية

١٦- "*فضائل القرآن*" للمحدث الكبير الشيخ الجليل مولانا محمّد زكريا الكاندهلوي . نقله إلى العربية الأستاذ محمّد واضح رشيد الندوي

و البحث صلة .

المشهد التاملى

بقلم : أشوكا متران

إنّ أول مخطوط للعمل الأدبى التاميلى هو بعنوان " تولكا بيام " أى الكلاسيكية القديمة أو الملحمة القديمة ، و لو أنه ليس عملا كلاسيكيا أو ملحمة قديمة بالمعنى الذى يدل عليـــه المصطلح ، فإنما هــو قاعــدة للحيـــاة و الآداب ، و يمتاز بوضوح و دقة تامة للمصطلح و التعبير ، و لا يكون من الظن العشوائى القول بأن عملا كمثل "تولكا بيام" لو صار ممكنا قبل حوالى ثمانية عشــر أو عشرين قرنا، فكان لابد إذن أن يكون هناك نشاط أدبى ملحوظ قبل ذلك بكثير و أدى إلى تحديد القوالب و الأنواع الأدبية ، فمما لاشك فيه أنه كان هناك تقليد للتعليقات على الأعمال الأدبية و التاميلية رأسا من العهود المبكرة ، و اتسمت بعض التعليقات و كذلك المعلقون بعظمة أو أهمية بقدرما إنطوت عليه الأعمال الأصلية و مبدعوها من الاهتمام ، فهناك تفاصيل دقيقة للتجمعات الأدبية فى الماضى ، و كذلك هناك تفاصيل عن الشعراء المشهورين مثل كامبان و تيرو فالو وار الذين انتجوا أعمالا إبداعية قبل هذه التجمعات فى أماكن عديدة فى تاميل نادو و ذلك قبل أن تعترف التجمعات بأن أعمالهم أدبية. إن مواجهة البحاثة من مجموعات سيفيت و نينار بمجموعات "جين" فى القرن السابع الميلادى أيضا اتسمت بطابع مناقشة و تحديات أدبية و أحيانا أخرى كانت المجابهة مع مثل هذه الهيئات كالنار و مياه الفيضان، ان التنافس بين شاعرين تاميليين هامين و هما اوتاكوتهار و بوجازيندى قد تجلى دائما كانتقاد على أعمال بعضهما البعض أو كتقييم أعمالهما من قبل شخص ثالث كما فعلت أميرة مرة فى مثل هذا الموقف فقبل حوالى أكثر من مئة سنة ، كان هناك رجل تقى كبير يدعى راما لينجام فى مكان يعرف بفادالور قرب شيدامبرام ، و الأدبيات التى قرضها ، سماه "شيرو - أروبتا" أى الأبيات الإلهية أو المقدسة الملهمة.

و قد اعترض عليها باحـث آخر مؤمن بعبادته هو ، إسمه أروجانا فالار فلم تكن أبيات رام لينجام عند أروموجانا فالار إلهية و لا حتى شعرا ، و أوضح ما اعتبره عيبا أو نقصا فى المضمون و التعبير ، و أخيرا أخذ نقدنا فالار على أبيات راما لينجام إلى المحكمة. و تقول قصة شعبية فى التاميلية إن أميرة موهوبة كان من المقرر أن يفوز بها متقدم بطلب الزواج عن طريق قصيدة

رائعة فقط. إلاّ أن المتقدم بطلب الزواج قد أنهى حياته عند ما حللت الأميرة قصيدته و أشارت إلى النقائص فيها.

فكل هذا يدل لا على استمرارية معينة للنشاط الأدبى فى اللغة و إنما على محاولة مستمرة لقرض و تصنيف أعمال إبداعية جيدة و غير جيدة ، و كذلك على المحاولة لشرح و توضيح كلمات الشعراء ، و المحاولة لوضع مقياس لتقييم أعمال أدبية . يحترم راما لينجام من فادلور لدى التاميليين كقديس و صوفى، له قدرات فوق العادة أحرزها عن طريق تجلى الذات الإلهية بوصفه النور الأعلى ، و يقال إنه اختفى فى هواء رفيع و هكذا أنهى حياته العادية ، فهل يجرؤ أحد أن يتحدى مثل هذا الشخص المبجل ؟ و لو فعل فهو بدون شك عميل خبيث. كان أروموجانا فالار نفسه متعبدا لشيفا ، و إن تعبده لشيفا و كذلك ارتباطه المتحمس بالتاميلية قد جعله متشددا نحو راما لينجام من فادالور و حسب أروموجا ذلك جريرة بالنسبة للرب و اللغة. ترجم أروموجانا فالار الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، للبروتستانت. و أعطت له مشاركته الوثيقة به فكرة بأن الأعمال الدينية الغامضة يجب أن تكون سهلة المنال بالنسبة للناس العاديين فى لغة مفهومة. لذا كتب مبادئ القراءة لطلبة اللغة التاميلية و الدين. و له الفضل فى أنه اتخذ أصوات شا ، سا ، ها و جها كجزء من أبجدية اللغة التاميلية.

كان أروموجانا فالار تاميليا من سريلانكا ، و كذلك كان كناكاسابهائى بيلائى الذى قيل عنه أنه كان قليل الخبرة بين جماعة من الباانديت و النقاد ، و كان مساعدا بهيئة البريد و البرق ، و لكنه بالمواد التى استطاع أن يجمعها بموارده ، كتب كتابا مدهشا بالإنجليزية بعنوان "التاميليون قبل ثمانمئة سنة" يتميز هذا الكتاب بطابع بحث عام فى الأدب التاميلى و خلاصة الملاحم.

كان هناك معاصر لكاناكاشا بهائى فى أواخر القرن التاسع عشر ، و هو الدكتور يو. فى. سوامى ناث آئر إنه جمع العديد من النسخ و المتون المفقودة من مصادر مختلفة فى طول سنوات البحث و التمحيص و نشرها فى طبعات أمينة و شاملة ، و لعل تأليفه يعتبر أوضح سيرة ذاتية و أغزر مادة و أكثر متانة متاحة فى اللغة التاميلية و كتب عن أساتذته المبجلين: تياجراجا شترجى و ميناكشى سوندرام. و كذلك كتب عددا من مقالات أدبية ممّا يحصل الإنسان على دراية تامة و صورة واضحة للوضع الأدبى عن أيامه. إنها تعتبر بمثابة عالَم للباحثين ، و يندهش الإنسان على الأفكار النقدية المثيرة فيها.

إن السبل الحديثة لتناول النقد الأدبى ، حتى و لو كان موضوع النقد كلاسيكيا جدا، قد جاءت إلى اللغة التاميلية بعض الشىء بواسطة فى. فى. اس. آئر ، و تى. كى. شيدا مبرا ناث موداليار ، و إس. فيابورى. بيلائى. كان شيدا مبرا ناث موداليار أحد الناقدين البارزين على التحريف فى الكلاسيكية. و لاشك أن الإشارة إليه فى النص و نبذ عدد من الأبيات من الرميانا لكامبان بعد أن ترسخ التحريف بثبات فى النص بل نال، اعترافا دينيا ، يحتاج إلى جرأة كبيرة. كان شيدا مبرا ناث موداليار صاحب شخصية

عظيمة. فكان محبا للجمال سريع العدوى مما نتج عن أن الكثير من مساهماته في النقد التاميلى قد مرت مع اعتراضات بسيطة. و لكنه جلب لنفسه هدم سرور المدققين حيث أنه لما بدأ يؤرخ الأعمال التاميلية العظيمة بأسلوب علمى ، لم يجعله قديما بحيث يكفى لموافقة المتعصبين و قد حدث هذا المناخ من جراء التفاعل بين فيابورى بيلاتى و الهيئات التاميلية حتى نمت أعمال عدائية للحريصين على صفاء اللغة من أجل تطبيق المعيار الحديث للتقييم الأدبى.

ابتداء من ١٩٢٠م ، بدأ المجتمع التاميلى يتعرض للانتقال من نواح عديد، فقد شهد المجتمع سوبرا مانيام بهارتى ، و كذلك الروح الوطنية الجديدة التى غرسها المهاتما غاندى و ذلك مع الإدراك المتنامى للتـراث الوطنـى و اللغـة ، و الاستياء ضد سيادة الأجانب و اللغات الأجنبية ، و الوعى بالمساواة بين الناس و بالتالى ما أسفر عن ردّ الفعل ضد الفئات المستجلبة للمنفعة بالاستغلال ، و كان ذلك وقت أحرز فيه النثر طابعا ممتازا كوسيلة للتعبير الذاتى الابداعى. و مثلما هو الحال فى معظم اللغات الهندية كان أول ممارسى النثر التاميلى ممن تثقفوا ثقافة إنجليزية. فمع صدور دوريات و كتابات رصينة قد أصبح الأدب موضع اهتمام فئات كبيرة من الناس ، إلى جانب الباحثين و الباندين. كان الشعر ميدانا للجهابذة التاميليين و لكن لم تبلغ القصة القصيرة و الرواية إلى هذا المستوى و فى حقيقة الأمر أحس الباحث التاميلى العادى بالكره الشديد لبعض الأنواع النثرية الحديثة من حيث الأدب. إن كبار الشعراء بالتاميلية من فئات الوار و نينار و كامبان و تيرو و فالوار قد كسبوا مرتبة القداسة على مر التاريخ منذ أيام راما لينجام فادا لور و أروموجانا فالار من جافنا حتى أن مجرد معادلتهم مع الكتاب المعاصرين قد يبدو بمثابة انتهاك للحرمات. إن التاميلى التقليدى يستحوذ نفس القواعد و السلوك لاختيار الأنماط الرئيسية و سماتها. فعلى الكتابة التاميلية الجديدة أن تستجلب أنماط الشخصيات من الحياة من حواليها. من ثم إنها لم تستطع أن تنال الثناء مثلما نالت الكلاسيكية.

إسأل تاميليا مثقفا اليوم هل هناك جو نقدى فى الأدب التاميلى ؟ يكون جواب تسعة أشخاص من العشرة " لا " إن مثل هذا الفكرة السائدة مع تواجد الكثير من الأعمال النقدية التى تمت فى الماضى و النشاط الأدبى المستمر إلى الآن و وجود باحثين متحمسين أو إثنين على الأقل فى كل كلية يبحثون فى تاريخ الأدب التاميلى ، لشيء ذو دلالة. إن هناك الكثير من النشاط النقدى فى العالم الأكاديمى ، و لعل اللغة التاميلية هى اللغة الوحيدة التى تفوز بجائزة الأكاديمية الأدبية كل سنة على كتابات أكاديمية فى النقد الأدبى.

إذن لمَ هذا الإحساس بالنقص حول النقد الأدبى ؟

أولا : إن الكثير من الكتابات النقدية التى تم إنتاجها لا تحظى ببصيرة عميقة و لا تنطوى على العناية المطلوبة ، قد يكون لها أسباب اجتماعية أيضا. و كذلك مع كل المشاعر النبيلة المعبرة فى التامليلة التقليدية ، لم تدخل

العمليات الديمقراطية المتتالية للقرن العشرين فى عالم الدراسات التاميلية التقليدية بطريقة ملحوظة. و فى أوائل هذا القرن ، بدأت اللغة التاميلية تكسب ظلال السياسة (فى مثل هذا الجو لم يستطع الاهتمام بالشاعرية السنسكرتية للمقاييس النقدية فى التاميلية بأن يزدهر) فكان هذا تناقضا لما كان الأفضل ، و كانت صورا ذهنية و رموزا للثقافة التاميلية فى العصور الوسطى فى حين كان المجتمع ككل يجنح نحو حقوق الإنسان في الحركة التنويرية للقرن العشرين. و قد أدت أشياء بسيطة جدا مثل محاولة تحديد فترات الكلاسيكيات المختلفة إلى احتجاجات خطيرة من جانب المغالين فى الوطنية فى اللسانيات حتى أنهم سموا الباحثين "بأعداء اللغة التاميلية" و قد حدث ذلك في ظروف كانت أصول النقد الأدبى الحديث تحاول أن تجد موطئ قدم لها و ذلك بسبب مساعي شخص إسمه "كانا سوبرا مانيام".

بدأ كانا سبرامانيام الكتابة فى الثلاثينات من القرن الحالي. و بعد تخرجه فورا أعد نفسه ليكون كاتبا فقط و كتب بالإنجليزية و التاميلية و كما كان طبيعيا فى ذلك الوقت ، كان عدد من السادة الغربيين مصدر إلهامه ، و لكن كل ما كتبه كان هنديا أى تجارب البراهمة التامليين من الطبقة المتوسطة. و لكن كان شكلها مستوحاة من السادة الغربيين. إنه طلب تعيينه بمنصب كاتب المقالة الافتتاحية فى سن مبكرة و هكذا أصبح كاتب المقالات أيضا. و قلما حاد عن أمور دينية و كان أول من خرج بتحليل أدبى لمعاصريه ، و كتب ليظهر ما هى كتابة جيدة و ما هى ليست جيدة بالنسبة للقراء الشرقيين كما علمهم عن كيفية تناول العمل الأدبى و ذلك بكتابته عددا من المقالات عن المؤلفين الغربيين العديدين و أعمالهم إلا أن همه كان منصبا على الكتابة التاميلية. و كذلك كتب عن الكتّات التاميليين أيضا. إنه كان أو ممّن أكد فى الدوائر الأدبية التاميلية بأن العمل الشعبى لا يحتاج بالضرورة إلى أن يكون عملا أدبيا ، فيتطلب إبداء مثل هذا الرأى جرأة كبيرة حيث أن الشخصية التاميلية قد حددت هويته مع وسيلة التخاطب الجماهيرية. (و لا يزال هذا الوضع حتى الآن إلى حد كبير). كتب كانا سوبرا مانيام عددا من مقالات نقدية و كان مرتبطا ببعض معاصريه مثل سى. اس. شيلا ، على سبيل المثال ، و هو مستمر حتى الآن فى الكتابة حول الكتابة التاميلية ، و يقولون إن المقالات الهائلة التى كتبها هو عن الكتابات التاميلية مايزال يحتاج إلى جمعها فى كتاب و انه أحد الناقدين بالتاميلية الذين يراقبون بصفة مستمرة كتابات أيامهم و يعلقون عليها. و هكذا يستطيع الواحد أن يرى فى مقالاته التغييرات التى تمر بها الكتابة التاميلية المثالية و الرومانتيكية فى الأربعينات ، و تجارب الأربعينات ، و القنوط و التخلص من أوهام الستينات و السبعينات. فلولا ، كانا سوبرا مانيام ، لم ينل عدد كبير من الكتاب الجيدين اهتماما و لم يجدوا عناية يحظون بها اليوم ، و هؤلاء الكتاب هم أر. شانمو جاسوند رام (الذى كتب للمجلات قليلا جدا) و مونى وألا جيرى سوامى و نيلا بندمانا بهان. و قد كان كانا سوبرا مانيام أول من انتخب سوندرا راما

سوامى و جايا كانتهان فى بداية مهنتهم. و هكذا ساهم فى نموهم ككبار الكتاب فى الخمسينات. و لم يكتف كانا سوبرا مانيام بمجرد التعليق على الكتاب. بل ترجم بعض أعمالهم إلى الإنجليزية و نقلها إلى أكبر عدد من القراء.

بدأ النقد مع ايدولوجيات يسارية ليترك بصمته فى الخمسينات. و لكن لم يحدث هذا إلا فى ١٩٦٨م عندما نشر البروفسور كى. كيلاسا باتهى من سريلانكا كتابه عن الرواية التاميلية ، و يعتبر كتاب كيلاسا بهاتى عملا هاما حيث أنه كشف قلة غور الكتابات الشعبية و لكنه كان متحزبا عندما بلغ الأمر إلى الكتاب الذين أعلنوا عن أنفسهم بأنهم تقدميون. و قد شهدت الخمسينات و السبعينات قدرا كبيرا من المناقشات بين التقدميين و غير التقدميين. إلاّ أنه كان هناك قدر كبير من المجادلة المغالية أيضا. ثم جرى نشر هذه الانتقادات و المجادلات الأدبية بين رؤساء التحرير و الكتاب. فيستطيع الواحد أن تقول : إن عدد التاميليين المشتغلين فى الكتابة الجدية قد ازداد كما تضاعف قراءة الكتابات الشعبية أضعافا مضاعفة.

بدأ العالم الأكاديمى يوجه عنايته إلى النقد الأدبى حول الكتابات التاميلية الجدية. فى اكتوبر عام ١٩٨٢م نظمت الجامعة التاميلية فى تنجاوور ندوة علمية حول الشعر التاميلى و كان فيها تمثيل عن التقليديين و غير التقليديين و الشعبيين و الجديين. و لكن فى مثل هذه التجمعات قد يجد الواحد أن النجاح الشعبى هو المعيار الأكيد أكثر بكثير بالنسبة للقيمة الأدبية الجوهرية.

فكانت خلال هذه السنوات الخمسين ، مجلات صغيرة تشتمل على النقد الأدبى. و لعل عمل بعض هذه المجلات يدل على أنّ العصر المقبل لن يأخذ وقفة خاصة متطرفة كما كان الحال أيـام رواد هـذه الحركـة. فسـوف يجـرى بحث و تمحيص أعمال كل الكتاب الجديين بخلاف ما كان الحال فى الماضى لما كان يحدث التجاهل عن انتاجاتهم و ابتكاراتهم بكاملها. و لكن مازالت آثار انشغال الذهن فى الموضوعات القديمة توجد إلى حد كبير. و هى بدون شك تعرقل تقييم الأعمال الأدبية برمتها. فقد أصدر الباحث الماركسى ، فانا مالائى من ترينو فيلى دورية مخصصة لموضوعات و أبحاث أدبية و سيكولوجية. و تحت رعايـــة الدوريـــة، عقـدت اجتماعـات و نـدوات فـى فترات حيث كانت تقدم و تناقش فيها أبحاث حول مؤلف معين و أعمالهم ، صحيح إن المناقشة كانت تتجه نحو المضمون و كان عمل الدورية مضنيا و تعتبر الدورية من المصادر الأصيلة الموثوق بها للمزيد من الدراسة و البحث حول العديد من الكتاب.

و لو أعدت قائمة لنقاد الكتابات التاميلية الراهنة فسوف تكون على النحو الآتى : أرونا شلم ، الباحث فى تاريخ الأدب التاميلى و له كتاب فى مجلدات عديدة ، و كانا سوبرا مانيام ، و سى. إس. شيلا ، و ك. كيلا سابانى ، و سيفا تامبى ، و سنيل ناتان. و ثيكا سيفا سانكاوان ، و فاليكان ، و إم. راما لينجام ، و كانا كاسا باتى ، و ناكولان ، و جيسودا سان ، و بالا بالائى سوامى من كوئمبتور ، و إس. كريشنان.

هل دفع نقده الأدبى القراء الجدد إلى قراءة كتابات جديدة ؟ هل صاغ نقده أسلوب أى كاتب أو حوّل كاتبا راهنا إلى أسلوب أحسن ؟ و ماذا كان التفاعل بين بعض النقاد و الكتاب ؟ قد تخلى كانا سوبرا مانيام و سى. إس. شيلا إلى حد كبير عن كتابات إبداعية عندما اتجها إلى النقد الأدبى ، و فى حين نجح بعض النقاد فى خلق طائفة من المعجبين و أدى ذلك إلى معركة عنيفة و تشويه سمعة الشخصيات ، و لكن لم يمتد ذلك إلاّ بضعة عشرات من الناس ، فقد كان كل من كانا سوبرا مانيام و كيلا ساباتى رغم انتمائهما إلى الكتل المتعارضة المتحاربة من النقاد الصارمين للكتاب الشعبيين مثل كالكى و أخيلال . و لكن هؤلاء الكتاب كانوا محبوبين على الدوام و نالوا اعترافا رسميا فى صورة جائزة الأكاديمية الأدبية و جائزة جنابابيت. و من الواضح أن أثر النقد على عامة الناس القراء و على الوعى الإجمالى للشعب التاميلى لا يبدو خطيرا.

يقال إن الشمس لا يمكن أن تشرق على مدراس بدون صحيفة "هندو". هذه هى أهمية الجرائد اليومية. فتنشر "هندو" بعض التعليقات و الاستعراضات للكتب كل يوم الثلاثاء. و بعد قراءة بعض الاعداد المتتالية سوف يأخذ الواحد فكرة بأن معظم الكتب الجديرة بالاهتمام و التى نشرت باللغة التاميلية، هى تراجم للمتون الدينية و القصص التكسبية. حتى أن جريدة "هندو" اضطرت إلى أن تميل نحو الدوائر الشعبية و التجارية لدى تناولها الكتب حتى لا يلومها أحد. فعندما نشرت مجلة شعبية هجوما عنيفا على كتاب لى ، فبعكس ما شعرت به من الحزن ، قد هنأنى عدد كبير من زملائى الأدباء على أن المجلة نشرت صورتى إلى جانب الهجوم علىّ فبلغ الصيت إلى عدد ضخم من القراء فى الدوائر التجارية الشعبية و لو كان ذلك ضوء سلبى، لذا كان ذلك شيئا مرغوبا فيه.

و لى كلمة أخيرة بشأن النقد الأدبى التاميلى و السنسكريتية. و هى أن السنسكريتية، لأسباب معروفة جيدة لدى أشخاص هذه المنطقة، لاتحظى بقبول بين ذوى النفوذ من الباحثين التاميليين، كلغة و أثر أدبى وجهاز للتحكم. ففى حين يمكن اتخاذ مصطلحات سنسكريتية معينة فى المعجم التاميلى لأغراض نقدية. فانه لاينطوى على الصعوبة إلاّ قليلا التأكد بجدوى استخدام مفاهيم التقليد السنسكريتى بالنسبة للوضع الاجتماعى المتغير للتاميل اليوم على نطاق واسع و الذى يجب أن ينبع منه التعبير الإبداعى الأدبى التاميلى. فى الواقع إن التقليد الأدبى التاميلى الذى هو قديم على نحو كاف ، يوجد بأنه لا يلائم بطريقة مرضية مع مقاييس الكتابة التاميلية للقرن العشرين.

تعريب: د/شميم الحسن أمانة الله

اللغة الأورية فى سياق النقد الهندى

بقلم: دى. بى. بتنايك

عند الكلام عن "الوضع النقدى القومى" لابد من التسليم بأن الهند ليست أمة بالمفهوم الغربى. كما يجب الاعتراف بأن الهند منطقة ثقافية منفردة مع حدود جغرافية معينة معترف بها منذ فجر التاريخ. لذا لا يمكن الحديث عن الوضع النقدى القومى فى بلد ذى لغات مختلفة بدون علم بالمنطقة. و إن العلم بالمنطقة بدون انعكاس الوضع القومى سوف يبقى فى غموض.

يتضمن النقد ثلاثة عوامل: المؤلف (شفهيا و كتابيا) و النص و الملتقى (المستمع /القارئ). و فى بلد ذى لغات متعددة حيث يعيّن المستمع بما يستعمله من لغة. فان الوعى باستعمال اللغة و الوعى الوظيفى للغة و اللغات على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للكاتب. ففى غياب مثل هذا الوعى، من المحتم أن تؤلف فى نوع منفرد أو لغة منفردة، مما تصبح ثقيلة لمستخدمى تنوعات أخرى من نفس اللغة أو مستعملى لغات أخرى، إن الألفة مع تقاليد لغات عديدة ليست سمة مميزة للعصرية فقط، بل هى شرط أساسى فى فهم الوضع النقدى القومى أيضا.

فلما انحصرت السنسكرتية و اليونانية و اللاتينية أو لغة السلافيين فى زمرة محدودة من الملّمين بها، فلم يستطع الانتاج الأول فيها أن يروى الظمأ الفنى الجمالى للجماهير، هكذا يصبح النقد غير ذى علاقة بالموضوع بالنسبة لحياة الجماهير حتى و لو ضرب مستويات أعلى للروعة. إن الأدب المكتوب بلغة شعبية فى أعقاب فترة كلاسيكية قد نجح بقدر ما نجح فى التعبير عن العصر، و إن الكاتب أو القارئ الغير المرتبط بالماضى بسبب قلة إدراك التقليد، قدصارمنعزلا عن البيئة بسبب انعزاله لغويا و وجد نفسه منهمكا فى عدم جدوى البحث عن عالم مألوف بطريقة غامضة. فألرجل المعاصر الحساس باللغة و الثقافة فى كل عصر يجب أن يحس بمثل هذا الموقف المتناقض من المراحل المصيرية فى التاريخ.

إن الناقد الذى توارث بقايا التقليد الغربى، قد نشأ فى بيئة تساوت

فيها الغربية مع العصرية و قد اقنع نفسه بأن ماضيه نفسه يمثل التقليد الكلاسيكى الخفى، و يروى الحياة و الأدب مع أدوات نقدية لا تلائم حقيقة تعدد اللغات و الثقافات. فكل كاتب و ناقد ممتعض بالعالم حوله و يريد خلق حقائق بديلة، و لكنه ينتهى فى خلق نسخ مطابقة شاحبة لشظايا الحياة الغربية و الفكرة غير المتماسكة و المتكاملة.

بحسن الحظ، إنه فى وسط مثل هذا الفوضى فى التجارب المتضاربة ، هناك بعض المؤلفين يقفون إلى جانب أصالتهم و تخيلهم المندفع نحو المركز و يستخدمون لغة لها علاقة مباشرة مع القارى و يستعملون عبارات اصطلاحية تتجاوز طبقة معينة و تجذب انتباه المؤلفين و النقاد القوميين و العالميين. فباللغة الأورية يعتبر سيتا كانتا مهاباترا واحد من مثل هذا الشاعر، فانه قد قرض بتركيز على أساطير و شعارات و تخيلات هندية قصائد تكاملت فيها فئات عديدة من المعانى و التجارب و الحقائق فى شعار كامل و استرعى الانتباه إلى معاناة البشرية فى العصور التاريخية بامتداد واحد. و جوبى ناث موهانتى هو واحد من أبرز كتاب القصة، فانه قد حاك نسيجا كبيرا حول قصة حيوان و صور فيها الصيد و الحصاد و الغناء و الرقص و الاحتفالات و الطقوس و الحب و الكره و الألم و الفرح و الأحلام و الحقائق عند القبائل و أهل الريف و الحضر بكفاءة نادرة و إن منورانجان داس و جكناث براساد هما من مؤلفى روايات تمثيلية الذين لم يتناولوا فقط سمات بشرية معقدة أو تطورا معقدا لهذه السمات فى الأوضاع التى كانوا يعيشونها، و إنما كسروا العديد من التقاليد التمثيلية بنجاح و استولوا على فقدان الهوية و فقدان مركز حيوى فى أسلوب الحياة الجديد.

ليس هؤلاء الكتاب منحرفين عن الأدب الأوروى، فعند تبيان حساسية الأدب الأوروى الحديث، يستطيع الواحد أن يذكر اسم بها نوجى راؤ ، و جرو براساد موهانتى، و راما كانتا رات فى الشعر، و سريندر موهانتى و كشورى شاران داس فى القصة، و بيجويا ميشرا و بيسوا جيت داس فى كتابة المسرحية، و لكن كلهم واجهوا جوا خشنا على أيدى النقاد، فيستنكر مايادهار مانسينغ العصريين فى كتابه، تاريخ الأدب الأوروى، فى حين يشيد النقاد المنشقون ذكرهم على عصريتهم، و لكن لم يكن لدى أى واحد منهم فهم واضح عن فكرة العصرية. و إذا كان دور النقد هو ربط السمة الشخصية و الإقليمية و العالمية فى كل من التعبير و المضمون و تحديد مستويات جديدة للتحكم، فلابد للواحد الاعتراف بأن النقد الأوروى لم يبلغ بعد سنّ الرشد.

و إذا كان جواب السؤال ، هل هناك جو نقدى فى البلاد، بالنفى، فله اسباب عديدة: أولا رغم أنه لم تستخدم فكرة من الأفكار السنسكرتية تماما عند البحث عن مؤلف أو نوع أدبى أو فترة أدبية فى أى أدب هندى، فإن معظم المعلمين يعتقدون بأنهم متمسكون بنهج حددته السنسكرتية. و نفس الشيء

يصدق على الانجليزية حيث مازالت أغلبية ساحقة من معلمى الإنجليزية لهم جذور فى النقد الفكتورى، و ثانيا إن الذين لهم اتجاه غربى فينقصهم الجذور فى التقليد و لهم قلة العمق فى كل من الاثنين. و ثالثا، يتجه النقاد فى تطبيق قضايا إقليمية إلى نظرية نفسية تحليلية أو نظرية ماركسية بدون فحص نقدى لملابساتها. و أخيرا و ليس آخرا النقد المتمركز حول الشخصية نفسها، يقنع أتباع النقاد الكبار أنفسهم بأن أسيادهم المختارين قد بدءوا عهودا جديدة و لكن العهود قد انتهى معهم. لذلك لا غرابة فى أنه فى مثل هذه الظروف من الصعب الاحتفاظ بالموضوعية.

و مما يقال إن قعر المهن يكون دائما مكتظا و القمة خالية ، و لكن الصورة المذكورة أعلاه لا تشمل تلك الاستثناءات من الذين حاولوا احداث أخدود فى الأرض الجدباء. فقد كان ناراسيمهيا و كنتاكا و بعض الأساتذة هنا و هناك فى ميدان النقد الانجليزى فى الهند من الذين وضعوا بصمات و خلقوا جوا مناسبا للبحث. و فى كل لغة هندية يمكن تحديد اسم أو اسمين فى هذا الصدد مثل جيه. ام. موهانتى. فانه قد ساهم مساهمة فعالة فى النقد الأورى و ذلك رغم ان العمق ينقصه فى نقده التحليلى الأخير، فمحاولة إنجاز العديد من الأشياء فى وقت واحد هو أحد الأسباب لذلك، و قد ساعدت فى اللغات الهندية ملاحظات تفسيرية مقدمة من قبل العديد من الكتاب الجدد فى بناء جو لمنهج نقدى، إلا أن التعريف بالنفس أو النقد النفسى ليس بديلا للنقد المكون المبنى على فهم التقليد أو عملية التغيير فى المجتمع.

تعريب: د/ شميم الحسن أمانة الله

وكيل المدرسة الصولتية بمكة المكرمة
(الشيخ مسعود رحمت اللّه)

بقلم : احمد صالح حلبي
مكة المكرمة

إننا كمجتمع إسلامى ننعم بنعم اللّه التى لا تحصى نجد أن من الواجب علينا أن نسجل بكل أمانة و إخلاص جهود أولئك النفر ممن ساهموا فى وضع لبنات البناء فى وطننا الغالى.

و إذا تحدثنا عن التعليم فى مكة المكرمة و نشأته فان هناك العديد من الصور التاريخية التى خطّها المعلمون و المربون الأفاضل الذين كانت لهم إسهاماتهم الخيرة فى تنشأة و إعداد الأجيال.

المدرسة الصولتية:

تبرز المدرسة الصولتية و التى أسسها الشيخ محمّد رحمت اللّه عام ١٢٩٢هـ على نفقة السيدة/ صولت النساء كواحدة من أوائل المدارس الأهلية التى تخرج منها العديد ممن تبوأوا الآن مراكز القمة و المسئولية.

و قد تعاقب على إدارة المدرسة العديد من العلماء الأفاضل كان آخرهم الشيخ مسعود رحمت اللّه والذى انتقل إلى رحمة اللّه يوم الأحد السابع و العشرين من شهر شعبان عام ألف و أربعمائة و إثنتا عشرة للهجرة. و بوفاته فقدت المدرسة الصولتية علما بارزاً من أعلامها و أستاذا فاضلاً و مربيا مخلصاً.

الشيخ مسعود رحمت اللّه

المولد و النشأة:

ولد الشيخ مسعود رحمت اللّه يوم الأربعاء الموافق ١٣٥٩/٢/٥ هـ و نشأ فى احضان جده العلامة الشيخ محمّد سعيد فقرأ عليه القرآن الكريم و بعض المبادىء فى الأوردية و الفارسية. و توفي جده و عمره ٨ سنوات، و رحل إلى الجامعة الملية الإسلامية فى دلهى بالهند و انسلك فى جملة تلاميذها.

رحلاته فى طلب العلم:

فى عام ١٣٦٤هـ عاد الشيخ مسعود رحمت الله يرحمه الله إلى مكة المكرمة و التحق بالمدرسة الصولتية و قرأ على والده الشيخ محمّد سليم يرحمه الله آداب اللغة الفارسية و الأوردية نثرا و نظماً.

كما تلقى بالمدرسة الصولتية علومها و مناهجها عن كبار علمائها و أعلامها كالعلامة الشيخ حسن محمّد المشاط و الشيخ عمر حمدان المحرس و الشيخ مختار مخدوم بخارى و الشيخ علي بكر الكنوى و الشيخ زكريا عبدالله بيلا و الشيخ عبدالله نيازى و غيرهم من العلماء الأفاضل يرحمهم الله.

التدريس:

و فى عام ١٣٧٢هـ تخرج الشيخ مسعود رحمت الله يرحمه الله من المدرسة الصولتية بعد أن نال حظا وافرا من العلوم حيث تخرج من القسم العالى للعلوم الدينية و الشرعية فاجلسه والده للتدريس بها فكان يدرس مختلف الكتب، و انتسب إلى الإدارة مع والده المدير فكان معينه و مساعده و وكيله و القائم بالأعمال الإدارية. و تعلم على والده الكثير من جهد و مشقة و صبر و تحمل.

مسئولية الإدارة:

فى عام ١٣٩٧هـ توفى والده الشيخ محمّد سليم رحمت الله فتحمل أعباء الإدارة و تقلّد مسئوليات المدرسة الجسام و بذل حياته و وقته لخدمة المدرسة و أهلها و أساتذتها و طلابها و روادها و أثر براحته و صحته فى سبيل استمرار المدرسة و مواصلة رسالتها ...

و تتصل خدمته للمدرسة منذ عام ١٣٧٣هـ حتى وفاته نحو ٤٠ عاما، منها ١٥ عاما قضاها مديرا للمدرسة.

فجر الأحد الموافق ١٤١٢/٨/٢٧هـ انتقل الشيخ مسعود رحمت الله إلى رحمة الله فترك خلفه قلوبا مأسوفة و عيونا دامعة تدعو له بالرحمة و الغفران و تذكر جهوده و جهاده بالخير و الثناء و تشيد بعطائه حيث لم يعتريه اي مرض فلم يستوعب اهله و محبّوه هول الفاجعة و عظم المصيبة ... و صلي عليه بالمسجد الحرام بعد صلاة العصر من نفس اليوم و شيع إلى المعلا فى موكب مهيب و حافل بعدد كبير من محبيه و تلاميذه و معاصريه و أساتذة المدرسة و طلابها و الأعيان و العلماء و ووري جثمانه الثرى بين نفوس حزينة رحمه الله رحمة واسعة و غفر له.

كلمات الرثاء

و بوفاة الشيخ مسعود رحمت الله يقف تلامذته و أبنائه الأوفياء يدونون كلمات الرثاء على وفاته و قلوبهم يعتصرها الحزن و الأسى ... و قد عبر الأستاذ منصور حسين عطار بكلمته فقال:

عالما فقدناه ... تمضى الحياة بحلوها و مرها ، و يقضى البارى عز وجل فينا قضاءه و قدره تحقيقا لقوله عز وجل (كل نفس ذائقة الموت) ففى يوم الأحد ١٤١٢/٨/٢٧هـ فقدت أم القرى عالما جليلا هو مدير المدرسة الصولتية الشيخ مسعود سليم رحمت الله فحمدت الله سبحانه وتعالى و استرجعت و تذكرت جهاده الصامت الدؤوب و التى بدأها جده الجليل العالم الداعية خليل الرحمن العثمانى يرحمه الله مؤسس المدرسة الصولتية بمكة المكرمة و بمساعدة السيدة صولت النساء.

و لقد كان يرحمه الله خير خلف لخير سلف فهو من أسرة عرفت بالتقوى و بخدمة الإسلام و نشر العلم و الذود عن حياضه و خدمة طلبته من خلال المدرسة الصولتية العريقة التى حظيت و تحظى بتعضيد ولاة الأمر فى هذه البلاد الطاهرة منذ عهد الملك عبدالعزيز يرحمه الله و حتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز الذى شمل المدرسة الصولتية برعايته و عنايته منذ كان وزيرا للمعارف.

مواقف و ذكريات:

لقد كانت هناك مواقف و ذكريات كثيرة مع الشيخ مسعود رحمت الله يرحمه الله حيث كان دائم الحديث عن المدرسة الصولتية و كانت شغله الشاغل و تفرغ لها و وقف نفسه على خدمتها طوال حياته و من أهم تلك المواقف اننى تحدثت معه إثر عودتى من إحدى رحلاتى إلى أرض الكنانة عن انتشار عدد كبير من طبعات مختلفة و متعددة من كتاب اظهار الحق و استفسرت منه عن هذه الطبعات و الإذن بطبعها فأفاد يرحمه الله أنه يعرف ذلك و إن هذه الطبعات جميعها المصرية و اللبنانية و المغربية طبعت و تطبع دون إذن أو تصريح و إنه والمدرسة الصولتية و آل رحمت الله لم يفكروا فى مقاضاة هؤلاء لسبب يرونه أنه يهمهم انتشار الكتاب بالعالم العربى و الإسلامى و الغربى لتعميم الفائدة راجين من المولى عز وجل المثوبة و الأجر لجدهم المؤلف و لهم إن شاء الله.

كما أنه ذكر لى أن سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية و الإفتاء و الدعوة و الإرشاد اسعدهم بتكليفه لسعادة الدكتور عبدالله الزيد للحضور و أخذ موافقة المدرسة الصولتية على طبع

و نشر كتاب اظهار الحق فسعدت المدرسة الصولتية بذلك و ظهر الكتاب فى ثلاثة مجلدات بشكل وثوب قشيبين إضافة إلى المكتبة الإسلاميــة ما يفيد الإســلام و المسلمين.

و قام كذلك معالى السيد محمّد حسن كتبى وزير الحج و الأوقاف سابقا و المربى الفاضل السيد محسن باروم بطلب طبع الكتاب باللغة الإنجليزية و تم ذلك مع الشيخ مسعود يرحمه الله. كما أن مركز الاعلام الإسلامى ببرمنجهام ببريطانيا قام بطبع الكتاب.

رحم الله الشيخ مسعود رحمت الله رحمة واسعة و أسكنه فسيح جناته و أدام الله توفيقه على المدرسة الصولتية منارة العلم بمكة المكرمة خلال أكثر من قرن ، و نرجو الله أن يوفق ابنه الأخ ماجد و اخوته للسير بالمدرسة و تحقيق رسالتها على خير ما يرجو لها كل المخلصين لتظل المدرسة الصولتية تؤدى رسالة العلم و الدعوة إلى الله و ليكون تاريخها التعليمى موصولا. و عزائى لأبنــاء الفقيد و لأسرته الفاضلة و لأسرة المدرسة إنا لله و إنا إليه راجعون.

الكلمات عاجزة:

و مهما قيل عن الشيخ مسعود رحمت الله يرحمه الله تظل الكلمات عاجزة عن إيفائه حقه من التقدير و الثناء نظير ما قدمه من جهد متواصل لخدمة العلم و طلابه.

المربى و الداعية:

و قد عبر الأستاذ مصطفى حسين عطار بكلمة قال فيها:

إن فقد العلماء خسارة ... و فقيدنا فضيلة الشيخ مسعود رحمت الله يغشاه الله بواسع رحمته و مغفرته و رضوانه ، و الذى فقدته مكة المكرّمة فجاة فجر يوم الأحد ١٤١٢/٨/٢٧هـ نتيجة أزمة قلبية حادة ... و فقده ـ رحمه الله ـ العمل و التربية و العمل الإسلامى و الدعوة إلى الله ... فقد فتح عينيه منذ نعومة أظافره على حلقات الدرس و مجالس العلماء و فصول التحصيل ، إذ ان والده فضيلة الشيخ محمّد سليم رحمت الله الكريم و على يديه أكمله تلاوة ، و حفظا و تجويدا و هو لم يتجاوز العاشرة من عمره ... و بعدها بدأ الدراسة النظامية فى المدرسة حتى تخرج فى القسم العالي من هذه المدرسة.

و كان يرحمه الله يحضر أكثر حلقات و محاورات و لقــاءات القضــاة و العلماء من معلمى المدرســة و قضاة مكــة المكرمــة و زوار المدرسة الذين لا ينقطعون سواء من الحجاج أو العمار أم من داخل البلاد ، فتكونت لديه

حصيلة علمية غزيرة ، كما أثرت في سلوكه و أسلوب عمله الوظيفي و الدعوى طيلة حياته الحافلة بالجد و العمل ، فخدم أهل العلم و طلاب المعرفة و الباحثين من أساتذة الدراسات العليا فقدم لهم ما ينشدونه و يرد على تساؤلاتهم التي تتعلق بأبحاثهم و مؤلفاتهم ، بل أنه يرحمه الله كما يذكر كثير من الباحثين و المحققين لكتب جده من كتابه الشهير (اظهار الحق) و (المناظرة الكبرى) مع القس الإنجليزي فندر ، انهم إن احتاجوا معلومات إضافية وجدوها لدى الشيخ الجليل الذي ورث امجاد المدرسة الصولتية عني به عناية فائقة فقد أشرف على تحفيظه القرآن.

و قد دون الشيخ عبدالله الأنصاري مدير عام الشئون الدينية بدولة قطر في طبعة اظهار الحق القطرية ثناء عطرا على الفقيد و مقدمته الضافية التي شملت السيرة الذاتية لجده العلامة الشيخ محمّد رحمت الله خليل العثماني و تاريخ المدرسة الصولتية و علمائها و خريجيها و أعمالهم ، و الذين تلقوا العلم في حلقات جده بالحرم المكي الشريف.

صلته موصولة:

و يعتبر الشيخ مسعود رحمت الله يرحمه الله من القليلين الذين يختزنون في ذاكرتهم تواريخ حياة العلماء من خريجي المدرسة الصولتية على كثرة أعدادهم وتعدد بلدانهم و مراكز عملهم سواء داخل المملكة أم خارجها ، و صلته موصولة بالأحياء منهم و بأبناء المتوفين منهم ، كما كان يعمل والده و أجداده بتقديم كل صنوف الدعم و كل ألوان المساعدة التي تلزمهم لتيسير عملهم الدعوى أو التدريسي أو البحثي.

أذكر انني شخصيا حينما اعددت بحثا عن الملك عبدالعزيز و التعليم و اشتركت به في المؤتمر العالمي لتاريخ الملك عبدالعزيز كنت موضحا فيه مدى اهتمامه يرحمه الله بقضايا التعليم و برجال التعليم فتفضل الفقيد الشيخ مسعود باعطائي وصفا كاملا لزيارة الملك عبدالعزيز للمدرسة الصولتية مما سمعه من والده أو نقل له عن جده ، و كانت قصة رائعة إذ وصف قدوم الملك عبدالعزيز و استعداد المدرسة لهذه الزيارة الكريمة بدعوة كبار العلماء و القضاة في مكة المكرمة من خريجيها و من كبار مسئوولي العاصمة المقدسة ... احتفاء بهذه المناسبة التاريخية و للمشاركة في الفرحة الكبرى بهذا التشجيع و التقدير للعلم و رجاله.

رحم الله أخي مسعود:

وتتواصل كلمات الرثاء على فقيد العلم و يدون السيدمحسن أحمد باروم كلماته المعبرة عن حزنه قائلا:

"فوجئت كغيرى من الإخــوان بنبأ وفاة أخى الأستاذ مسعــود سليم رحمت الله الذى حملته إلى مكالمة هاتفية من مكة المكرمة إثر تعرضه لسكتة قلبية استلت من كيانه روح الحياة فأخذت من دنيانا أخــا فاضــلا و صديقــا كريما و مربيا مخلصا.

و منذ تولى الشيخ مسعود إدارة المدرسة العتيدة بعد وفاة والده الشيخ سليم رحمت الله و هو يبذل من جهده القوى و فكره الدينى و خبرته التربوية فى سبيل تنشئة أجيال الطلاب من أبناء العالم الإسلامى الذين تمتلئ بهم فصول المدرسة ينهلون من مناهل العلوم العربية الإسلامية بنهم زائد و إقبال شديد كى يعودوا إلى بلادهم فى قارتى آسيا و إفريقيا بعد ما حصلوا على ضروب الزاد العلمى مما يجعلهم روادا لمسيرة التربية و التعليم و الدعوة فى بلادهم ... فكان ذلك إيذانا بسريان روح قوية متوثبة فى جنبات هذه المدرسة العتيدة التى حملت مشعل العلم و المعرفة فى البلد الحرام أكثر من قرن من الزمن فكانت بحق منارة شامخة من منارات العلم و التربية و الثقافة ضمت نخبة العلماء و المربيين المسلمين الذين أفنوا حياتهم فى تدريس علوم الديـن و اللغة العربية فى فصول المدرسة و حلقات التدريس فى المسجد الحرام بـل و فى بيوتهم أيضا ...

و لقد كان أخى مسعود يقود المسيرة التربوية فى مدرسته بإخلاص شديد و فكر تربوى مثير و عزم قوى على أن تواصل هذه المدرسة رسالتها التربوية و الثقافية الجليلة على الوجه المرضى حتى تظل كما أراد الله لها أن تكون معقلا من معاقل التربية و العلم فى البلد الامين.

و لست أنسى حماس اخى مسعود فى التعريف بكتاب جده الشيخ رحمت الله الكيرانوى المعروف بـ "اظهار الحق" و الذى حاز شهرة فائقة و ذيوعا قويا فى مختلف أوساط الدعوة الإسلامية فى العالم كله.

و بفضل ذلك التعاون العلمى البناء استطاع العالم الباحث الدكتور محمّد عبدالعزيز ملكاوى أن يخرج طبعة محققة و منقحة و مزيدة قامت بنشرها مشكورة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية و الإفتاء و الدعـوة و الإرشاد بالرياض و جعلتها وقفا فى خدمة أهـداف نشـر الدعوة الإسلاميــة و إثبات بطلان عقيدة التثليث و ألوهية المسيح.

و لقد شاء الله لى أن أتعاون مع الفقيد قبل وفاته على طبع و نشر الترجمة الإنجليزية لكتاب " اظهار الحق " فى ثلاثة أجزاء بدعم مادى سخى من أحد رجال الخير و العمل الإسلامي فى بلادنا العزيزة لتسد ثغرة مفتوحة أمام رواد الدعوة الإسلامية فى البلدان الأجنبية الناطقة باللغة الإنجليزية ...

و كان من أهداف هذا التعاون العلمى المشترك هو اختصار هذا الكتاب من ضروب الحشو و التكرار و الحواشى التى لا تلزم القارىء المثقف العـادى ؛ و تم الاتفاق مع العالم البحاثة الدكتور محمّد عبدالعزيز الملكاوى نفسه للقيام بهذه المهمة فوعد بانجازها فى خلال عام على أن تتم ترجمة هذا الملخص الشامل إلى لغــات أوربيــة و شرقية مختلفــة للرد على افتــراءات المنصــرين

و المستشرقين التي يطلقونها ضد عقيدة الإسلام و شريعته و حضارته.
و هكذا طوى الموت صفحة حياة انسان مؤمن جاهد في سبيل إعلاء كلمة الإسلام دين الحق و الدفاع عن مبادئه و قيمه الروحية الخالدة بكل ما يملك من وسائل القوة المادية و المعنوية حتى لبّى نداء ربّه راضيا مرضياً عنه.

عجبتُ لطَود للمَعالي و زاخر ... منَ الجُود أنّى صيَّر اللّحد مضجعا
فلم يلتَحدْ جَهماً وحيداً إنّما ... حَوى لحدُه طودَ المكارمِ أجمعا
و لم يختَرمْهُ الموت فَرداً و إنّما ... أصابَ به بَحر النّدى و النّدى معا

كان فضيلة الشيخ مسعود شميم رحمت الله من العلماء الأفذاذ بالحديث و التفسير و الفقه و الأدب، أصله من كيرانا (الهند) و يتّصل نسبه بالشيخ جلال الدين العثماني الملقب بكبير الأولياء (ف ٧٦٥هـ) و المقبور في بلدة باني بت، تعلم الشيخ مسعود رحمه الله في دلهي و مكة المكرمة و تخرج من المدرسة الصولتية ثم بدأ حياته مدرساً و تولّى ادارة المدرسة الصولتية بعد وفاة أبيه إلى أن توفي ، فضلا إلى ما بذلَ جهوده في ترقية المدرسة و توسيعها و إستبقاء مكانتها الرفيعة العلمية كان قد اعتنى بنشر آثار الشيخ رحمت الله الكيرانوي (ف ١٣٠٨هـ/١٨٩١م) في اللغات العالمية، و كان مولعاً في الآداب العربية و الفارسية و الأردية و كان يحفظ ألوف من أبيات هذه اللغات عن ظهر قلب.
و كان رحمه الله عفيفاً زاهداً سخياً جواداً دمث الخلق ظريفاً مرحاً طروباً كثُر محبّوه في أقطار العالم الاسلامي لأنه كان يخدم الحجّاج في الموسم حسبةً لله و لاسيّما ضيوف الرحمن الذين يردون من الهند. لقد أصابت نعية وفاته المؤلمة كلَّ من لقيه في مكة المكرمة ، و لو مرةً واحدة.
إني تشرفت بزيارة الحرمين الشريفين زادهما الله شرفاً و كرامة في جماد الثانية ١٤١٢هـ (ديسمبر ١٩٩١م) لمدة أسبوعين و قضيتُ أسبوعا كاملاً في مكة المكرمة فشاهدت منه الحفاوة البالغة و اكرام الضيوف و المحبّة لن أنساها مادُمت حيّا.
دفن في مقابر جنّة المعلاة بمكة المكرمة بجوار الشيخ امدادالله المهاجر المكّي (ف ١٣١٧هـ/١٨٩٩م) و الشيخ رحمت الله الكيرانوي (ف ١٣٠٨هـ/١٩٩١م) رحمهم الله رحمة واسعة.
إنّي أرخت وفاته بـ: "*مولانا مسعود شميم رحمت الله*" (١٤١٢هـ)
و : "*اللّهم إرحمه و أدخله في عبادك الصّلحين*" (١٤١٢هـ)

نثار أحمد الفاروقي (رئيس التحرير)

المحدّث الأعظم حبيب الرحمن الأعظمي
مآثره و آثاره

بقلم : سراج الحسن
الباحث بقسم اللغة العربية و آدابها
بجامعة دلهي ، الهند.

["أشهد بأنه إن كان فى العالم كله أحد يستحق أن يلقب بـ "المحدث الأعظم" فهو المولانا حبيب الرحمن الأعظمي".]

الدكتور عبدالحليم محمود، شيخ الأزهر الأسبق

["المولانا حبيب الرحمن الأعظمي ـ كما رأيت من عمله ـ من أعظم العلماء فى هذا العصر."]

المحقق المصرى الكبير محمود محمّد شاكر

فى الحادى عشر من شهر رمضان المبارك عام ١٤١٢هـ الموافق السادس عشر من مارس عام ١٩٩٢م انتقل العالم المحقق و المحدث الكبير و الفقيه الجيد ـ عن ٩٥ عاما ـ إلى رحمة الله بعد أن عاش من أجل العلم و المعرفة و وصل إلى القمة و خاصة فى مجال تحقيق كتب الأحاديث النادرة و إخراجها إلى النور و وضع تاليفات كثيرة فى مختلف المواضيع الهامة بالعربية و الأردية تاركا وراءه آثارا تشهد له بالفضل و الألمعية، آثارا اعترف له بها علماء الهند و البلاد العربية فعكفوا عليها يدرسونها و يفيدون منها. كما قدرت الهند جهوده فتوجتها بمنحه جائزة الدولة التقديرية فى عام ١٩٨٥م اعترافا بخدماته الجليلة فى مجال الحديث و العلوم الإسلامية الأخرى.

كان هذا العالم الكبير هو أبوالمآثر المولانا حبيب الرحمن بن الشيخ

المولانا محمّد صابر عناية الله الأعظمي الذى اتّصف بالشخصية الوقورة و الذكاء الخارق و الإيمان القوى بدينه و مذهبه و بكل مقومات الإنسان العبقرى من عقل و موهبة و عمل و جهد و اعتداد بالنفس و حافظة قوية و شغف بتحصيل العلم و الانتاج العلمى العزيز.

نشأته و ثقافته:

ولد المولانا حبيب الرحمن الأعظمى سنة ١٣١٩هـ / ١٩٠١م فى مدينة مئو، بولاية يوبى بشمال الهند. و نشأ و ترعرع فى بيت تشمّ منه رائحة الدين زكية و يغلب عليه الجد و التحفظ حيث أن والده أيضا كان عالما من علماء الهند. فكان هذا البيت مدرسته الأولى بل أهم مدرسة تكونت فيها عناصر خلقه و روحه.

فقد روى لى زائر له:

"زرته مرة فى بيته (فى مئو، البلدة الصناعيةالتى معظم سكانها من المسلمين و هم من طبقة العاملين فى معامل النسيج) و هو جالس على سريره ، عليه المهابة و الوقار و هو نحيف و عجوز، قليل الكلام ، أسمر اللون مسنون اللحية و حوله بعض تلامذته جالسون فى هدوء و صمت، و لمست هناك بساطة فى العيش و عدم الاحتفاء بزينة الحياة الدنيا."

أتم دراسته الابتدائية و مبادئ العربية و التجويد و الخط على أساتذة فى بلدته. ثم تلمذ على كبار العلماء فى عصره مثل الشيخ عبدالغفار بن عبدالله و هو من أجلّ تلامذة العارف بالله الفقيه المحدث الشيخ رشيد أحمد الكنكوهى و تعلم منه اللغة العربية و آدابها و المنطق و الفقه و الحديث و كان متفوقا فى دراسته. ثم التحق بدارالعلوم ديوبند. فأخذ العلم على العلامة أنورشاه الكشميرى و المولانا سيّد أصغر حسين و المفتى عزيزالرحمن الديوبندى، و المولانا شبير أحمد العثمانى و المولانا كريم بخش السنبلى فى الحديث، و التفسير، و المنطق، و الأدب، و الهيئة.

و فى عام ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م لما فرغ من تحصيل العلوم الإسلامية و حصل على الإجازة من كبار الشيوخ و العلماء فى الحديث و التفسير انتدب لتدريس الأدب العربى و الفقه الإسلامى بمدرسة دارالعلوم بمدينة مئو، ثم انتقل إلى جامعة مظهرالعلوم بمدينة بنارس كرئيس لهيئة التدريس فيها. و فى عام ١٩٤٩هـ تولى التدريس بمدرسة مفتاح العلوم، مئو و قام بتطوير هذه المدرسة حتى أنشأها نشأة جديدة و جعلها جامعة للعلوم الإسلامية و ذلك إلى جانب

توليه إدارتها و قد درّس فيها صحيح البخارى و سنن الترمذى لمدة عشرين عاما. و أيضا قام بالتدريس لمدة سنة بندوة العلماء فى لكناؤ أيضا يدرس فيها البخارى الشريف.

رحلاتـــــه:

زار المولانا البلاد العربية مرات، إلا أن هدفه من هذه الرحلات لم يكن النزهة أو السياحة و إنما كانت للبحث و التحقيق و للإشراف على طباعة ما حققه من المصنف لعبد الرزاق، كما سافر إلى الحجاز للحج مرات و زار الكويت و دمشق و صيدا و بعلبك ثم قام برحلة أخرى إلى حلب و زار اللاذقية و بلاد الشام و زار البحرين. و قد حوّل كل هذه الرحـلات إلى حركـة فكريـة و علمية ينتفع و ينفع بها. فقد استجازه كثير من أهل العلم و أسندوا الحديث عنده و اجتمع فى هذه الرحلات بعلماء الإسلام من أمثال الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق و الشيخ عبدالعزيز بن باز و الشيخ حسن المشاط و الشيخ محمّد حسنين المخلوف و العلامة خيرالدين الزركلى و الشيخ مصطفى الزرقاء ، و مفتى الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد (الذى استقبله فى دارالإفتاء استقبالا حارا و أهداه تأليفه "الشهيد فى الإسلام".

العمل العمومى:

لم يكن المولانا فى معزل عن العمل العمومى تماما فقد اختاره حزب المؤتمر الهندى لترشيحه لعضوية المجلس التشريعى بولاية اترابراديش لخمس سنوات (١٣٦٩هـ / ١٩٥٢م) ، كما كان عضوا لمجلس الشورى بدارالعلوم فى ديوبند (١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م) إضافة إلى عضويته بجمعية علماء الهند و الهيئات العلمية الأخرى فى العالم.

مآثره و آثاره العلمية:

كان المولانا ـ كما قلنا ـ عالما عبقريا و فقيها فذا و محدثا كبيرا فقد ترك وراءه مؤلفات كثيرة طبعت و نشرت فى الهند و البلاد العربية و من سوءحظنا لم يطبع بعضها حتى الآن.

إننا نستطيع أن نقسم آثاره العلمية إلى أربعة أقسام:

أولا: مقالاته العلمية التى نشرت فى المجلات الأدبية و العلمية الكبرى باللغة الأردية مثل مجلة "المعارف" الصادرة فى مدينة أعظم كره ، و مجلة

"البرهان" الصادرة في دلهي و مجلة "دارالعلوم" في ديوبند، و مجلة "العدل" في كوجرانوالا، و مجلة "الفرقان" في بريلي و لكناؤ ، و مجلة "البلاغ" في بومبائي و مجلة "النجم" في لكناؤ.

ثانيا: الكتب التي حققها المولانا و قام بالتعليق عليها هي:

١ - المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، للحافظ بن حجر العسقلاني.

ظفر المولانا بهذا الكتاب بعد جهد جهيد من تركيا و ذلك في صورة نسختين لمخطوطين واحدة منها مجردة و الثانية مسندة. و قد جعل النسخة المجردة أساسا لتحقيقه. فحققه و رتبه و علق عليه مع تصحيح ألفاظ غير الصحيحة في المجردة باستعانة النسخة المسندة. و تعويض ألفاظ غير الصحيحة في النسختين بألفاظ ذي معنى صحيح و وضع اللفظ الخاطئ في

> *حضرة الأخ العلامة الكبير المحقق الأستاذ حبيب الرحمن الأعظمي:*
>
> *جاءني كتابكم الأول النفيس. أما استدراكاتكم فكلها نفيسة عالية ، و لا اقول هذا مجاملة ... و أشكركم خالص الشكر على هذه العناية الجيدة ، و أرجو أن تزيدوني من إشاراتكم و إرشاداتكم خدمة للسنة النبوية المطهرة و انتم كما رأيت من عملكم. من أعظم العلماء بها في هذا العصر. فالحمد لله على توفيقكم ... ثم أكرّر الرجاء أن لا تحرموني من آرائكم النيرة و تحقيقاتكم النفيسة. حفظكم اللّه و بارك فيكم.*
>
> *كتبه المخلص: أحمد محمّد شاكر*

الحاشية. إنه اختار اللفظ الصحيح حينا بنفسه و حينا آخر باستعانة الكتب المكتوبة في هذا الموضوع. و أحيانا ترك اللفظ في النسخة الأساسية كما هو و لكنه كتب في الحاشية لفظا كان أكثر صحة في رأيه.

و قد تحدث المولانا في هذا الصدد عن الرواة و علق عليهم. و توجد مثل هذه التعليقات بوفرة كثيرة. و في بداية الكتاب مقدمة فيها تذكرة عن الحافظ ابن حجر أحمد بن علي العسقلانيّ (المتوفى سنة ٨٥٢ هـ) ، مؤلف هذا الكتاب و مخطوطاته و كذلك في الكتاب صور شمسية لبعض الصفحات من المخطوطتين. و يشمل هذا الكتاب على أربعة مجلدات في أحجام كبيرة. و في نهاية كل مجلد تحقيق و تعليق على محتويات الكتاب مع ذكر أسماء المراجع التي استعان بها.

و موضوع هذا الكتاب هو استعراض لأحاديث ثمانية مسانيد كاملة هى: مسانيد الطياسى و الحميدى و ابن أبى عمر و مسدد و ابن منيع و ابن أبى شيبة و عبد بن حميد و ابن أبى أسامة. و أضاف إليه من مسند أبى يعلىٰ و مسند اسحاق بن راهون ، فاستخراج الأحاديث الزوائد فيها على ما فى الكتب الستة و مسند أحمد ثم رتب تلك الأحاديث على ترتيب الأبواب الفقهية خلافا لترتيب المسانيد المستمدة فيها. و هى بذلك تساعد فى استنباط الأحكام الفقهية إلى حد كبير.

يعد هذا الكتاب أغنى ما الف من كتب السنة ثروة و أغزرها فائدة لاحتوائه على زوائد تلك المسانيد الثمانية تاما و على شىء كثير من زوائد مسندين آخرين ثم لجمعه فى مكان واحد على الترتيب الفقهى ما كان مبدّدا فى ثمانية أمكنة بل عشرة من غير مراعاة لهذا الترتيب و لاشتماله فى كثير من المواضيع على بيان درجة الحديث من صحة و ضعف و اتصال و انقطاع.

يهم هذا الكتاب كثيرا ذوى العناية بعلم الحديث و ذوى الاهتمام بالعلوم الشرعية و هواة الثقافة الدينية. فهو مرجع يعين أولائك و هؤلاء على تخريج الأحاديث و نقدها. و هو فوق ذلك محاولة لجمع السنة النبوية المطهرة على طريقة تكون سبيلا لصنع موسوعة حديثة.

قامت بنشر هذا الكتاب وزارة الأوقاف و الشئون الإسلامية فى الكويت فى سنة ١٣٩٠هـ.

٢- المسند للحميدى:

يعد الحميد من شيوخ البخارى و كتابه المسند يعتبر كتابا ذا قيمة كبيرة فى المسانيد. و قد طبعه الشيخ الأعظمى بعد التحقيق و التعليق عليه مع مقدمة جامعة مفيدة. و طبع هذا الكتاب فى حيدرآباد فى عام ١٣٨٣هـ / ١٩٥٢م.

٣- كتاب الزهد و الرقائق لعبدالله بن المبارك :

يعتبر كتاب الزهد و الرقائق لعبد الله بن مبارك المكتوب فى القرن الثانى الهجرى من أقدم و أهم الكتب التى ألفت فى الزهد و الرقائق. كان هذا الكتاب غير مطبوع و لم تكن توجد النسخ الخطية لها إلا فى مكتبات معدودة فى العالم. فقد نشره المولانا بعد تصحيحه و التحقيق فيه و التعليق عليه و موازنته بالنسخ المختلفة. و فى بدايته مقدمة علمية جامعة. و فى الكتاب تذكرة عن مؤلف الكتاب و مآثره و كذلك فيه تراجم لرواته. و قد تحدث المولانا فى الحواشى و التعليقات عن الاختلاف فى النسخ، و تحقيق

الرجال و الأسناد و شرح الكلمات العربية الصعبة.

و الكتاب كله يشتمل على ١١ جزءا و ١٦٢٧ حديثا و فى نهاية الكتاب إضافة لزيادات النسخ الأخرى. إن هذا الكتاب تحفة نادرة لذوى العناية بعلم الحديث و العلوم الإسلامية. و قد طبع من مطبعة علمى ماليكاؤن فى عام ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

٤- مسند أحمد:

نشر هذا الكتاب المحقق المصرى الشهير الشيخ أحمد محمّد شاكر مع تعليقات له. فعقب عليه المولانا الأعظمى و صحح النسخ الخطية و زين الحواشى بتعليقاته العلمية الدقيقة فنالت قبولا و استحسانا لدى معظم المحققين و علماء الحديث و اعترفوا له بفضله و تبحّره فى هذا الفنّ.

٥- المصنف لعبدالرزاق:

المصنف لعبدالرزاق من نوادر كتب الحديث و موسوعة فريدة للأحاديث لم تكن توجد لها نسخة مطبوعة. فقام الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى بالبحث عن نسخة خطية لهذا الكتاب حتى ظفر بها. فقام بالتحقيق فيه و التعليق عليه و نشره فى ١١ مجلدا و طبع من مطابع دارالقلم فى بيروت فى عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٦- **سنن سعيد بن منصور** "فى مجلدين" طبع فى ماليكاؤن ، فى الهند فى عام ١٣٨٨هـ

٧- **انتقاء الترغيب و الترهيب لابن حجر**، طبع فى ماليكاؤن، الهند عام ١٣٨٠هـ

٨- **تلخيص الخواتم جامع الأصول، للمحدث محمّد طاهر الفتنى**، طبع فى ماليكاؤن ، الهند.

٩- **كشف الأستاذ عن زوائد مسند البزار للهيثمى** "أربع مجلدات" نشرتها مؤسسة الرسالة، دمشق، عام ١٣٩٩هـ

١٠- **كتاب الثقات لابن شاهين** " معد " للطبع

١١- **المصنف لابن أبى شيبة** ، صدر منه إلى الجزء الخامس، نشرتها المكتبة الإمدادية بمكة المكرمة.

١٢- **المصنف لابن ابى شعبه** (لم يكن مقدرا لهذا الكتاب أن يرى النور حيث أن الأجل وافاه فحال دون ذلك).

ثالثا: الكتاب المؤلفة له بالعربية:

١- الحاوى لرجال الطحاوى (هذا عمل مبتكر فانه لم يسبقه أحد إلى التعريف برجال مشكل الآثار).
٢- الاتحافات السنية بذكرى محدثي الحنفية (لم يطبع).

رابعا: الكتب الأردية للمؤلف فى ردّ المعارضين:

١- نصرة الحديث، فى الاحتجاج بالحديث و الرد على منكرى الحديث
٢- أعيان الحجاج (فى مجلدين)
٣- ركعات التراويح
٤- ركعات التراويح مذيل برد أنوار مصابيح
٥- الشارع الحقيقى
٦- أحكام النذر لأولياء اللّه
٧- الأعلام المرفوعة فى حكم الطلقات المجموعة
٨- الأزهار المربوعة فى ردّ الآثار المتبوعة
٩- تحقيق أهل الحديث
١٠- دفع المجادلة عن آية المباهلة
١١- إرشاد الثقلين بجواب اتحاد الفريقين
١٢- التنقيد السديد على التفسير الجديد
١٣- ابطال عزا دارى
١٤- تعزية دارى
١٥- دليل الحجاج (رهبر حجاج)
١٦- ردّ تحقيق الكلام (لم يطبع)
١٧- أهل دل كى دل آويز باتيں
١٨- رجال البخارى (ألفه بناء على طلب العلامة السيد سليمان الندوى)
١٩- دست كار أهل شرف

يؤكد المولانا فى هذا الكتاب بأن المعيار الحقيقى لمكسب شرعى و شريف بموجب أحكام الهى هو الخوف من اللّه و التمسك بصراط رسمه سبحانه و تعالى. و يدحض المولانا معايير الشرف التى وضعها الغرب.

المولانا شاعرا:

و مما لا يفوتنا أن نذكر أن المولانا حبيب الرحمن الأعظمى كما كان

متضلعا من العلوم الدينية كذلك كان له إلمام تام و رغبة شديدة بالأشعار الأردية و العربية. فأمامنا رسالة جاءتنا (عن طريق الدكتور رشيد الوحيدى) من نجله المولانا رشيد أحمد الأعظمى يخبرنا فيها عن أشعاره التى قرضها باللغة العربية و كذلك بالأردية.

يقول:

[يا اقبال، يا شاعر الملة ، يا محبوب الأمة ، يا فخر الجماعة
و يا مادح خاتم الرسل، صلى الله عليه و سلم
لقد كتبت نعتا صادقا، رفيع الشأن لطيفا جدا
نعت النبى صلى الله عليه و سلم
إن هذا النغم يحمس الروح و يقوى الإيمان،
لذا أصبح كل واحد يردد ، صلى الله عليه و سلم
فبارك الله فيك بهذه الموهبة و أدعو لك أن تستظل بفئ الله
و تنعم بنعمه و يرضى بك هادئ العالم صلى الله عليه و سلم]

و له ايضا ابيات فى مدح الرسول صلى الله عليه و سلم فيقول:

[إنه رمز لوجود العالم، و نظام لدوران الكواكب
و الله انه مظهر تام لروعة جمال الله
أذكروا معركة البدر ، و اقرءوا واقعة فتح مكة
فتلك كانت مظهرا لغضب الله، و هذه كانت رحمة لنبيه
إن مكانة الانبياء كلهم أعلى و أرفع من جميع المخلوقات
و لكنهم كلهم مثل الهلال فى السماء ، أما نبينا فهو مثل البدر التام
إن أحاديثه المطهرة غذاء للروح و طمأنينة للنفوس
و كلامه شفاء لمرضى القلوب
إن كل ما أتانى من علم و معرفة فهو ليس إلاّ بفضله
فكل ما أقوله و أكتبه ، هو من فيضه الذى لا ينقطع]

قصة قصيرة :

الجـــــــدة

بقلم : جوغيندرا بال

بدا أن بيت الجدة كان تقادم عليه الزمن دون سنها بأكثر من مائة سنة. و إنها دائما أظهرت له الإحترام عن طريق تغطية وجهها بثوب الرأس. كانت هى وحدها تسكن فى هذا البيت القديم. كان توفى زوجها قبل أعصر. و إن الموت زار بيتها للمرة الثانية، و ذلك بدون طرق الباب تنذيرا لها، ليأخذ معه "دهانى رام"، إبنها الوحيد. و بعد ذلك بعامين إنتقلت زوجة دهانى رام إلى جوار ربّها تاركة للجدة إبنها الوحيد "رام تشاند". عاش رام تشاند مع الجدة حتى قبل سنتين. و عندما أعطته الحكومة بيتا حكوميا فانه تحرك إلى ذلك البيت مع عائلته. و لكن الجدة لم تعتمد هذا التحرك و رفضت بتاتا أن تذهب معه إلى البيت الحكومى الجديد. و هى كانت مصرة بأنها لن تتخلى عن البيت.

" تعالى معنا ...... ! " ، قال لها حفيدها. "و سنؤجر هذا البيت".

" هذا إقتراح جيد فى الحقيقة " ، قالت الجدة بشعور من الإستياء مادة ظهرها فى نفس الوقت للإستراحة. " متى ما يصبح المسن ضعيفا، سيكون بالإمكان حتى فى ذلك الوقت ابتزاز المزيد من المال منه. لا ... ، أبدا ... ، إننى لن أخرج من هذا البيت. ربما تؤجرنى أيضا ، إن أمكن لك ذلك ."

شمل بيت الجدة تسع غرف. من بينها لثلاث من الغرف لم توجد السقوف. كان أن يبقى السقف الثالث لوقت و لكن فى ليلة أراد سارق أن يدخل هذا البيت و ثقب الجدار. بينما كان السارق يعمل ثقبا فى الجدار، أظهر البيت إحتجاجه على ذلك بإطلاق السعال و تضرع أمـام السارق حتـى لا ينفذ فكرته الكريهة. و متى رفض السارق الإمتثال للطلب فان الجدار خاطر بحياته و انهدم على السارق و تبعه السقف. كان السارق جرح شديدا لكنه تمكن من الخروج من تحت الحطام.

سكنت الجدة فى هذا البيت لوحدها و لكنها مع مضى الوقت كانت

أصبحت جزءا لا ينفك لهذا البيت إلى حد أنها إذا ذهبت إلى غرفة أخرى، وجدت نفسها موجودة هناك للترحيب بها.

" كيف أنت ...... أيها الجدة ......؟ " تقول جدة للجدة الأخرى. " يبدو أنك مشغولة بتنظيف و قطع الخضار".

"إننى تعبت كثيرا من هذا الباذنجان. فانه يستمر فى التملس من يدى".

"نعم ...... نعم. أعطينيه. إنك أسن من أن تعملى".

"شوفى ، لا تمدى يدك إلى هذه الجهة. أ لا ترين أننى أمسك الباذنجان فى اليد الأخرى ؟ ".

"أيها الجدة ......! إن عينى الآن قد أصبحتا ضعيفتى البصر".

"هل ذلك يهم أيها الجدة ، إن لم يعد بإمكانك أن تبصرى شيئا. فانك لن تحيى طويلا الآن".

"يا ...... إننى لا أود أن أفقد بصارتى لغاية ذلك الوقت".

متى دخلت الجدتان فى المطبخ مع الخضار فانهما وجدتا هناك جدة ثالثة تحاول إشعال النار.

"تحوّلى قليلا إلى جانب ، أيها الجدة. أعطينى أنبوب النفخ."

لا ... ، لم تكن تسكن فى هذا البيت جدة واحدة فقط. لم يكن بإمكان جدة واحدة أن تنفذ كل الأعمال المنزلية. على الرغم من وجود جدات كثيرات فانها كانت تتعب كثيرا و تخرج إلى الفناء. و هنا وجدت أنها كانت مستلقية من قبل على السرير محاولة أن تنام. فإن هذا المنظر كان يثير غضبها.

"أيها الجدة ، هل أصبحت مسنة لحد أن يتعبك النوم أيضا ...؟ قومى من الفراش ، قومى بسرعة. هذه نوبتى للإستراحة على السرير."

ثم إن الجدة تشعر بالعطف للجدة المستلقية على السرير مسكينة ! إنها بالتأكيد تستحق جرعة من الراحة بعد عمل النهار الشاق.

إن الجدة المستلقية على الفراش قامت بصورة مفاجئة لتجلس على حافة السرير و تنحنى لكبس رجليها المتعبتين.

"هل أنت متعبة أيها الجدة ...؟ دعينى أكبس رجليك."

كانت الجدة تناهز تسعين. كانت خرساء للغاية و لإسماعها كان على المتحدث إليها أن يضع فمه على أذنها و يتحدث بأعلى صوته. عندئذ فقط كانت تسمع. و لكن فى بعض الأحيان عندما لم تتمكن من النوم فى الليل و بقيت ساهرة حتى عميق الليل فكانت الجدة ترى قمرية ـــ و كانت هذه القمرية نفس القمرية فى جميع الأوقات ـــ آتية إلى بيتها فى ضوء القمر لتجلس على شجرة المنجة المتواجدة فى فناء بيتها. و يا للعجب ! فكان بإمكان الجدة أن تسمع بوضوح صوت هذه القمرية الرقيق. كانت موسيقى صوت القمرية تتسلل إلى أعماق روحها مثل قطرات زيت الخردل الساخن فى

أذنيها (فى الأيام القديمة كان الهنود عند الإحساس بالألم فى الأذن، يضعون زيت الخردل الساخن فى الأذن موقنين بأن ذلك يزيل الألم و الزيت الساخن فى نفس الوقت كان يخلق إحساسا بالراحة ـ المترجم.)

" هه .... ! فقد جئت تزورينني ! "

وقفت الجدة على كل باب البيت القديم كان يطل على الفناء.

" من ....؟ أ لستِ كيسارى ....؟ "

" إن لم تكونى أنتِ فمن الآخر ....؟ "

كانت كيسارى صديقة الجدة منذ وقت مبكر فى أيام صباها. كانت الجدة فى تلك الأيام سمراء اللون غضة البدن و موسيقية الصوت مثل القمرية.

" يا كيسارى .... ! إن الله تعالى خلقك بنتا فى لحظة عدم تفكير" كانت الجدة تقول. أقول لك إنك فى يوم ستنبت لك الأجنحة و ستطيرين بعيدا مثل قمرية."

"و ستذهبين للسكن فى بيت زوجك" ، كانت كيسارى تكمل جملتها ضاحكة مقهقهة."

و فعلاً طارت كيسارى إلى الجنات السبع قبل زواج الجدة بكثير. فى أوائل أيام زواجها السارة كانت الجدة نسيت تماما عن كيسارى. و لكن فى الأيام الأخيرة متى شعرت الجدة بدنوها إلى وقتها الأخير تنزلت عليها كيسارى من فوق و جلست على شجرة المنجة فى فناء بيت الجدة. و متى سمعت الجدة صوتها المتناغم تذكرت فجأة أيام كانت فى ريعان شبابها و ركضت ذاكرتها إلى قرية والدها.

بمناسبات الزواج كانت كيسارى ترسم شوارب طويلة على وجهها بالمسحوق الأسود بينما ربطت ثوب رأسها على الرأس على غرار العمامة. و هكذا كانت تلعب دور عريس الجدة. إنها كانت تركض من هنا إلى هناك و تجرى مقهقهة بين البنات المجتمعات للإحتفال بالمناسبة و هى فى نفس الوقت كانت تضايق الجدة بإجراء المحاولة لرفع لثامها. كانت الجدة تتمتع كثيرا بهذه اللعبة و لكنها فى نفس الوقت أظهرت عدم الرضاء و حاولت الأفلات من يديها. و لكن جاء الوقت المناسب و رفع لثامها والد دهانى رام و فى ذلك الوقت إحمرّ وجهها من الخجل. إنها حاولت إخفاء وجهها بيديها و لكنها فى نفس الوقت شعرت بالموسيقى ترنّ أوتارها فى عميق قلبها مثل الأسورة الزجاجية فى يديها.

كو ...... كو ......

أحست الجدة كأنها كانت موجودة فى غرفتها و فى فناء البيت فى وقت واحد ، حيث تحولت إلى أزهار المنجة فى ضوء القمر التى طرقتها كيسارى بمنقارها.

" أيها الجدة ، إلى أين تسرعين ......؟ "

" أيها الجدة .... ! أخرجي إليّ."

بدا أن الجدات بدأن يجتمعن خارج كل باب مادات أعناقهن إلى الأمام مستطلعات. و في الخارج كان تكدّس ضباب الشتاء حتى أنه ابتلع فناء بيت الجدة. أرهفت الجدة أذنيها حتى تسمعَ جيداً رفرفة أجنحة كيسارى بين أوراق شجـرة المنجـــة و لكنها على الرغم من كل محاولاتها سمعت فقط مأمأة قطة.

ابتسمت الجدة و نظرت إلى نفسها ، كل جدة رأت نفسها في شكلها.

" إنني بلا ريب قد أصبحت مجنونـة ! هـذا قلبـى الذى يغنـى و لكنى أحاول أن استكشف مصدر صوت الغناء .... ! "

كانت عشرينات من العصافير بنت أعشاشها في غرفة الجدة. حلّقت هذه العصافير حولها في كل غرفة متزقزقة و مشكّلة مظلّـة كثيفة فوق رأسها.

" أغربن بوجوهكن يا بنات البراهمة ، طرن بعيدا ! إننى لم أقدم هنا لسماع غناءكن. إننـى أبحث عن قطعـة الحجـر لسحـق التوابـل. فأين أخفيتنّها ......؟

كانت العصافير تنزل مرفرفة أجنحتها تحت السقف و تنحط على قطعة حجر موضوعة في ناحية من الغرفة لا تدركها الأبصار فى أول وهلة ، متصارعة بعضها البعض للجلوس على قطعة الحجر الصغيرة.

" نعم ... نعم . إننى قد رأيتها الآن. و لكن كيف يمكن لى الآن أن استعملها و أنتن جالسات عليها. يجب أن تتخلين عنها !.

و لكن العصافير تبقى جالسة عليها غير عابئة بما قالته الجدة.

" لا ... لا ، أيها البنات ! ما عندى وقت لأضيعه في الدردشة غير المفيدة." تشو ... تشو ... تشو !

" أيها الجدة ، لا يمكن لك أن تطرديهن هكذا" ، قالت لها جدة أخرى.

" ينبغى أن تجلسى إليهن و أن تتحدثى إليهن لوقت قليل"

" أيها الجدة ، إنهن ثرثارات. إنهن لن تدعنك إذا جلست إليهن متحدثة."

و أخيرا استسلمت الجدة أمام هذه العصافير. "كوشاليا ، كيف صغيرك الآن ...؟ "

فظهر صغير كوشاليا متوثبا أمام أمها قبل أن تجيب بشىء فى الموضوع.

" شوفى ، أيها الجدة ، إننى طيب و بخير. و توثب الصغير من ناحية الغرفة إلى الناحية الأخرى و طار قليلا ليؤكد من بيانه."

" لا تتكبـر كثيـرا .... ! و أخذت الجـدة تبحث عن حافـة ثوب رأسها و تتفقد عن العقدة فيها حيث كانت ربطت بعضا من حبوب الأرز للعصافير.

"كانت العقدة هنا" قالت الجدة ، هل انحلت العقدة و سقط الأرز ؟ "

" و لكنك دائما تربطين العقدة بشدة و احتياط " ، قالت الجدة المرافقة لها. " كيف يمكن أن تخطيء هذه المرة ؟ "

" أى نعم ...... ، هى هنا ...... ! لقد وجدتها."

أخذت الجدة حفنة الأرز من حافة ثوب رأسها و قبل نثرها الأرز على الأرض، هاجمت عليها العصافير حتى من الغرف المجاورة للمقاسمة فى الغنيمة. عاينت الجدة بتساهل سرعتها و فروغ صبرها و شعرت كأن روحا جديدة كانت نفخت فى أجسامها.

" شوفى أيها الجدة ، إنها أصبحت الآن منهمكـــة للغايـــة لا تلوى شمـــالا و لا يمينا. إنها أصبحت مشغولة عن الدنيا كلها و ما فيها. و لكن يجب أن نذهب الآن. هناك عمل كثير فى إنتظارنا."

كانت الجدة تعرف أن أفعى سكن فى غرفة خلفية للبيت القديم. كان يسكن هذا الأفعى فى نفس المكان منذ أن وردت إلى هذا البيت لأول مرة قبل طويل. و فى نفس اليوم الثانى لمجيئها فى محمل الزواج كانت رأت هذا الأفعى قرب جحره حيث استلقى متكورا فى نوم عميق. فأطلقت صرخة عالية عند رؤيتها الأفعى. فهرولت إليها فى جهة الصرخـــة والـــدة زوجهـــا. و عندما رأت الأفعى الملك أسرعت المرأة العجوز إلى حجب وجهها بثوب الرأس بينما قالت للعروس الجديدة أن تغطى وجهها مثلها.

" أيها العروس ...... ! إنه جد زوجك ، همست الحماة فى أذن الجدة. إنه قد خرج من جحره ليباركك. ينبغى لك أن تقدمى له احتراماتك."

لدى سماعه الصرخة المطلقة من العروس الجديدة كان استيقظ الأفعى الملك الرحوم. و رفع رأسه كأنه يقول للعروس الجديدة:

"بارك الله فيك و أنعم عليك كل الخيرات"

فقالت الحماة ، يا بنت ، من المؤكد أن حماك الأكبر يباركك و يتمنى لك أن تغتسلى باللبن و أن يولد لك عدد كبير من الأولاد و الأحفاد.

منذ ذلك الوقت كانت الجدة بدأت تضع بانتظام كوب لبن قرب جحر الأفعى قبل ذهابها للنوم بالليل. و كانت تجد هذا الكوب خاليا فى الصباح.

"أظن أن قطة تشرب هذا اللبن ، كان زوجها دهانى رام يقول لها بلهجة المزاح و لكن بالنسبة للجدة فكانت هذه العملية جدية للغاية و إنها لم تكترث بمزاح زوجها. و حتى تكفر عن خطأه على الدين ، دعت الجدة خمسة نفر من البراهمة و قدمت لهم الطعام الجيد.

ما اذا وجد لها اللبن أو لا فانها لم تكترث بذلك و لكنها أخذت عليها أن تضع كوب لبن كل ليل لجد العائلة الأكبر. إنها لم تتجاوز عن هذه العادة ألبتة.

"و لكن فى مساء يوم كنت فقدت صوابى على وجه التقريب بسبب

ارتفاع الحمى" ، روت الجدة هذه الحكاية لمرات لا يمكن عدادها. "لم أكن قادرة على جلب كوب اللبن لكبير العائلة." فحوالى نصف الليل عندما عدت لصوابى شعرت بأن الحمى كانت انخفضت و كنت أحس كأن جسمى كان أصبح خفيفا للغاية. ما كنت شعرت قبلا بهذه الخفة و التحسن. و إذ ذاك تذكرت فجأة بأننى نسيت أن أضع كوب اللبن لجد زوجى. فقمت فوراً و تركت سريرى لأرى أن كبير العائلة كان واقفا قرب السرير برأسه مرفوعا إلى فوق. فأسرعت إلى حجب وجهى و طويت يدى لتقديم احترامى له. بدا أنه كان هناك منذ طويل يمرضنى حتى أعود إلى صحتى و لم أكن أعرف ذلك. و عنده فقط تحول إلى الوراء و تسلل إلى حجره و هرولت إلى المطبخ لجلب اللبن له.

لم تكن الجدة تسكن لوحدها و لكنها فى بعض الأحيان كانت تتمرغ فى وحل التعاطف الذاتى و تتجول فى المتاهة حيث ضاع لها عدد كبير من أقرباءها الأعزاء. إنهم دخلوها و لم يعودوا. خلال المطر متى بدأت السقوف القديمة تتقطر فكانت الجدة عندئذ تندب قسمتها و تقول :

"هل ترين هذا أيها الجدة ؟ كانت هذه السقوف عمادى الوحيد. و لكنها أيضا بدأت الآن تدمع و الآن قد أصبحت هى ضعيفة للغاية."

"تشجعى ، أيها الجدة" ، تقول لها جدة أخرى مسلية إياها. "نحن لا نزال موجودات هنا و نحن لا نزال قويات."

"تقلن إنكن قويات حتى الآن. فى بعض الأحيان أود أن أضمكن إلى صدرى بقوة و أن أمزق لحمى حتى أموت. هل هذه هى الحياة ...؟."

"و لكن لا تستطيع أن نفعل شيئا فى هذا الشأن، أيها الجدة. ينبغى أن يحيى الإنسان حتى آخر نفسه."

"نعم ، و لذلك لا أزال أبقى متنفسة."

كان ذلك يوما ماطرا خلال موسم الأمطار. و مثل السماء كان دماغ الجدة مغطّى بالغيوم السوداء المليئة بالأفكار عن أقرباءها الأعزاء. و فى مثل هذه المناسبات بينما كانت الجدة مثقلة بالأفكار عن الأقرباء فان الجدة نادت بقية الجدات إلى غرفتها حيث جلسن سويا مبرقعات و عندئذ بدأن يندبن مدمعات إحياء لذكرى الأيام القديمة السارة التى ضاعت فى الماضى و التى لن تعود أبداً.

اليوم ، كانت الجدة تشعر بأن قدميها لا تساعدانها فمشت كأنها تجر نفسها و ذهبت بصعوبة إلى داخل البيت و تبعتها الجدات الأخرى. و على غرار الجدة جلسن على الأرض و وضعن الخمار على وجوههن فإنهن صفقن أياديهن فى وقت واحد و أخذن يغنين نادبات :

أمى .... يا أمى .... !

مع من أقاسم أسرارى .... !

أمى العزيزة .... تعالى .... !
شوفى ..... أن بنتك العزيزة تحن لرؤيتك ..... !
أمى العزيزة .... أملئى فمى بالقشدة .... !
أملئى فمى بالقشدة قبل أن يرانا الآخرون .... !
أمى العزيزة .... قفى و لا تتشاجرى مع زوجات إخوتى و تعالى إلىّ تسلينى .... !
و تمسحين دموعى .... !
رفعت الجدة الخمار قليلا عن وجهها قليلا و استرقت النظر إلى بقية الجدات. " يا ..... أنتن قاسيات القلوب ..... ! " ، قالت الجدة على سبيل الشكوى." ينبغى أن تندبن بصوت أعلى" ، و سحبت ثوب الرأس إلى الأمام لحجب وجهها و هذه العملية كشفت عن شعرها الفضى من الخلف على قفاها:
يا أبتى .... !
يا أبتى العزيز .... !
يا أبتى الحزين .... !
على الرغم من عرجك حملتنى إلى كل نواحى القرية كنت تحبنى من عميق قلبك ، يا كبير القرية .... !
على الرغم أنك أطعمت بنتك الزبدة و أشربتها اللبن و لكنك حولتها إلى الأجانب لسمعتك الزائفة.
لماذا فعلته يا رئيس الهيئة الريفية .... !
لماذا .... !
كان ذلك كبيرك فيك و ليس والدى الذى فعل ذلك يا أبتى العزيز ..... !
كانت عينا الجدة تتقطر مثل سقوف بيتها :
و بعد ذهاب بنتك من يضع الآن الزيت فى شعرك و يديك رأسك ؟
بعد عودتهم من العمل فان إخوتى يذهبون مباشرة إلى زوجاتهم.
و الأم من المؤكد ، تكون مشغولة بالأعمال المنزلية. أعرف أنه لا يوجد هناك من يكبس رجليك المتعبة من العمل الشاق.
من المؤكد، أنك ارتكبت خطأ بترسيلك إياى إلى الأجانب.
يا أبتى العزيز !
فقامت الجدة ضاربة صدرها و لكنها فى نفس الوقت كانت تشعر بالضعف فى رجليها و لذا فانها جلست مدة أخرى.
يا والد دهانى رام .... !
نسيت أن تأخذ معك مظلتك
ذهبت بدونها فى الأمطار الغزيرة
تلاشيت فى عالم مجهول للأبد بدون رجعة

يا حماتي .... لقد دعوت إبنك إليك بدون إخبارى
إنك سرقتها منى بدون معرفتى
كان عليك أن تطلبينى قبله
لكنت غسلت قدميك
و أجلستك فى مكان عال
إن زوجات الأبناء فقط يساعدن الحموات و ليس الأبناء
يا ابنى العزيز .... يا ابنى الوحيد .... !
يا ضرغامى .... !

و متى فكرت الجدة فى دهانى رام ، بدأ السقف يتقطر أكثر و أخذت القطرات تنزل على رأسها :

إبنى .... شجاع مثل أسد ، إبنى الوحيد .... !

لم يكن بإمكان أى شخص أن يقول من أين جاءت إليها القوة. أخذت الجدة تضرب صدرها بشدة بينما فشلت الجدات الأخـر أن يضاهينها فتوقفن و بدأن يشاهدنها باستغراب و بعد قليل استسلمن أمام التعب.

" قفى أيها الجدة .... قفى .... ! "
" يا إبنى .... أود إطعامك اليوم الأرز المطبوخ مع اللبن."
" توقفى .... أيها الجدة .... !
" تعال يا إبنى .... تعال .... ! "

مدت الجدة ذراعيها و وضعتها على صدرها فوق قلبها. سكتت لوقت قليل محاولة استعادة النفس.

دهانيا .... أين أنت ....؟
" أيها الجدة .... أ لن تتوقفى عن ذلك ....؟
" صه .... ! أ لا ترين أن الطفل قد نام الآن .... ! "

سكتت الجدة. و توقف السقف عن التقطر. فجلست الجدة و بقية الجدات ساكتات لطويل. ثم ألقت الجدة نظرتها إلى الخارج و رأت أن العالم كله كان يتحمم فى الشمس اللامعة فرفعت اللثام عن وجهها. بعد عودتها من أقربائها الأعزاء ، شعرت الجدة بالراحة و أضاء وجهها بالسرور.

"يا رب .... !" قامت الجدة بسرعة. "كيف نسيت ذلك ؟ " لقد تركت قدر الخضار على النار. لابد أن الخضار احترق و تحول إلى الفحم.

هرولت الجدة إلى الباب بنشاط جعل بقية الجـدات يستغربن من ذلك و فغرن أفواههن. كان عليها المرور فى الفناء حتى تصل المطبخ. بينما كانت تنزل بسرعة رهيبة السلم المؤدى إلى الفناء ، أخطأت الجدة درجة و سقطت على رأسها فى الفناء. و متى كانت تتنفس نفسها الأخير فانها لم تنس أن الخضار لابد أن احترق بسبب إهمالها و تحول إلى الفحم.

كان رام تشاند ، حفيد الجدة ، يسكن على بعد ستة أميال من القرية ،

فى منزل حكومى و لذا كان من الصعب له أن يعرف أحوال الجدة و ما حصل بها. إن الكلبة جيوان و التى كانت تزور الجدة فى مساء كل يوم بانتظام لتأخذ قطعة الخبز المعتادة ، كانت هى الأولى التى عرفت الكارثة. و حيث أن مصراعى الباب الخارجى لم يلتقيا جيدا لذا فان الكلبة جيوان كانت تدخل الفناء من الثقب الكائن تحت الباب. و فى ذلك المساء أيضا ، تسللت الكلبة إلى الداخل من هذا الثقب و عندما رأت الجدة مستلقية على الأرض فانها أطلقت نبحة. و بعد ذلك اقتربت باحتراس شديد من الجدة و دارت حولها دورتين بينما لم تفهم الذى كان حصل للجدة. ثم كأنها فهمت شيئا و خرجت بسرعة من الفناء و هرولت إلى بيت رام تشاند.

كان رام تشاند يعرف جيوان جيدا. إنه لم يفهم الذى كانت الكلبة تحاول أن تقوله له بنباحها المستمـر. و لكنـه حمّن أن شيئـا غيـر عادى كان حدث و تبعها إلى بيته القديم. ربما توفيت الجدة. فبدأ يشعر بالندامة أنه لم يكن معها فى آخر وقتها. إنه كان ذهب إلى منزله الحكومى الجديد ليسكن فيه خلاف إرادتها و كان الفراق مريرا.

" أيها الجدة .... إن لم تريدى أن تأتين معنا فلا أستطيع أن أرغمك على ذلك."

" و لكن لماذا لا تبقى معى هنا ....؟ "

" لا يا جدتى .... ذلك لا يمكن. و لكن يمكن لك أن تبقين هنا لوحدك."

كان خادم رام تشاند يوصّل إلى الجدة مؤنها مرة فى الشهر. و لكن الطعام فقط لا يكفى إنسانا و حتى أن حيوانا لا يعيش على الطعام فقط. إنه يحن إلى الرفاقة.

كان رام تشاند يجرى متلهفا للأنفاس. كان دماغه مثقلا باحساس من الندامة. والهفاه .... ! إذا توفيت قبل وصوله البيت .... ! لو أنها توفيت و لم يكن واحد منا بجانبها فاننا لسنا شيئا غير تماثيل من الحجر.

إن الباب القديم المتآكل سقط على الأرض على دفعة خفيفة و سقط معه على الأرض حفيد الجدة. إن كبير العائلة رفع رأسه ليباركه و يرحب به بهسهسة و بعد ذلك اختفى بسرعـــة. حاول رام تشانـــد حتى يبقى متنبها و حاضر الدماغ و لكنه متى دخل الفناء بعد عبوره درجات السلم المترجرجة ، تحول إلى قطعة حجر.

كانت الجدة مستلقية على الأرض بدون حراك و اكتنف جثتها الهامدة عدد من أشكالها الآخر فى ضوء البدر.

تعريب : سيد أحسان الرحمن

تقرير:

ندوة علمية حول الامام الفراهى (رحـ)

اعداد: أبونافع الفلاحى

باحث فى قسم اللغة العربية

جامعة دلهى - دلهي - الهند

نظمت جمعية أبناء مدرسة الاصلاح القدماء ندوة علمية تاريخية عن شخصية و مآثر المفسر الهندي العظيم العلامة حميد الدين الفراهي المعروف بعبدالحميد الفراهي (١٢٨٠هـ - ١٣٤٩هـ) بمدرسة الاصلاح سراى مير اعظم جراه اترابراديش الهند فى فترة مابين ٨ - ١٠ تشرين الأول (اكتوبر) الماضي و كان هذا العالم العبقري ، ابن تيمية العصر فى ألفاظ العالم المعروف السيد سليمان الندوى، قد وُلد فى "نريها" قرية صغيرة بمديرية خصبة علمية تسمى اعظم جراه، و كان ابن خال العالم المؤرخ الاسلامى شبلى النعماني و هو كان أكبر منه زهاء ٦ سنوات، فتعلم اللغتين العربية و الفارسية و العلوم الدينية كعادة أهل زمانه على أيدى العلامة شبلى النعمانى و فيض الحسن السهارنفورى و عبد الحى الفرنجى محلى و غيرهم من العلماء و لم يبلغ من عمره ٢٠ عاما حتى تمّهر فى اللغة العربية و العلوم الدينية و أما الآداب الأجنبية فقد حذق فيها حذاقة كاملة خلال تعلمه فى جامعة عليجراه، و بذلك أصبح عالما للعلوم القديمة و الحديثة.

و منذ شرخ شبابه جعل الامام القرآن الكريم محورا لتدبره و تفكره و اعتاد نفسه للغوص فى معانيه و أساليبه و ألفاظه و وقف نفسه لمطالعة القرآن الكريم حتى نضج فيه و أخرج لأهل الدنيا دررا لامعة بصورة تصانيفه القرآنية، و الميزة التى جعلته فريدا بين المفسرين الكرام هى أنه قدّم فلسفة نظام القرآن على أسس متينة ثابتة من خلال كثرة مطالعة القرآن الكريم و السنن و الأحاديث النبوية و العلوم الدينية و الأجنبية، و ان لم يكن له السبق فى ايجاد هذا الفن اى فن نظم القرآن فانه أعطى له شكلا نهائيا، و جاء بمؤلفات قيمة مثل تفسير نظام القرآن، و دلائل النظام و أساليب القرآن و التكميل فى أصول التاويل.

و هنا جدير بالذكر ان الفراهي كان مؤسسا فكريا لمدرسة معروفة تسمى مدرسة الاصلاح الواقعة ببلدة سراى مير اعظم جراه و جعلها مركزا لفكره الخاص و معهدا لتفسير القرآن الكريم و هذه المدرسة من أكبر مدارس الهند، التى أنجبت جهابذة العلماء و الدعاة و القادة الاسلاميين مثل العلامة أمين أحسن الاصلاحى ، و الأستاذ أختر أحسن الاصلاحى و الأستاذ صدرالدين الاصلاحى و الأستاذ أبوالليث الاصلاحى، و كان رحمه الله من مؤسسى دارالمصنفين بمدينة اعظم جراه التى تعد من أهم المؤسسات الاسلامية للبحث و النشر في الهند و كان الفراهى أول رئيس لهذه المؤسسة.

و لإبراز فكره و ترويج آرائه القيمة عقدت هذه الندوة التى شارك فيها أبرز علماء الهند و الباكستان و على رأسهم حضرة العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوى افتتح جلستها البدائية بخطابه المؤقر ، أشاد فيه بمآثره التفسيرية و أظهر له قدرا و احتراما كبيرا و وصف بأنه امام المفسرين لهذا القرن و استعرض منهجه التفسيرى و عدّ العديد من ميزاته التفسيرية منها تمهيد الطريق لفهم القرآن، و الربط فيما بين الآيات و البحث فى أقسام القرآن. و ذكر الأستاذ الندوى من بين مصنفاته كتاب "*جمهرة البلاغة*" خاصة و هذا الكتاب قد تعذّر حصوله لأصحاب العلم لطبعه مرة واحدة و هى قبل سنة الأربعين من هذا القرن. و قال ان هذا الكتاب يجب أن يعم بين علماء العرب أيضا و أبدى أسفه الشديد على عدم تعارف شخصيته و مآثره فى العالم العربى.

و من الشخصيات العلمية التى شاركت فى هذه الندوة، هم الشيخ نجم الدين الاصلاحى من بقايا تلامذة الفراهى و الأستاذ صدرالدين الاصلاحى صاحب كثير من المؤلفات الدينية الهامة و الأستاذ بدرالدين الاصلاحى مدير مكتبة الدائرة الحميدية و البروفسور عبيد الله الفراهى حفيد الامام الفراهى و أستاذ الأدب العربى فى جامعة لكناؤ.

و المقالات التى عرضت فى هذه الندوة أكثرها فى اللغة الأردية و نذكر هنا عناوين بعض أهم المقالات كما تلى:

١ـ "علم التفسير و العلامة الفراهى" للسيد جلال الدين أنصر العمرى نائب أمير الجماعة الاسلامية الهندية و مدير دائرة التحقيق و التصنيف بعليجراه.

٢ـ "الامام الفراهى من خلال خمس ميزاته التفسيرية" للأستاذ عنايت الله السبحانى (جامعة الفلاح بلريا غنج اعظم جراه).

٣ـ "الدراسة المقارنة لتفسير سورة الاخلاص للفراهى" للأستاذ غياث الدين الندوى، كلية الطب لكناؤ.

٤ـ "نظرية نظم القرآن و الفراهي" للأستاذ محمد عارف العمرى ،

دار المصنفين شبلى اكاديمى اعظم جراه.

٥ - "أصول التفسير عند الفراهى" للحافظ أشهد رفيق الندوى (عليجراه).

٦- "منهج الفكر الفراهى فى ضوء كتابيه جمهرة البلاغة و أساليب القرآن" للأستاذ نعيم الدين الاصلاحى جامعة الفلاح بلريا غنج اعظم جراه.

٧ - "الروايات التفسيرية و العلامة الفراهي" للدكتور رضى الاسلام الندوى كلية الطب جامعة عليجراه الاسلامية.

٨ - "علم الحديث و العلامة الفراهى" للدكتور ألطاف أحمد الاعظمى جامعة همدرد دلهى الجديدة.

٩ - "آراء الفراهي فى التفسير بالرأى و التفسير بالمأثور" للأستاذ نسيم أحمد الاصلاحى مدرسة الاصلاح سراى مير اعظم جراه.

١٠- "حواشي الفراهى على الرسائل لإبن تيمية" للأستاذ ضياءالدين الاصلاحي رئيس دار المصنفين شبلى اكاديمى اعظم جراه.

١١- "تاثير الامام الفراهى فى كتاب سيرة النبى لشبلى النعمانى" للدكتور يسين مظهر صديقى الندوى أستاذ الدراسات الاسلامية بجامعة عليجراه الاسلامية.

١٢- "الفكر الفراهى فى ميزان الشبلى" للدكتور مسعود الرحمن خان الندوى أستاذ فى كلية لدراسات الآسيوية الغربية بجامعة عليجراه الاسلامية.

١٣- "فكرة الامام الفراهى حول الحكمة الالهية" للأستاذ نظام الدين الاصلاحى رئيس جامعة الفلاح بلريا غنج اعظم جراه.

١٤- "فكرة الفراهى حول الحاكمية و الخلافة" للدكتور عبيد الله فهد الفلاحي جامعة عليجراه الاسلامية.

١٥- "مسلك الفراهى فى الحديث" لسلطان أحمد الاصلاحى ، دائرة التحقيق و التصنيف الاسلامى بعليجراه.

١٦- "نظرية الامام الفراهى فى الشعر و الأدب" للدكتور عبدالبارى شبنم السبحانى.

١٧- "أفكار الامام الفراهى النقدية فى الأدب و البلاغة" للدكتور محمد راشد الندوى رئيس قسم اللغة العربية بجامعة عليجراه الاسلامية.

١٨- "الامام الفراهى حياته و مآثره " لظفر الاسلام الاصلاحى أستاذ الدراسات الاسلامية بجامعة عليجراه الاسلامية.

١٩- "أساتذه الفراهى" للأستاذ شرف الدين الاصلاحى ، باكستان،

٢٠- "المسلك الاقتصادى للفراهى" للدكتور عبد العظيم الاصلاحى أستاذ الاقتصاد بجامعة عليجراه الاسلامية.

٢١- "العلامة الفراهى فى ضوء مكاتيب شبلى النعماني" للدكتور أبوسفيان الاصلاحى أستاذ اللغة العربية بجامعة عليجراه الاسلامية.

٢٢- "الامام الفراهي و نظرته الثاقبة الحساسة" لمترجم القرآن في اللغة الهندية السيد محمد فاروق خان ، دلهي، و قد بقي عديد من المقالات التي لم تعرض في الندوة و من أهمها " الثروة الغير المطبوعة لتصانيف الفراهي" للدكتور أجمل أيوب الاصلاحي أستاذ في جامعة المدينة المنورة.

وبالاضافة إلى هذه المقالات، عرض عديد من المقالات في اللغة العربية و هي :

٢٣- "مكانة الفراهي بين المفسرين" للبروفسور معين الدين الاعظمي رئيس قسم اللغة العربية في دائرة اللغات الأجنبية بحيدر آباد.

٢٤- "المقارنة بين شعر الفراهي و الشعر العربي الجديد" للدكتور محمد أسلم الاصلاحي رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كاشمير.

٢٥- "الأستاذ الفراهي من خلال كتبه في القواعد" للدكتور شميم الحسن أمانة الله ، جامعة جواهر لال نهرو دلهي الجديدة.

٢٦- "المفسرالملهم" لمحي الدين الغازي طالب جامعة الفلاح بلريا غنج اعظم جراه.

و بهذه المناسبة أقامت مكتبة الدائرة الحميدية التي تهتم بتاليف الفراهي، معرضا لتصانيفه و من آثاره التي طبعت من هذه المكتبة ، هي كما تلي:

(١) تفسير نظام القرآن - (٢) مفردات القرآن - (٣) الامعان في أقسام القرآن - (٤) الرأى الصحيح فيمن هو الذبيح (اثبت فيه ان اسماعيل عليه السلام هو الذبيح و ليس اسحاق عليه السلام على رأى اليهود). (٥) جمهرة البلاغة (يرفض فيه علم البلاغة المنقول عن اليونان و يضع أساس علم بلاغة اسلامي جديد) (٦) أسباق النحو (في جزءين بالاردية). (٧) دلائل النظام (حول النظم أي تسلسل المعاني في سور القرآن الكريم). (٨) أساليب القرآن (حول أساليب البيان) (٩) أصول التاويل (التي ينبغي مراعاتها عند تفسير القرآن) (١٠) القائد إلى عيون العقائد (حول العقائد الاسلامية في ضوء القرآن) (١١) في ملكوت الله (حول النواميس الكونية في ضوء القرآن). (١٢) ديوان أبي أحمد الانصاري (ديوانه للقصائد العربية) (١٣) ديوان حميد (مجموعة قصائده بالفارسية) .(١٤) حجج القرآن (في الفلسفة القرآنية) و هذا الكتاب لم يطبع حتى الآن. (١٥) "كتاب الحكمة" (حول الحكمة في القرآن و طرق استنباطها" و هو أيضا غير مطبوع. و غير هذة التصانيف له رسائل قرآنية لم يكتملها الامام في حياته و لم تتحلّ بحلية الطبع حتى الآن.